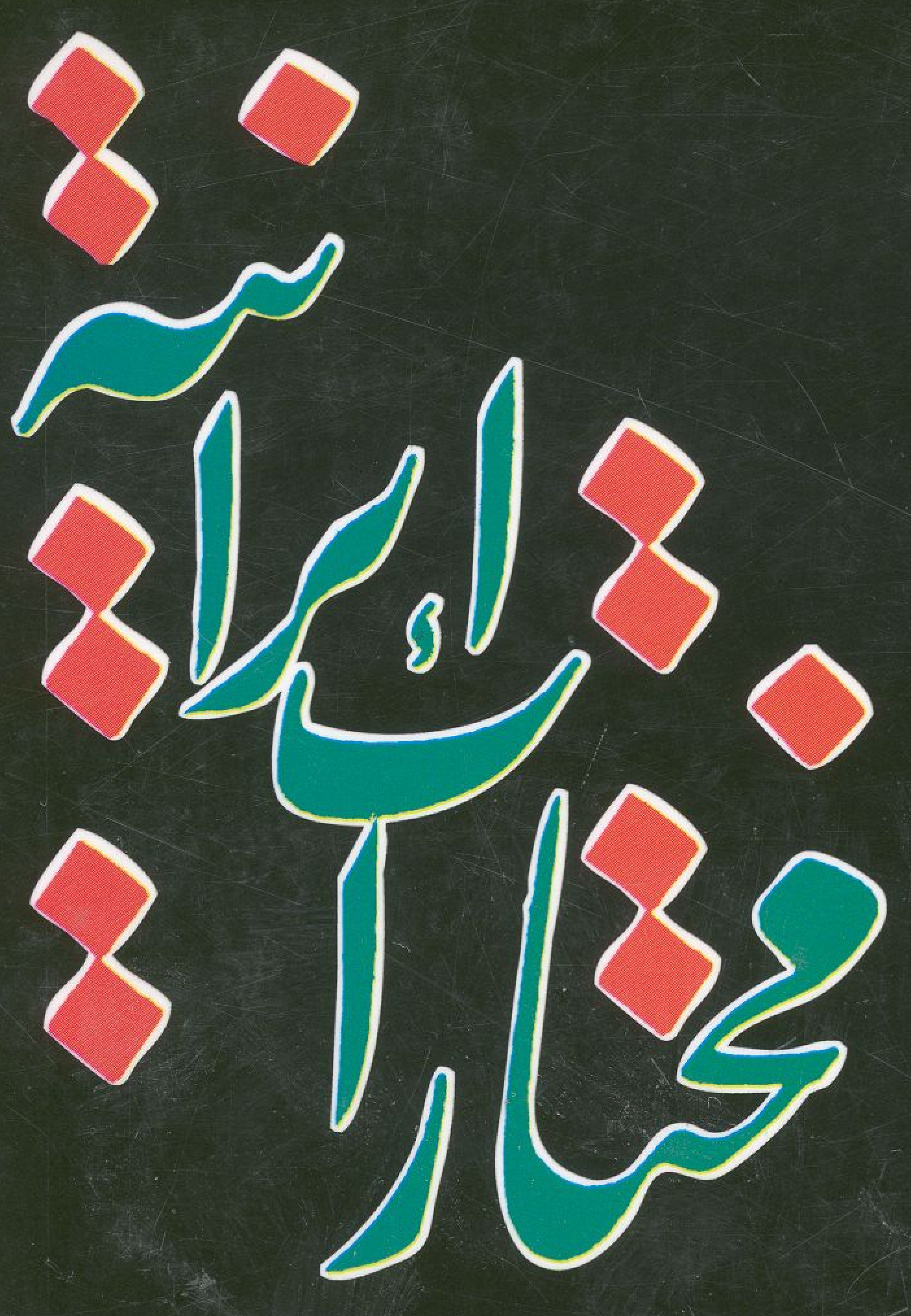




السنة السادسة
العدد ٧٦ - نوفمبر ٢٠٠٦



٧٦



السنة السادسة ـ العدد ٧٦ ـ نوفمبر ٢٠٠٦

صورة الغلاف
هل إقالة رامسفيلد تمهد لهروب أمريكي سريع من العراق؟ أم هى مؤشر على نهاية الخيارات الاستراتيجية التى اعتنقتها إدارة جورج بوش منذ وصولها إلى الحكم عام ٢٠٠٠؟

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية ت: ٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠/٥٧٨٦٣٠٠ فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣/٥٧٨٦٠٣٧



«مختارات إيرانية» دورية شهرية تصدر باللغة العربية منذ أغسطس ٢٠٠٠ ويتولى رئاسة تحريرها د. محمد السعيد إدريس ، وهى أول إصدار ثقافى عربى يسعى لتقديم معرفة علمية متكاملة عن المجتمع والدولة فى إيران، وتضم مختارات إيرانية أربعة أقسام أساسية، الأول خاص بالتفاعلات الداخلية على الأصعدة المختلفة سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، أما القسم الثانى فيختص بالعلاقات الإقليمية لإيران وتفاعلات إيران مع الأحداث والقوى الإقليمية خاصة فى الخليج والوطن العربى ومجمل دول الشرق الأوسط ، وكذلك دول بحر قزوين وآسيا الوسطى وجنوب آسيا. ويهتم القسم الثالث بالعلاقات الدولية لإيران سواء مع القوى الدولية أو المنظمات الدولية. أما القسم الرابع فيحمل عنوان «رؤى عربية» ويهتم بتقديم رؤى وتحليلات ووجهات نظر عربية فى أحداث ، وتطورات، وكذلك تقديم تعليقات على أفكار ورؤى إيرانية فى محاولة لتجسير الفجوة بين المفاهيم والادراكات العربية والإيرانية أو على الأقل التقريب بينها لمزيد من معرفة كل منهما للآخر .

ويسعد « مختارات إيرانية » تلقى الردود والتعليقات المختلفة لنشرها وفقا لقواعد النشر المعمول بها بالمجلة .

المحتويات

افتتاحية

رحيل رامسفيلد.. هروب

قبل أسبوع واحد من ظهور نتائج انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى كان الرئيس جورج بوش على عهده من المكابرة والتمسك بخيارات سياسية أكدت فشلها فى العراق، وضمن إطار حرصه على إظهار أعلى درجة من التماسك سواء على مستوى السياسات أو على مستوى الأشخاص، فاجأ بوش الأمريكيين من عسكريين وسياسيين بإعلانه أنه متمسك بوزير الدفاع دونالد رامسفيلد وأنه سوف يبقيه فى منصبه بعد الانتخابات.

بوش أعلن تمسكه بدونالد رامسفيلد رغم أن أربع صحف تابعة للجيش الأمريكى نشرت، حسب قول شبكة "إن بى سى نيوز" على الإنترنت، افتتاحيات تطالب باستقالة رامسفيلد. كانت افتتاحيات تلك الصحف متفقة على أنه "حان وقت رحيل رامسفيلد"، مبررة ذلك بأنه "فقد مصداقيته لدى القيادة الموحدة ولدى القوات والكونجرس والجمهور العريض"، وأن استراتيجيته "أخفقت"، وأن قدرته على القيادة مشكوك فيها.

ومضى الأسبوع وظهرت النتائج وأسرع بوش ليتراجع عن موقفه ويعلن قبوله استقالة رامسفيلد. وفى مؤتمر صحفى تزامن مع ظهور تأكيدات فوز الديمقراطيين بأغلبية مجلس النواب واحتمالات سيطرتهم أيضاً على مجلس الشيوخ للمرة الأولى منذ أربعة عشر عاماً، قال بوش أنه "يعلم دلالة الانتخابات وتصويت الناس وما تظهره من عدم رضى عن الحرب فى العراق"، مشيراً إلى أن "السياسة المتبعة فى العراق لم تحقق الآمال المرجوة منها". وأضاف أن "سياستنا فى العراق ليست ناجحة بشكل كاف وتفتقر إلى السرعة والجودة المطلوبة"، وقال أنه ورامسفيلد يتفقان على الحاجة إلى "منظور جديد بشأن العراق"، وأنه "حان الوقت لأن تتولى البنتاجون قيادة جديدة"، وأنهى بوش حديثه بالإشارة إلى أن رامسفيلد يقدر أهمية التوصل إلى منظور جديد لتحقيق ما يصبوا إليه الأمريكيون وهو "النصر فى العراق".

هذا يعنى أن بوش مستعد لقبول تعديل أو حتى تغيير فى الوسائل، لكنه على إصراره بشأن الهدف وهو النصر، والنصر حسب مفهوم بوش الذى كان قد حدده فى معرض تبريره لغزو العراق واحتلاله هو "السيطرة على نفط العراق، وتأمين إسرائيل من خطر العراق"، أى أن الهدف أو مضمون النصر كما يريده بوش هو النفط وأمن إسرائيل. فقبل أربعة أيام فقط من بدء انتخابات التجديد النصفى للكونجرس وفى مستهل حملته الانتخابية لدعم المرشحين الجمهوريين أطلق بوش تصريحات عدة لإغراء الناخبين بدعم الحزب الجمهورى ومرشحيه كان أهمها قوله أن "توجه القوات إلى الشرق الأوسط، خصوصاً العراق، استهدف منع المتشددين من السيطرة على موارد النفط، وكذلك حماية إسرائيل".

هنا يجدر بنا أن نتساءل: هل سيتمكن بوش من الصمود هذه المرة والدفاع عن موقفه بخصوص الأهداف الأمريكية فى العراق، أم أن تجربة إقالة دونالد رامسفيلد يمكن أن تتكرر مرة أخرى، ويضطر بوش إلى التراجع، وأن يعيد مراجعة الأهداف دون اكتفاء بمراجعة الوسائل؟

السؤال مهم ويفتح المجال للسؤال الأهم وهو: هل إقالة رامسفيلد تمهد لهروب أمريكى سريع من العراق، أم هى أخطر من ذلك وأنها يمكن أن تكون مؤشراً على نهاية الخيارات الأمريكية بخصوص الاستراتيجية الأمريكية التى اعتنقتها إدارة جورج بوش منذ وصولها إلى الحكم فى البيت الأبيض عام ٢٠٠٠ التى حملت اسم "الخطة من أجل القرن الأمريكى الجديد"؟

هذه الخطة صاغها عام ١٩٩٧ ناشر مجلة "ويكلى ستاندرد" وليام كريستول وتضمنت وضع برنامج إسرائيل لمكافحة "الإرهاب" فى قلب السياسة الخارجية الأمريكية، رغم أنها كانت تهدف من المنظور الاستراتيجى إلى "جعل القرن الحادى والعشرين قرناً أمريكياً عبر تحويل الولايات المتحدة إلى "قوة إمبراطورية مسيطرة" من منطلق الاعتقاد بأن القوة التى تمتلكها الولايات المتحدة الآن لم يسبق لأى إمبراطورية أخرى عرفها التاريخ امتلاكها، الأمر الذى بات يفرض على الولايات المتحدة أن تتحول إلى قوة إمبراطورية أى قوة مهيمنة على العالم.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أعلنت هذه الخطة، أى "الخطة من أجل القرن الأمريكى الجديد"، لائحة من الأولويات من أجل مكافحة الإرهاب، بما فيها: قيام تحالف معاد للإرهاب مع إسرائيل، التخلص من "حزب الله"، إبادة الانتفاضة الفلسطينية، وتغيير النظم الحاكمة فى كل من العراق وإيران وسوريا.

فبعد عشرة أيام فقط من الاعتداءات على نيويورك وواشنطن نشر فريق "الخطة من أجل القرن الأمريكى الجديد" رسالة علنية إلى الرئيس جورج بوش تصف بوضوح ودقة ما يجب أن تكون عليه الأجندة الخاصة لإدارته فى الشرق الأوسط. ففى حين كان أغلب الأمريكيين يعتقدون أن الحرب على الإرهاب ستركز على مطاردة أسامة بن لادن وتدمير "تنظيم القاعدة"، كان فريق "الخطة من أجل القرن الأمريكى الجديد" يؤكد ويعمل على أن تتبنى الإدارة الأمريكية "الاستراتيجية الإسرائيلية للأمن القومى" مشدداً بشكل أساسى على أن "أعداء إسرائيل هم أعداء أمريكا"، على أساس الاقتناع بأن "إسرائيل كانت ولا تزال الحليف

ســـــريع أم نهـــــاية للخـــــيــــارات؟

الأكثر إخلاصاً وقوة للولايات المتحدة ضد الإرهاب العالمى، لاسيما فى الشرق الأوسط"، وأن على الولايات المتحدة أن تدعم بشكل كامل "نظيرتنا فى الديمقراطية فى معركتها ضد الإرهاب".

فإلى جانب التوصية بإزالة "تنظيم القاعدة" طالبت "الخطة من أجل القرن الأمريكى الجديد" أن يزيح الجيش الأمريكى صدام حسين عن السلطة فى العراق، حتى فى حال انعدام أى أدلة عن علاقة مباشرة للعراق بالهجوم (اعتداءات ١١ سبتمبر)، وفى رسالة وجهها فريق الخطة إلى الرئيس بوش فى ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١ (أى بعد حوالى أسبوع من حدوث التفجيرات فى ١١ سبتمبر) طالبوا بضرورة تقديم الدعم المتين والقوى للحملات العسكرية الإسرائيلية على غزة ولبنان، مؤكدين على أن "أى حرب على الإرهاب يجب أن تستهدف حزب الله"، الذى وصفته الخطة بأنه "إحدى المنظمات الإرهابية الرئيسية القيادية فى العالم"، وأكملوا توجيهاتهم للرئيس الأمريكى بالقول أن "سوريا وإيران، وبسبب دعمهما فى لبنان لحزب الله المعادى لإسرائيل يجب أن يشكلا أيضاً هدفاً أولياً رئيسياً للحرب العالمية التى تقودها الولايات المتحدة ضد الإرهاب". وشملت لائحة فريق "الخطة من أجل القرن الأمريكى الجديد" السلطة الفلسطينية "التى يجب أن تضع حداً للإرهاب الصادر من الأراضى الواقعة تحت سيطرتها، وأن تسجن كل الذين يخططون لهجمات إرهابية ضد إسرائيل".

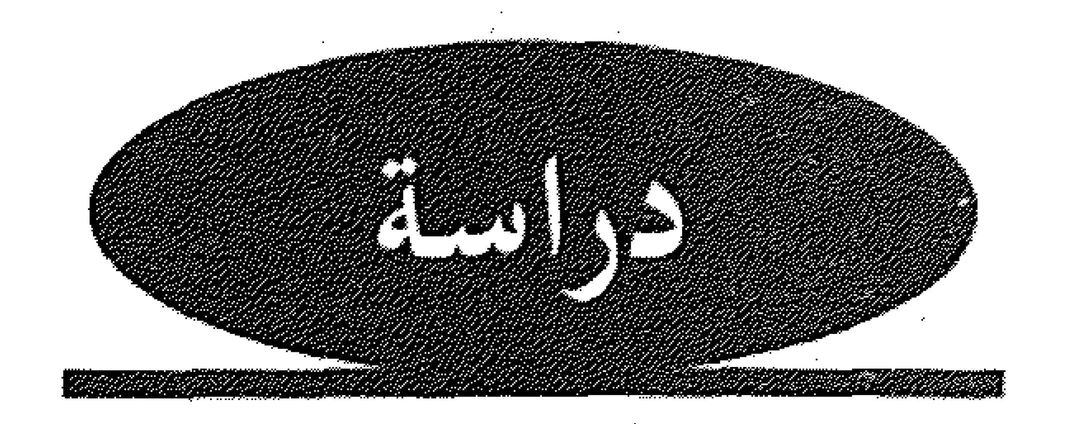
وبعد أن دمجت إدارة بوش هذه التوجيهات ضمن خياراتها الاستراتيجية عاد فريق هذه الخطة بتوجيه رسالة جديدة إلى الرئيس بوش فى ٣ أبريل ٢٠٠٢ يطالبون فيها "بوضع إسرائيل فى قلب وأساس الاستراتيجية الأمريكية لمحاربة الإرهاب فى الشرق الأوسط". وجاء فى هذه الرسالة: "لقد أعلنت سيدى الرئيس الحرب على الإرهاب العالمى وإسرائيل تخوض الحرب نفسها، ولا شك أن الولايات المتحدة وإسرائيل تواجهان عدواً مشتركاً"، وحددت هذه الرسالة هذا العدو المشترك بـ "العراق وإيران وسوريا"، وقالت: "إن معركة إسرائيل ضد الإرهاب هى معركتنا، وإن انتصارها جزء مهم من انتصارنا، وإننا بحاجة، ولأسباب أخلاقية واستراتيجية معاً لأن نقف مع إسرائيل فى معركتها ضد الإرهاب"، ووقفت واشنطن مع إسرائيل فى معركتها ضد ما يسمونه بـ "الإرهاب" الذى لا يقتصر على الأراضى الفلسطينية بل يمتد إلى لبنان وإلى سوريا وإيران، ناهيك عن العراق.

والآن، وفى ظل المتغيرات الجديدة التى تحدث فى واشنطن امتداداً لتداعيات الفشل الأمريكى فى العراق، والفشل الإسرائيلى فى لبنان، هل يمكن التراجع عن برنامج هذه الخطة التى صاغها تيار المحافظين الجدد مع سقوط أحد رموزهم، وأعنى دونالد رامسفيلد، ومع تبنى أحد أهم رموزهم أيضاً وهو ريتشارد بيرل، مخطط الحرب الأمريكية على العراق، دعوة التبرؤ من إدارة بوش وفشلها فى العراق؟

لقد أعلن بيرل، العضو السابق باللجنة الاستشارية للسياسة الدفاعية، أنه "ما كان ليؤيد الحرب (يقصد الحرب على العراق) لو كان يعلم مدى تردى مستوى أداء إدارة بوش فى التعامل معها ومع نتائجها". وجاء تعليق كينيث أدلمان، الذى كان عضواً فى اللجنة نفسها، ليؤكد وجود حالة تبرؤ تكاد تكون شبه عامة لصقور المحافظين الجدد من إدارة بوش. فقد قال أدلمان تعليقاً على المأزق الأمريكى الراهن فى العراق: "إن الرئيس جورج بوش ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد وغيرهما فى الإدارة تبين أنهما من أقل الفرق كفاءة فى فترة ما بعد الحرب، ولا يقتصر الأمر على ارتكاب كل منهما أخطاء هائلة بصورة منفردة، ولكنهما يعملان معاً بصورة قاتلة وفاشلة وظيفياً".

قد يكون تهرب بعض المرشحين الجمهوريين من مشاركة الرئيس بوش فى حملتهم الانتخابية الأخيرة مؤشراً آخر على نحو ما فعل المرشح الجمهورى لولاية فلوريدا تشارلى كريس الذى خاض انتخابات عمدة الولاية ليحل محل جيب بوش شقيق الرئيس كحاكم لفلوريدا، لكن الدراسة المهمة التى نشرها ريتشارد هاس، رئيس التخطيط السياسى السابق بالخارجية الأمريكية وأحد أبرز وأهم العقول الاستراتيجية الأمريكية، بعنوان "الشرق الأوسط الجديد" فى دورية الشئون الخارجية الأمريكية فى عدد نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٦ يمكن أن تقدم إجابة مهمة على هذا السؤال، حيث يتحدث هاس فى هذه الدراسة عن نهاية الحقبة الأمريكية فى الشرق الأوسط بعد أقل من ٢٠ سنة من انتهاء الحرب الباردة التى كانت بداية لـ "العصر الأمريكى الجديد" (أحيل القارئ إلى قراءة نص هذه الدراسة فى قسم الدراسات بهذا العدد من مجلة "مختارات إيرانية")، وإذا كانت هذه هى نهاية الحقبة الأمريكية الحديثة فى الشرق الأوسط فإنها حتماً ستكون بداية لعصر أمريكى جديد ولخيارات أمريكية جديدة تضع فى اعتبارها أن الولايات المتحدة لم تعد القوة المسيطرة دون منافسة ليس فقط فى الشرق الأوسط بل وفى العالم، حيث بدت مؤشرات ظهور قوى أخرى منافسة على المستويين الإقليمى والعالمى.

د. محمد السعيد إدريس



الشــــــرق الأوسط الجــــــديد

The New Middle East

بقلم: ريتشارد هاس
Richard N. Haass

Foreign Affairs, Vol 85, Number 6, November/December 2006

قبل أن تظهر نتائج انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى، كتب ريتشارد هاس الذى يعتبر أحد أهم أعمدة الفكر الإستراتيجى الأمريكى، هذه الدراسة عن "الشرق الأوسط الجديد" يعيد فيها قراءة مستقبل الإمبراطورية الأمريكية بعد الفشل الأمريكى فى العراق، والفشل الإسرائيلى فى لبنان.
هذا الشرق الأوسط الجديد الذى يعتبره هاس نهاية للحقبة الأمريكية، ويراه مأساويا بالنسبة للولايات المتحدة وشعوبه غير ذلك الشرق الأوسط الذى تحلم به كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية التى تحدثت عنه فى أوج الحرب الإسرائيلية على لبنان باعتباره أحد أهم نتائج هذه الحرب. فشلت الحرب وخسر الجمهوريون فى انتخابات الكونجرس واستقال دونالد رامسفيلد وزير الدفاع، وبدأت التداعيات وبالذات بالنسبة لمستقبل المشروع الأمريكى فى العراق، الأمر الذى يعطى لدراسة هاس فى مجلة الشئون الخارجية (foreign affaires) بعنوان "الشرق الأوسط الجديد" (The New Middle East) أهمية كبيرة وبالذات على ضوء ما هو جديد فى العلاقة بين البيت الأبيض "الجمهورى" والكونجرس"الديمقراطى" فى الولايات المتحدة. وفيما يلى نص الدراسة:

انتهى زمن الهيمنة الأمريكية فى الشرق الأوسط وبدأت حقبة جديدة فى تاريخ المنطقة الحديث. وسوف يرسمها ممثلون جدد وقوى جديدة تتنافس على النفوذ، وحتى تستحوذ واشنطن عليها فسوف يكون عليها أن تعتمد على الدبلوماسية أكثر من اعتمادها على القوة العسكرية.

بعد أكثر من قرنين على إيذان وصول نابليون إلى مصر بظهور الشرق الأوسط الحديث - بعد حوالى ٨٠ سنة من زوال الإمبراطورية العثمانية، وبعد ٥٠ سنة من انتهاء الاستعمار، وبعد أقل من ٢٠ سنة من انتهاء الحرب الباردة - انتهت الحقبة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وهى الحقبة الرابعة فى تاريخ المنطقة الحديث. ولن تتحقق رؤى منطقة جديدة على غرار أوروبا - مسالمة ومزدهرة وديمقراطية، فمن الأرجح، ظهور شرق أوسط جديد يسبب أذى عظيم لنفسه وللولايات المتحدة وللعالم.

إن كل الحقب قد حددها تفاعل القوى الطامحة، داخلية وخارجية عن المنطقة، والشيء الذى اختلف هو التوازن بين هذه التأثيرات، والحقبة التالية فى الشرق الأوسط تبشر بأن تكون حقبة يكون للممثلين الخارجيين فيها تأثير متواضع نسبياً، ويكون للقوى المحلية اليد العليا- والتى يكون فيها الممثلون المحليون الذين يكتسبون القوة راديكاليين ملتزمين بتغيير الوضع القائم. وسيكون تشكيل الشرق الأوسط من الخارج أمراً بالغ الصعوبة، لكنه سيكون - إلى جانب إدارة آسيا ديناميكيا - التحدى الرئيسى أمام السياسة الخارجية الأمريكية لعقود قادمة.

ولد الشرق الأوسط الحديث فى أواخر القرن

الثامن عشر، فبالنسبة لبعض المؤرخين، كان الحدث البارز، التوقيع فى عام ١٧٧٤ على المعاهدة التى أنهت الحرب بين الإمبراطورية العثمانية وروسيا، وهى حجة قوية يمكن إيرادها لأهمية دخول نابليون السهل نسبياً إلى مصر فى عام ١٧٩٨، الذى أظهر للأوروبيين أن المنطقة كانت ناضجة للاستيلاء عليها، ودفعت المثقفين العرب والمسلمين إلى التساؤل - مثلما يواصل كثيرون التساؤل فى هذه الأيام - عن السبب الذى جعل حضارتهم تتخلف إلى هذه الدرجة الكبيرة عن حضارة أوروبا المسيحية. وأدى التراجع العثماني، مقترناً بالتغلغل الأوروبى فى المنطقة إلى ظهور "المسألة الشرقية" - فيما يتعلق بكيفية التعامل مع تأثيرات انحسار الإمبراطورية العثمانية، وهو ما حاولت الأطراف المختلفة منذ ذلك الحين الإجابة عنه بما ينفعها.

انتهت الحقبة الأولى مع الحرب العالمية الأولى، وزوال الإمبراطورية العثمانية وظهور الجمهورية التركية وتقاسم غنائم الحرب بين المنتصرين الأوروبيين، وكان ما تمخض عن هذا، خلال فترة الحكم الاستعماري، بهيمنة فرنسا وبريطانيا. وانتهت الحقبة الثانية بعد حوالى أربعة عقود، بعدما استنزفت حرب عالمية أخرى كثيراً من قوة الأوروبيين، وظهرت القومية العربية، وبدأت القوتان العظميان تستكينان.

" إن من يحكم الشرق الأدنى يحكم العالم، ومن له مصالح فى العالم يتوجب عليه أن يهتم بالشرق الأدنى"، حسبما كتب المؤرخ ألبرت حوراني، الذى كان على صواب فى اعتبار أزمة السويس عام ١٩٥٦ مؤشراً لانتهاء الحقبة الاستعمارية وبداية حقبة الحرب الباردة فى المنطقة.

وخلال الحرب الباردة، مثلما كان الوضع فى السابق، لعبت القوى الخارجية دوراً مهيمناً فى الشرق الأوسط، لكن طبيعة المنافسة الأمريكية السوفيتية ذاتها، أفسحت للدول المحلية مجالاً كبيراً للمناورة، وكانت العلامة البارزة للحقبة، حرب أكتوبر١٩٧٣، التى أوقفتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى عند مأزق لا مخرج منه، مما هيأ الطريق أمام الدبلوماسية الطموحة، بما فيها معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية.

لكن قد يكون من الخطأ أن ننظر إلى هذه الحقبة الثالثة على أنها ببساطة وقت منافسة أديرت بشكل جيد بين القوتين العظميين، فحرب يونيو ١٩٦٧ غيرت وإلى الأبد، توازن القوى فى الشرق الأوسط، وأبرز استخدام النفط كسلاح اقتصادى وسياسى فى عام ١٩٧٣ الهشاشة الأمريكية والدولية أمام نقص الإمدادات وارتفاعات الأسعار، وأوجدت عملية التوازن فى الحرب الباردة سياقاً حظيت فيه القوى المحلية فى الشرق الأوسط باستقلالية بارزة لمتابعة أجندتها الخاصة بها، وأظهرت ثورة عام ١٩٧٩ فى إيران، التى أطاحت بركيزة من ركائز السياسة الأمريكية فى المنطقة، أن الغرباء لا يستطيعون التحكم بالأحداث المحلية، وقاومت الدول العربية المحاولات الأمريكية الرامية إلى إقناعها بالانضمام إلى المشاريع المناهضة للسوفييت، وأطلق احتلال إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ حزب الله، واستنزفت الحرب الإيرانية العراقية موارد البلدين على مدى عقد.

وأدى انتهاء الحرب الباردة وزوال الاتحاد السوفيتى إلى حقبة ثالثة فى تاريخ المنطقة، والتى حظيت فيها الولايات المتحدة بنفوذ غير مسبوق وبحرية التصرف.

وكانت الملامح المهيمنة لهذه الحقبة الأمريكية تحرير الكويت بقيادة الولايات المتحدة، ووضع القوات البرية والجوية الأمريكية لأمد طويل، فى شبه جزيرة العرب، واهتماماً دبلوماسياً نشطاً بحل الصراع العربى - الإسرائيلي، مرة واحدة وإلى الأبد (والذى توج محاولات حكومة كلينتون المكثفة لكن غير الناجحة فى نهاية المطاف فى كامب ديفيد).

وجسدت هذه الحقبة، أكثر من أى حقبة أخرى، ما يعتبر الآن " الشرق الأوسط القديم"، فقد اتصفت المنطقة بعراق عدوانى لكن محبط، وإيران راديكالية لكن منقسمة على نفسها وضعيفة نسبياً، وإسرائيل كأقوى دولة فى المنطقة والقوة النووية الوحيدة فيها، وتذبذب أسعار النفط وأنظمة عربية شديدة الوطأة تقمع مواطنيها وتعايش صراعا بين إسرائيل والفلسطينيين والعرب، وبشكل أعم، تفوقاً أمريكياً.

إن ما أدى إلى انتهاء هذه الحقبة بعد أقل من عقدين، عدد من العوامل، بعضها هيكلى وبعضها أوجدها اللاعبون أنفسهم، وكان أبرز هذه العوامل قرار إدارة بوش بمهاجمة العراق فى عام ٢٠٠٣ وإدارتها للعملية، وما نجم عنها من احتلال، وكانت إحدى ضحايا الحرب عراقاً كان خاضعاً لهيمنة السنة، والذى كان قوياً وذا بنية قوية بما يكفى لتشكيل توازن مع إيران الشيعية، وظهرت التوترات السنية الشيعية التى كانت هامدة لبعض الوقت، إلى السطح فى العراق وفى كل أنحاء المنطقة، وأسس الإرهابيون قاعدة فى العراق وطوروا فيه مجموعة جديدة من الأساليب للتصدير، وأصبحت الديمقراطية، فى كل أنحاء المنطقة، مرتبطة بفقدان النظام العام وانتهاء التفوق السني، وتعززت

المشاعر المناهضة للولايات المتحدة، وهى مشاعر ملحوظة، وبتقييد جزء كبير من الجيش الأمريكى فى الحرب قلصت النفوذ الأمريكى على نطاق العالم، فمن مفارقات التاريخ أن الحرب الأولى فى العراق، وهى حرب فرضتها الضرورة، شكلت بداية الحقبة الأمريكية فى الشرق الأوسط، بينما عجلت حرب العراق الثانية، وهى حرب بالاختيار، بنهاية هذه الحقبة.

وكان هنالك عوامل أخرى ذات صلة، أهمها موت عملية السلام فى الشرق الأوسط، فقد كانت الولايات المتحدة تحظى تقليدياً بقدرة فريدة على العمل مع العرب والإسرائيليين على حد سواء، لكن حدود تلك القدرة انكشفت فى كامب ديفيد فى عام ٢٠٠٠، فمنذ ذلك الحين، فإن ضعف حلفاء ياسر عرفات، وظهور حماس والتبنى الإسرائيلى للتوجه الأحادي، ساعدت جميعها فى تهميش الولايات المتحدة، وهو تحول عززه غياب ميل إدارة بوش إلى القيام بدبلوماسية ناشطة.

وثمة عامل آخر ساعد فى إنهاء الحقبة الأمريكية، وهو عدم مساهمة الأنظمة العربية التقليدية عملياً فى مواجهة إغراء الأنظمة الإسلامية الراديكالية، ففى مواجهة خيار بين ما اعتبره الناس كقادة سياسيين تقليديين وبين قادة دينيين نابضين بالحيوية والنشاط، اختار الكثيرون المجموعة الأخيرة، واحتاج القادة الأمريكيون إلى الحادى عشر من سبتمبر حتى يرسموا العلاقة بين المجتمعات المغلقة واحتضان الراديكالية، لكن ردهم- وهو فى أغلب الأحيان اندفاعة متسرعة نحو الانتخابات بغض النظر عن السياق السياسى المحلى - وفر للإرهابيين وأنصارهم فرصاً للتقدم أكثر مما توفر لهم فى السابق.

وأخيراً، فإن العولمة غيرت المنطقة، فالأمر حالياً أقل صعوبة أمام الراديكالية للحصول على التمويل والأسلحة والأفكار والمجندين، كما أن ظهور وسائل الإعلام الجديدة وعلى رأسها التلفزيون الفضائي، حول العالم العربى إلى "قرية إقليمية" وسيسها. فكثير من المواد التى تعرض - مشاهد العنف والتدمير فى العراق وصور السجناء العراقيين والمسلمين الذين تساء معاملتهم، والمعاناة فى غزة والضفة الغربية والآن فى لبنان- زادت من نفور كثير من الناس فى الشرق الأوسط من الولايات المتحدة، ونتيجة لذلك، فإن الحكومات فى الشرق الأوسط تجد الآن وقتاً أصعب للتعامل مع الولايات المتحدة، وتضاؤل النفوذ الأمريكى فى المنطقة.

ما الذى يلوح فى الأفق؟

إن محددات الحقبة الخامسة فى الشرق الأوسط ما زالت تتشكل، لكنها طبيعياً تجيء بعد انتهاء الحقبة الأمريكية، وثمة مجموعة من الملامح ستشكل السياق للأحداث اليومية:

أولاً: سوف تواصل الولايات المتحدة التمتع بنفوذ فى المنطقة أكثر من أى قوة خارجية أخرى، لكن نفوذها سيتضاءل عما كان عليه فى الماضي، وهذا يعكس الأثر المتنامى لعدد من القوى الداخلية والخارجية، والحدود المتأصلة للقوة الأمريكية ونتائج خيارات السياسة الأمريكية.

ثانيا: سوف تواجه الولايات المتحدة باستمرار تحدياً من السياسات الخارجية لأطراف خارجية أخرى، فالاتحاد الأوروبى سوف يقدم القليل من المساعدة فى العراق، ومن المحتمل أن يلح على نهج مختلف إزاء المشكلة الفلسطينية، وسوف تقاوم الصين الضغط على إيران، وسوف تسعى إلى ضمان توفر إمدادات الطاقة، كما أن روسيا ستقاوم الدعوات إلى فرض عقوبات على إيران، وسوف تبحث عن فرص لإظهار استقلاليتها عن الولايات المتحدة، وسوف تنأى الصين وروسيا (وكثير من الدول الأوروبية أيضا) بأنفسها عن الجهود الأمريكية الرامية إلى تشجيع الإصلاح السياسى فى الشرق الأوسط.

ثالثا: سوف تكون إيران واحدة من أقوى دولتين فى المنطقة، والذين يعتبرون إيران على حافة تغيير داخلى مثير، مخطئون فى رأيهم، فإيران تتمتع بثروة عظيمة، وهى تمارس أقوى تأثير خارجى فى العراق، وتتمتع بنفوذ كبير مع حماس وحزب الله، وهى قوة استعمارية كلاسيكية ذات طموحات لإعادة تشكيل المنطقة حسب تصورها وتملك إمكانية لترجمة أهدافها إلى حقيقة واقعة.

رابعاً: ستكون إسرائيل الدولة القوية الأخرى فى المنطقة والبلد الذى يملك اقتصاداً حديثاً قادراً على المنافسة عالمياً، وهى الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تملك ترسانة نووية، وتمتلك أيضا أكبر قوة عسكرية تقليدية فى المنطقة، لكن يظل عليها أن تحتمل تكاليف احتلال الضفة الغربية والتعامل مع تحد أمنى متعدد الجبهات والأبعاد، وعند التحدث استراتيجيا، فإن إسرائيل حالياً فى موقف أضعف مما كانت عليه قبل أزمة هذا الصيف فى لبنان، وسوف يزداد وضعها تدهوراً - مثلما وضع الولايات المتحدة - إذا طورت إيران أسلحة نووية.

خامساً: إن أى شيء يمثل عملية سلام حيوية أمر غير محتمل فى المستقبل المنظور، ففى أعقاب

عملية إسرائيل المثيرة للجدل في لبنان، فإن من شبه المؤكد أن تكون الحكومة التي يقودها حزب كاديما أضعف من أن تقدر على الحصول على تأييد محلي لأية سياسة، ينظر إليها على أنها محفوفة بالمخاطر. أو أنها تكافئ العدوان، وقد فقد فك الارتباط الأحادي مصداقيته الآن بعد أن جاءت الهجمات بعد انسحاب إسرائيل من لبنان وغزة ، وليس هنالك أي شريك واضح، من الجانب الفلسطيني الذي يملك القدرة والرغبة في التسوية، مما يعيق فرص نهج تفاوضي، وفقدت الولايات المتحدة كثيراً من مكانتها كوسيط موثوق ونزيه، على الأقل في الوقت الراهن. وفي الوقت ذاته فإن توسع إسرائيل الاستيطاني وبناء الطرق سوف يستمران على قدم وساق، مما يزيد من تعقيد الدبلوماسية.

سادساً: سوف يظل العراق الذي كان تقليدياً مركزاً للقوة العربية في وضع يتسم بالفوضى لسنوات قادمة، بحكومة مركزية ضعيفة ومجتمع منقسم على نفسه وعنف طائفي، وفي أسوأ الأحوال، فإنه سيصبح دولة فاشلة تدمرها حرب أهلية شاملة تجر جيرانها.

سابعاً: سيظل سعر النفط مرتفعاً، وذلك نتيجة الطلب القوي من الصين والهند، والنجاح المحدود في الحد من الاستهلاك في الولايات المتحدة، والإمكانية المستمرة لحدوث نقص في الإمدادات، ومن المرجح أن سعر برميل النفط سيزيد على ١٠٠ دولار بدلاً من هبوطه إلى ما دون ٤٠ دولاراً. وسوف تستفيد إيران والسعودية والمنتجون الآخرون الكبار بشكل متفاوت.

ثامناً: سوف تستمر "العسكرة" بسرعة، فالجيوش الخاصة في العراق ولبنان والمناطق الفلسطينية تزداد قوة، والمليشيات، وهي نتيجة وسبب للدول الضعيفة، سوف تظهر حيثما كان هنالك عجز متصور أو حقيقي لسلطة وقدرة الدولة. وسوف يؤدي القتال الأخير في لبنان إلى مفاقمة هذا التوجه، لأن حزب الله كسب بعدم المعاناة من هزيمة كاملة، بينما خسرت إسرائيل بعدم تحقيق انتصار كامل، وهي نتيجة ستزيد من جرأة حزب الله والذين يقلدونه.

تاسعاً: سوف يظل الإرهاب، الذي يعرف بأنه الاستخدام المتعمد للقوة ضد المدنيين لتحقيق أهداف سياسية، سوف يظل ملمحاً من ملامح المنطقة، وسوف يحدث في المجتمعات المنقسمة على نفسها، مثل العراق، وفي مجتمعات تسعى فيه الحركات الراديكالية إلى إضعاف الحكومة وتلطيخ سمعتها، وسوف يزداد الإرهاب تطوراً ويظل أداة تستخدم ضد إسرائيل وضد وجود الولايات المتحدة والقوة الأخرى الخارجية.

عاشراً: إن الإسلام سوف يملأ، وبشكل متزايد، الفراغ السياسي والفكري في العالم العربي ويوفر أساساً لسياسات أغلبية سكان المنطقة، فالقومية العربية والاشتراكية العربية أمور من الماضي، والديمقراطية تنتمي إلى المستقبل البعيد في أحسن الأحوال.

والوحدة العربية شعار وليست حقيقة، وقد تعزز تأثير إيران والحركات المرتبطة بها، وتعقدت محاولات تحسين العلاقات بين الحكومات العربية وإسرائيل والولايات المتحدة. وفي الوقت ذاته، فإن التوترات بين السنة والشيعة سوف تزداد في كل أنحاء المنطقة، مما يسبب مشكلات في الأقطار ذات التنوع الاثني والعرقي.

حادي عشر: من المحتمل أن تظل الأنظمة العربية تقليدية وتصبح حساسة دينياً ومناهضة للولايات المتحدة بشكل أكبر، وستكون مصر والسعودية في المقدمة، فمصر التي تشكل حوالي ثلث سكان العالم العربي، قد طبقت بعض الإصلاحات الاقتصادية البناءة لكن سياساتها فشلت في التمشي معها، وعلى عكس ذلك فإن النظام يبدو وكأنه ينوي قمع العدد الضئيل من الليبراليين في البلاد، ويقدم للشعب المصري خياراً بين المستبدين التقليديين والإخوان المسلمين وتكمن المخاطرة في أن المصريين سوف يختارون الطرف الأخير في يوم من الأيام، ليس لأنهم يؤيدونه بشكل مباشر بل لأنهم ازدادوا ضجراً من الطرف الأول، ومقابل ذلك قد يتخذ النظام مظاهر خصومه الإسلاميين في محاولة اختيار إغرائهم، في عملية النأي بنفسه عن الولايات المتحدة، وفي السعودية فإن الحكومة والنخبة السعودية تعتمدان على استخدام عائدات الطاقة الضخمة في إحداث تغيير في البيئة المحلية والعمل على ضبط التوازن والاستقرار الداخلي (الإسلامي والليبرالي).

وأخيراً: فإن المؤسسات الإقليمية ستظل ضعيفة، تتخلف عن تلك المؤسسات في أماكن أخرى، فالمنطقة المعروفة جيداً في الشرق الأوسط، وهي الجامعة العربية، تستثني أقوى دولتين في المنطقة، إسرائيل وإيران، فالصراع العربي الإسرائيلي الدائم سيظل يستبعد مشاركة إسرائيل في أية علاقة إقليمية مستدامة، كما أن التوتر بين إيران ومعظم الدول العربية سوف يحبط ظهور التوجه الإقليمي، وستظل التجارة في الشرق الأوسط متواضعة لأن عدداً قليلا من الدول تعرض سلعاً وخدمات يريد الآخرون شراءها

على نطاق كبير وسوف يتوجب أن تأتى السلع المصنعة المتقدمة من أماكن أخرى، وسوف يصل عدد قليل من فوائد التكامل الاقتصادى العالمى إلى هذا الجزء من العالم، رغم الحاجة الملحة لها.

أخطاء وفرص:

ومع أن الملامح الأساسية لهذه الحقبة الخامسة للشرق الأوسط الحديث غير جذابة إلى حد كبير، فيجب ألا يكون هذا سبباً للاعتماد على القضاء والقدر، فكثير من الأمور قضية درجات، فهنالك فرق أساسى بين شرق أوسط يفتقر إلى اتفاقيات سلام رسمية وشرق أوسط يتصف بالإرهاب والعنف بين الدول والحرب الأهلية، بين مكان يضم إيران قوية ومكان تهيمن عليه إيران، أو بين مكان ذى علاقة قلقة مع الولايات المتحدة ومكان حافل بكراهية البلد. كما أن الوقت ذو أثر، ويمكن أن تدوم الحقب فى الشرق الأوسط لمدة قرن أو لفترة قصيرة تصل إلى عقد ونصف العقد، ومن الواضح أن من مصلحة الولايات المتحدة وأوروبا أن تكون الحقبة الناشئة قصيرة قدر الإمكان- وأن تتلوها حقبة أكثر استقراراً.

ولضمان هذا فإن على صانعى السياسة الأمريكية أن يتجنبوا غلطتين، مع اغتنام فرصتين، فالغلطة الأولى يمكن أن تكون المغالاة فى الاعتماد على القوة العسكرية، فبينما تعلمت الولايات المتحدة بثمن باهظ فى العراق، وكما تعلمت إسرائيل فى لبنان، فإن القوة العسكرية ليست الترياق والدواء الشافى لكل شيء فهى ليست مفيدة أبداً ضد ميليشيات منظمة بشكل فضفاض ومسلحين ذوى تسليح جيد، يتقبلهم السكان المحليون، ومستعدون للموت من أجل قضيتهم كما أن تنفيذ ضربة وقائية للمنشات النووية الإيرانية لن يحقق فائدة كبيرة، فأى هجوم قد لا يفشل فقط فى تدمير كل المرافق، لكنه قد يؤدى أيضا بطهران إلى إعادة بناء برنامجها بشكل سرى أكثر ويجعل الإيرانيين يحتشدون حول النظام، ويقنع إيران بالانتقام (على الأغلب من خلال وكلاء لها) ضد المصالح الأمريكية فى أفغانستان والعراق، وقد يكون الانتقام ضد الولايات المتحدة.

وسوف يؤدى الهجوم إلى زيادة تثوير العالمين العربى والإسلامي، وإلى إيجاد مزيد من الإرهاب والنشاط المناهض للولايات المتحدة ، كما أن العملية العسكرية ضد إيران يمكن أن ترفع سعر النفط إلى معدلات عالية جديدة، مما يزيد من فرص حدوث أزمة اقتصادية عالمية وركود عالمي، ولكل هذه الأسباب، فإنه لا يجب التفكير باستخدام القوة العسكرية إلا كملاذ أخير.

ويمكن أن تكون الغلطة الثانية، الاعتماد على ظهور الديمقراطية لتهدئة المنطقة، ومن الصحيح أن الديمقراطيات الناجحة لا تميل إلى شن الحرب، فيما بينها ومن سوء الحظ أن إيجاد ديمقراطيات ناضجة ليس مهمة سهلة أبداً، حتى وإن نجحت الجهود فى نهاية المطاف فإن ذلك يحتاج إلى عقود، وعلى المدى القصير فإن على الحكومة الأمريكية أن تواصل العمل مع كثير من الحكومات غير الديمقراطية، فالديمقراطية ليست جواباً للإرهاب، أيضا، فمن المقبول ظاهرياً أن الشبان والشابات الذين يبلغون سن الرشد أقل احتمالا من أن يكونوا إرهابيين إذا كانون ينتمون إلى مجتمعات توفر لهم الفرص السياسية والاقتصادية، لكن الأحداث الأخيرة توحى بأنه حتى الذين ينشأون فى ديمقراطيات ناضجة مثل بريطانيا، ليسوا محصنين أمام جذب الراديكالية، فالحقيقة الماثلة فى أن حماس وحزب الله قد حققوا نتائج جيدة فى الانتخابات ثم نفذوا هجمات عنيفة، يعزز الرأى بأن الإصلاح الديمقراطى لا يضمن الهدوء، كما أن الدمقرطة ذات جدوى ضئيلة عند التعامل مع راديكالية لا تحمل برامجهم أى أمل فى الحصول على تأييد الأغلبية، فالمبادرات الأكثر جدوى يمكن أن تكون أعمالاً ترمى إلى إصلاح الأنظمة التربوية وتشجيع التحرر الاقتصادى والأسواق المفتوحة، وتشجيع السلطات العربية والإسلامية على المجاهرة بما لديها بطرق تنزع الشرعية عن الإرهاب وتلحق العار بأنصاره، وتخاطب الشكاوى التى تحفز الشباب والشابات والتى تدفعهم إلى الأخذ به.

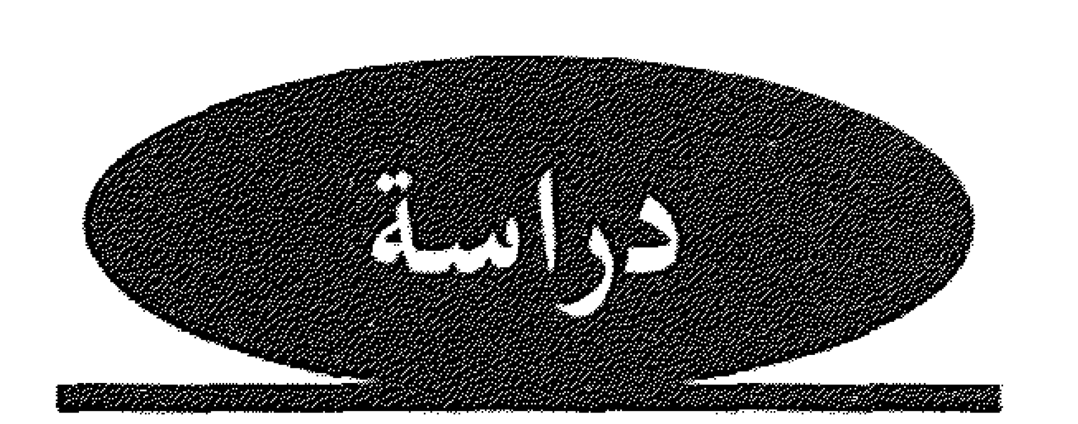
وفيما يتعلق بالفرص التى يتوجب اغتنامها، فإن الفرصة الأولى تتمثل فى التدخل بشكل أكبر فى شئون الشرق الأوسط بأدوات غير عسكرية، وبالنسبة للعراق فبالإضافة إلى أية إعادة نشر للقوات الأمريكية وتدريب الجيش والشرطة العراقيين، فإن على الولايات المتحدة أن تؤسس منتدى إقليميا لجيران العراق (تركيا والسعودية على وجه الخصوص) والأطراف المعنية الأخرى المماثلة التى ساهمت فى إدارة الأحداث فى أفغانستان بعد التدخل فيها فى عام ٢٠٠١، والقيام بذلك سوف يتطلب بالضرورة إشراك إيران وسوريا، حيث يتوجب إقناع سوريا، التى يمكن لها أن تؤثر على حركة المقاتلين إلى العراق والأسلحة إلى لبنان، بإغلاق حدودها مقابل فوائد اقتصادية (من الحكومات العربية وأوروبا والولايات المتحدة)، والتزام بإعادة البدء فى محادثات حول وضع هضبة الجولان، ففى الشرق الأوسط الجديد، هنالك خطورة بأن سوريا قد تكون مهتمة بالعمل مع طهران أكثر منه مع

واشنطن، لكنها انضمت إلى التحالف بقيادة الولايات المتحدة خلال حرب الخليج وحضرت مؤتمر مدريد للسلام فى عام ١٩٩١، وهما مؤشران يوحيان بأنها قد تكون منفتحة على التعامل مع الولايات المتحدة فى المستقبل.

إن إيران قضية أصعب، لكن حيث أن تغيير النظام فى طهران ليس متصوراً على المدى القريب، ويمكن أن تكون الضربات العسكرية ضد مواقع نووية فى إيران، أمراً خطيراً ولأن الردع غير موثوق به، فإن الدبلوماسية هى أفضل خيار متاح لواشنطن، فعلى الحكومة الأمريكية أن تفتح وبلا شروط مسبقة محادثات شاملة تخاطب برنامج إيران النووي، ودعمها للإرهاب والميليشيات الأجنبية، ويجب أن يعرض على إيران سلسلة من الحوافز الاقتصادية والسياسية والأمنية، ويمكن السماح لها ببرنامج ريادى محدود جداً لتخصيب اليورانيوم، طالما وافقت على عمليات تفتيش مفاجئة ومتفق عليها، ويمكن لمثل هذا العرض أن يكسب تأييداً دولياً عريضاً، وهو شرط أساسى إذا أرادت الولايات المتحدة مساندة لفرض العقوبات أو تصعيد الخيارات الأخرى إذا فشلت الدبلوماسية. إن الإعلان عن بنود مثل هذا العرض يمكن أن يزيد من فرص نجاح الدبلوماسية ويجب أن يعرف الشعب الإيرانى الثمن الذى سيدفعونه نظير السياسة الخارجية الراديكالية لحكومتهم وفى ضوء قلق الحكومة فى طهران من ردة فعل عامة عكسية فإن من الأرجح أن تقبل العرض الأمريكي.

وتحتاج الدبلوماسية أيضا إلى إحياء فى الصراع الإسرائيلى - الفلسطيني، الذى ما يزال القضية التى تشكل الرأى العام وتثوره فى المنطقة أكثر من غيرها، ويمكن ألا يكون الهدف فى هذه المرحلة جمع الأطراف فى كامب ديفيد أو فى أى مكان آخر، بل البدء فى إيجاد الظروف التى يمكن فيها إعادة البدء فى الدبلوماسية بشكل مفيد، ويجب على الولايات المتحدة أن تفصح عن تلك المبادئ إذا رأت أنها تشكل عناصر تسوية نهائية، بما فيها إيجاد دولة فلسطينية تستند إلى خطوط ١٩٦٧، ويمكن تعديل الخطوط لحماية أمن إسرائيل والتعبير عن التغيرات السكانية ويمكن تعويض الفلسطينيين عن أية خسائر تنجم عن التعديلات، وكلما كانت الخطة سخية ومفصلة ازداد الأمر صعوبة أمام حماس لرفض التفاوض وتفضيل المجابهة، وتمشياً مع هذا النهج، يجب على المسئولين الأمريكيين أن يجلسوا مع مسئولى حماس مثلما فعلوا مع قادة سين فين، الذين قاد بعضهم الجيش الجمهورى الايرلندي، ويجب عدم النظر إلى مثل هذه الأحاديث المتبادلة على أنها مكافأة للأساليب الإرهابية بل كأدوات تحمل إمكانية جعل السلوك يتمشى مع السياسة الأمريكية.

وتضم الفرصة الثانية عزل الولايات المتحدة لنفسها قدر الإمكان عن عدم الاستقرار فى المنطقة، ويمكن لهذا أن يعنى الحد من استهلاك النفط فى الولايات المتحدة، واعتمادها على موارد الطاقة فى الشرق الأوسط، وهى أهداف يمكن تحقيقها بتقليص الطلب (وذلك مثلاً بزيادة الضرائب عند المضخات - يقابلها تخفيضات ضريبية فى أماكن أخرى - وتشجيع السياسات التى تعجل فى استخدام مصادر بديلة للطاقة)، ويجب على واشنطن أن تتخذ خطوات إضافية لتقليص تعرضها للإرهاب، فكما هى الهشاشة أمام المرض فإن الهشاشة أمام الإرهاب لا يمكن القضاء عليها بشكل كامل، لكن يمكن ويجب بذل ما هو أكثر لحماية الوطن الأمريكى على أحسن نحو، والإعداد الأفضل لتلك المناسبات الحتمية التى سينجح فيها الإرهابيون. إن تجنب هذه الأخطاء واغتنام تلك الفرص يمكن أن يساعد، لكن من المهم إدراك أنه لا يوجد أية حلول سريعة أو سهلة للمشكلات التى تمثلها الحقبة الجديدة، وسوف يظل الشرق الأوسط جزءاً مضطرباً ومسبباً للاضطراب لعقود قادمة، وهو أمر كاف جداً لأن يحن المرء إلى الشرق الأوسط القديم.



إيران وجيرانها والأزمة الإقليمية (١-٢)

IRAN, ITS NEIGHBOURS AND THE REGIONAL CRISES

تقرير برنامج الشرق الأوسط

A MIDDLE EAST PROGRAMME REPORT

تحرير: روبرت لو - كلير سبنسر

Edited by Robert Lowe and Claire Spencer

المعهد الملكى للشئون الدولية ، ٢٠٠٦

www.chathamhouse.org.uk

أصبحت إيران رقما صعبا فى معظم الملفات الإقليمية، إن لم يكن فى مجملها، سواء لجهة محاولتها تبوء مكانة إقليمية عبر مد نفوذها داخل دول الجوار، أو لجهة استنفار قوى دولية وإقليمية عدة لمنع إيران من تحقيق هذا الهدف. فقد أسفرت التطورات التى طرأت على الساحة الإقليمية منذ قيام الولايات المتحدة الأمريكية بشن حربها ضد الإرهاب وإسقاط نظام طالبان فى أفغانستان، ونظام صدام حسين فى العراق، عن تحقيق مكاسب عدة لإيران التى سعت إلى استغلال هذه التطورات لتدعيم مكانتها على الساحة الإقليمية. ويكتسب التقرير الذى أعده برنامج الشرق الأوسط التابع للمعهد الملكى البريطانى بعنوان: "إيران وجيرانها والأزمة الإقليمية"، أهميته من خلال تركيزه على توضيح التداعيات التى أفرزتها التطورات الإقليمية بعد بدء الحرب ضد الإرهاب، وتحليل مواقف القوى الدولية والإقليمية من هذه التطورات. وفيما يلى الجزء الأول من الدراسة:



تثور شكوك حول أن إيران كانت المستفيد الأساسى من الحرب التى شنتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب فى الشرق الأوسط. فقد قامت الولايات المتحدة، مدعومة بقوات التحالف، بإزاحة حكومتين منافستين لإيران إقليميا هما حكومة طالبان فى أفغانستان فى نوفمبر ٢٠٠١ ، ونظام صدام حسين فى العراق فى أبريل ٢٠٠٣، وإن فشلت فى إحلال نظم مستقرة أو متماسكة محلهما، كما أدى اندلاع الصراع فى نقطتين فى شهرى يونيو ويوليو ٢٠٠٦ بين إسرائيل والفلسطينيين فى غزة من جانب، وبين إسرائيل وحزب الله فى لبنان من جانب آخر، إلى تعقيد الأبعاد الإقليمية لحالة عدم الاستقرار فى المنطقة. ونتيجة لذلك فقد تحركت إيران لملء الفراغ الإقليمى بيسر واضح، الأمر الذى أقلق اللاعبين الإقليميين، كما أقلق الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين. وواقع الأمر، تعتبر إيران واحدة من أهم وأقوى الدول فى الإقليم وينتشر نفوذها فيما وراء موقعها المهم فى قلب الشرق الأوسط إلى تركيا والقوقاز وآسيا الوسطى والجنوبية.

وعلى خلاف المنظور الغربى الشائع الذى عادة ما يتحدث عن إيران بوصفها الدولة غير العربية الخرقاء التى تسيطر على الطرف الشرقى من الشرق الأوسط، يسعى هذا التقرير لوضع إيران فى مكانها الحقيقى ويحلل علاقاتها مع الدول الآسيوية والأوروآسيوية ومع الشرق الأوسط، حيث إن قوة هذه العلاقات هى عامل رئيسى فى الثقة والقوة الإقليمية التى تتمتع بها إيران.

والحقيقة أن سياسة إيران الخارجية التى دائما ما تصور على أنها فاشلة ومثيرة لعدم الاستقرار، هى سياسة براجماتية بشكل لافت وتهدف إلى اجتناب





التوتر أو المواجهات الكبيرة، وتتمثل الاهتمامات الرئيسية للسياسة الخارجية الإيرانية فى التالي:

- الهيمنة الإقليمية، بصفة خاصة الاقتصادية والثقافية داخل نطاق نفوذها،
- توسيع نطاق نفوذها.
- الاستقرار الإقليمى.
- أن تكون العراق موحدة لكن غير قادرة على تشكيل تهديد عسكرى.
- هاجس الولايات المتحدة ، مع عدم وضوح الرؤية بالنسبة لكيفية التعامل معها.

ويركز هذا التقرير على موقع إيران داخل إقليمها، لذلك فعلاقاتها مع الولايات المتحدة والغرب خارج مجال اهتمامه، إلا أن الولايات المتحدة قد أضحت حاليا لاعبا إقليميا؛ حيث إن غزو أفغانستان والعراق يعنى أن الولايات المتحدة وحلفاءها هم لاعبون رئيسيون على الأرض أكثر منهم مراقبين خارجيين. وعلى أقل تقدير، فقد أوجدت سياسات الولايات المتحدة وسلوكها سياقًا يؤثر على استقلال وسلوك دول المنطقة، الذين بات عليهم موازنة مصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية فى ضوء حقيقة وجود الولايات المتحدة فى المنطقة .

وتتمثل البنود الرئيسية للسياسة الأمريكية فى الإقليم فى التالي:

- إعادة بناء أفغانستان والعراق كدول أكثر استقرارًا وسلاما وديمقراطية.
- الدفاع عن أمن إسرائيل ومصالحها الإقليمية.
- احتواء العنف بين إسرائيل وحزب الله، وبين إسرائيل والفلسطينيين.
- الوصول العالمى لإمدادات الطاقة فى الخليج.
- احتواء انتشار الإرهاب وهزيمته.

- هاجس إيران، مع عدم وضوح كيفية التعامل معها.

فى كل هذه البنود يُنظر للنفوذ الإيرانى باعتباره يفرض تهديدا استراتيجيا لاسيما مع التصعيد فى المسألة النووية وصراعات إسرائيل مع جيرانها ، فضلا عن تهديد نفوذ الولايات المتحدة وهيمنتها فى الإقليم المهم.

ويعبر تحرك الولايات المتحدة لتكثيف الضغط الدولى ضد سعى إيران للحصول على تقنية نووية منذ عام ٢٠٠٥ ، عن أحد التحديات الكثيرة التى تشكلها إيران للمصالح الإقليمية الأوسع لواشنطن ولحلفائها الأقرب. وقد أكد دعم إيران العسكرى والمالى لحزب الله فى لبنان ونجاح حملة حزب الله ضد إسرائيل فى صيف ٢٠٠٦ مدى التأثير الإيرانى فى الإقليم.

ويسعى هذا التقرير لإلقاء الضوء على ما توضحه الأزمة الإقليمية (الملف النووى الإيراني، عدم استقرار العراق، الصراع بين إسرائيل وحزب الله، والوضع المتدهور فى الضفة الغربية وغزة) بالنسبة لعلاقات إيران مع جيرانها.

وقد اتجهت النية الأولية إلى التركيز على القضية النووية ولكن مع تصاعد الصراع فى غزة ولبنان، بات واضحا أن التقرير سيكون على قدر أكبر من الأهمية لو وسع من مجاله لضم الأزمات الأخرى التى ترتبط جميعها والتى تظهر إيران فيها كلها كلاعب رئيسى.

وقد صدر هذا التقرير عن برنامج الشرق الأوسط بمساهمات متميزة من برامج إقليمية أخرى.

وفى التقرير سيتم الإجابة على الأسئلة التالية :

- ما مدى قوة الموقف الإيرانى وكيف يتشكل؟
- ما هى العوامل التى تدفع التحالفات والمواقف بين إيران وجيرانها فى الشرق الأوسط وآسيا؟
- كيف يرى جيران إيران سعيها للحصول على تكنولوجيا نووية؟
- ما هى ردود الفعل المتوقعة داخل الإقليم لو استخدمت الولايات المتحدة القوة العسكرية فى محاولة للسيطرة على طموحات إيران النووية والإقليمية؟

إيران:

أسباب نمو نفوذ إيران الإقليمى واضحة؛ فإيران هى حلقة الوصل بين الشرق الأوسط وآسيا، وضعفها العسكرى لا ينبغى أن يقلل من تأثيرها الحقيقى الثقافى والسياسى والاقتصادى، وربما يكون للولايات المتحدة اليد العليا فى القوة المادية، لكن، ورغم قدرتها على كسب المعارك العسكرية، فقد أظهرت إدارة بوش عجزها عن التخطيط وإدارة السلام التالى للحرب. وقد كانت إيران دائما هى المسيطرة على "القوة الناعمة"، بمعنى القدرة على استخدام السياسة والثقافة لتحقيق مصالحها الاستراتيجية. كما أن معرفتها بالإقليم ولغاته وثقافته فضلا عن روابطها التاريخية ومهاراتها الإدارية قد أعطتها ميزة على الغرب، وفيما كان الغرب تاريخيا وحاليا ينشد التغيير والإصلاح فى الشرق الأوسط ، تميل إيران للتعامل مع ما هو قائم.

موقع إيران المتميز يمنحها فرصا كبيرة لكنه كذلك يجعلها قابلة الاختراق فى إقليم لا يتسم بالاستقرار. حيث إن لها سبعة حدود برية مع الدول المجاورة وسبعة حدود بحرية أخرى فى الخليج ، وكان على إيران دائما إدارة تبعات عدم الاستقرار فى الدول المجاورة خاصة ما يتعلق بتيارات اللاجئين القادمة من الدول المجاورة.

ومنذ عام ٢٠٠١، تاريخ بدء العمليات العسكرية التى تقودها الولايات المتحدة فى أفغانستان والعراق، بات لدى إيران سبب قوى للقلق من عدم الاستقرار السياسى فى دول الجوار، وإن كانت التكهنات الغربية حول نوايا السياسة الخارجية الإيرانية عادة ما تفشل فى تفهم حاجات إيران الأمنية ، فواقع الأمر يعنى بعث طالبان فى أفغانستان فى الشرق، والتمرد المستمر فى العراق فى الغرب، أن هناك عنفا مستمرا وعدم يقين على الحدود الإيرانية.

كذلك فإن دور الحكومة الإيرانية فى استقبال أو إعادة أعداد كبيرة من الأسرى الأفغان منذ عام ٢٠٠١-٢٠٠٢ هو دور إما غير معترف به أو غير مكافأ من قبل الولايات المتحدة وحلفائها. ويرى القادة الإيرانيون أيضا أن الروابط القوية التى تربطهم بالقادة الدينيين من الشيعة والأغلبية الساحقة من الأحزاب الشيعية فى العراق كان لها أثر إيجابى وتصحيحى على الموقف السياسى فى العراق، ولم تكن مصدرًا لعدم الاستقرار كما تدّعى الحكومات الغربية والمعلقون الغربيون.

وتشعر إيران بأنها محاطة بالأزمات التى يثيرها التدخل الغربى، خاصة و أن الولايات المتحدة لا تقوم فقط بنشر قواتها فى أفغانستان والعراق لكن لها أيضًا قواعد فى تركيا ووسط آسيا والخليج (الفارسي). وفى الشمال الغربى من إيران هناك أيضًا عدم استقرار فى القوقاز، كما أن إضعاف الحكومة المركزية أو تغيير النظام فى باكستان قد يفرض تهديدًا على إيران. ورغم أن إيران توصف دوما بأنها لاعب مثير للعنف فى الشرق الأوسط الموسع وذلك من خلال دعمها العسكرى والمالى لكل من حزب الله وحماس فى نضالهم ضد إسرائيل، فإن النظام الإيرانى نفسه قلق من إثارة فوضى عامة فى الإقليم كون إيران دولة

محـافظة بـالأسـاس، أى تسـعى للحـفـاظ على الوضع القائم.

تمتلك إيران مـيـزات اسـتـراتيـجـيـة مـتـعـددة ، ويدين وضعها الإقليمى بالكثير لمصالحها القومية والشعور التـاريخى بالمهمة الإمبراطورية، ودائما ما صبغ شعور قـوى بالقومـيـة مـواقف إيران فى سـيـاسـتـهـا الداخليـة والخـارجية، وإذ تفـخر بأنها دولة غير عربية وشيعية، فلدى إيـران شـعـور جـمـعى بالتـمـيـز القـومى والعـزلة لاسـيـمـا فى أوقـات تصـاعـد التـوترات الإقليـمـيـة، وهـو شعـور ينافس الإدراك الإسـرائيلى بالإحـاطة والتـهـديد فى جوار صعب.

أيديولوجية أحمدى نجاد:

سـبب البـزوغ المفـاجئ لمحـمـود أحـمـدى نجـاد كـرئيس للجمهورية الإسلامية، خلفًا للمعتدل محمد خاتمى فى يونيو ٢٠٠٥ ، صدمـة كبـيـرة للمجتمع السـيـاسـى داخل إيران وخـارجهـا. وظهر الرئيس الجديد نفسه متفاجئًا بانتـخـابه الذى فـسـره بأنه قـدره المبين، وأن دوره وفـقـا لهذا هو خلق "الثورة الإسلامية الثالثة".

وبالنسبة لأحمدى نجاد ومؤيديه فإن فوزه هو بمنزلة لحظة تمكين، خدمت قناعاته الأيديولوجية والسياسية. أمـا بالنسـبـة لمعـارضـيـه، وكـثـيـر منهم ينتـمـون للنخـبـة التقليدية الكبيرة، فإن انتخاب أحمدى نجاد كان أسوأ شيء، فـهـو لا يهـدد فـقـط مـصـالحـهم السـيـاسـيـة والاقـتـصـادية، لكن، وفـوق ذلك، فـإن قناعـاتـه الأيديولوجـيـة وافـتـقـاره إلى المرونة تجـعـله صـعـب الميل لرؤاهم وغـيـر قـابل للتكيف، ويميل خطابه إلى إشـعـال التوترات وإثارة عدم الاستـقرار فى الاقتـصـاد المحلى والقطاع الخاص، كما أن التغيرات الكبيرة التى أدخلها على المناصب الرسمية والوزارية قد أعاقت استمرارية الإدارة العـامـة، وقـد فـشل حـتى فى كـسب القـبـول لمرشـحـيـه المفضلين (كما حدث فى تعيين وزير نفط جـديد فى خـريف ٢٠٠٥). وعلى صـعـيـد مكانة إيران الخـارجـيـة فـإن موقف أحـمـدى نجـاد إزاء الجـمـاعـة الدوليـة والغـرب بشكل خـاص كـان الأخطر. فـعلى النقيض من النغـمـة التـوافـقـيـة لخـاتمى، فـإن فلسـفـة أحـمدى نجاد كلها تفضل وتعزز التحدى والمواجهة. ومنطقـه أن لا شيء يمكن الحـصـول عليه من التـوافق الذى سـوف يراه الغرب ضعفًا ويستغله. وبات كثير من معارضيه أكثر قلقا من أن سياسة التحدى ليست جزءا من أى استراتيجية بل هى نهاية فى حد ذاتها.

إن مـحـمـود أحـمـدى نجـاد هو بـلا شك أكـثـر رئيس مـؤدلج شـغـل منصب الرئاسـة الإيرانى منذ ثورة عـام ١٩٧٩ ، سـابقـيـه (هـاشـمى رفـسنجـانى١٩٨٩-١٩٩٧، ومـحـمـد خـاتمى ١٩٩٧-٢٠٠٥) مـالا لاتبـاع سـيـاسـة براجـمـاتيـة لا سـيـمـا على الصـعـيـد الدولى. وقد أدان أحمدى نجاد هذا المنهج (البـراجماتى) بوضـوح ، ورأى أن الفـتـرة منذ ١٩٨٩ تم فـيـهـا إسـاءة اسـتـعـمـال قـيم وأخلاقيات الثورة. ورغم أن معظم غضبه قد انصب على رئاسـة خـاتمى، فإن تعليقاته قد قادت إلى تدهور خطيـر فى العلاقات مع هاشمى رفسنجانى منافسه الأساسى فى الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٥.

يمكن تعقب مصـدر الحماسة الأيديولوجية لأحمدى نجاد فى خبرته الشخصية كعضو فى الحرس الثورى. ومثل كثير من مؤيديه وبطانته المقربة، ومعظمهم فى عـقـد الأربعـينيـات، فـإن أحـمـدى نجـاد هو ابن الثـورة والحـرب مع العـراق فى الفـتـرة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨ . وكانت خبرة الحرب بالنسبة له أعلى لحظة فى سنوات مـا بعـد الثورة الأولى عندمـا سمت الأخلاقـيـات فـوق الكسب المادى وكان الإيرانيون بصدق أخوة مسلمين.

ومن ثمّ، فـبـالنسـبـة له، لم تكن الحـرب مناسـبـة يتم الندم عليـهـا وتحـاشـيـهـا ، بل كـانت، بكل ألمهـا، لحظة تطهير؛ تطهير للفساد الذى حدث فى النظام السابق. بهـذا المعنى، بدأ أحـمـدى نجـاد يرى نفسـه فى مـوقـع التأثير تابعا مخلصا للخطاب الثورى لآية الله الخمينى . وبالنسـبـة إليه فـإن تصـور الخـمـينى حـول أن الثـورة ارتوت، ومن ثمّ أثمـرت بدم الشـهـداء الذين مـاتوا فى الحـرب مع العـراق لم يكن مـجـازيا تمامـاً. وبالمثل فـلا يعـد من قـبـيـل التـفـلسف حـديث الخـمـينى عن أن الإيرانيين يجب أن يبنوا دولة مناسبة لعودة الإمام، هذا الحديث الذى يفسـره البعض ومنهم أحمدى نجاد بأنه يعنى أن الإيرانيين يحتاجون لتطوير يوتوبيا.

وفى عودته للمبادئ الأساسية للجمهورية الإسلامية، يمكن وصف أحمدى نجاد بأنه رمز لحركة المحافظين الجـدد. ويمكـن مـلاحظة ارتكانه على التـدبيـر الإلهى فى وصفه لإسرائيل والولايات المتحدة بأنهما دول غير ربانية وغير عادلة وسوف تنهار حتما.

وعلى النقيض من بعض التـصـورات الخـارجـيـة، لا يرى أحـمـدى نجـاد أنه يحـتـاج لفعل أى شيء لتـشـجـيع هذا الانهيـار ، بل، وحيث إن الانهيـار حتمى، فـلا داع للحديث أو للتفاعل مع هذه الدول أصلا. وتنسجم هذه القناعـات الدينيـة جـيـدا مـع تيـارات الفكر القـومى والمنـاهض للاسـتـعـمـار الأخـرى التى تخـتـرق أيضـا السياسات الإيرانية.

وفى ضـوء القناعات الدينية المعلنة كان على أحمدى نجاد تقديم نفسه كمدافع عن الحقوق القومية لإيران، وقـد اسـتـخـدم الأزمـة النووية بشكل جـيـد فى هذا الخصوص.

أمـا موقف الرأى العـام الإيرانى من هذا فـهـو محل

خـلاف، وإن كان اسـتـخـدام الشـعـور القـومى وفكرة أن الإيرانيين أصـحـاب تـاريخ ثابت وغـيـر مـتـغـيـر ودور إمبريالى فى الإقليم، يلقى صدًا شعبيًا.

هذا الشـعـور بالمهـمـة التـاريخـيـة والقـدرة على الاستمرار أقنع صناع السياسة الإيرانيين أن بإمكانهم تمرير هـذه الفـتـرة من الوجـود الغـربى فى الإقليم وأن القوى الغربية سوف تغادر حتمـا وسوف تترك المنطقة لإيران التى ستستفيد من الفوضى التى خلفوها.

ولهـذه الرؤية نتـيـجـتـان ، فـمن ناحيـة هى تشـجـع أصحـاب التوجه الإستراتيجى فى مؤسسـة الخارجية الإيرانية للانخراط بشكل بناء مع اللاعبين الإقليميين مـدفوعين بفكرة تهيئة المناخ السياسى لما بعد. ومن ناحيـة أخرى، فـقـد شـجـعت تلك الرؤية نمو درجـة من الرضـا عن الذات و"العنهجية" إزاء الغرب . ويمكن أن نشـهد هاتين الخاصيتين فى السـيـاسـة الإيرانية تجاه العراق.

تعقيدات القيادة الإيرانية:

رغم بروز أحمدى نجاد ، فلا يعطى النظام السياسى الإيرانى سلطة سياسية كاملة للرئاسة، إذ إنه، واتباعا لخطوات آية الله الخـمـينى ، يجيء القـائد الأعلى آية الله خـامنئى بشكل واضح على قـمـة هيكل السلطة الداخلى، هـذا وإن كانت ممارسـة السلطة الفعليـة أقل وضوحًا. وواقع الأمر يتضمن النظام الإيرانى مناورات مستمرة على النفوذ بين جماعات ومصالح وشخصيات ومؤسسات مختلفة .

وهناك أطروحتان أساسيتان فيما يتعلق بديناميات القوة الحقيقية فى إيران خاصة فيما يتعلق بالمسألة النووية ، الطرح الأول يرى أن خـامنئى مسـئـول بشكل كامل، مع على لاريجانى، الذى خلف حسن روحانى فى نهـاية ٢٠٠٥ فى رئاسـة مـجلس الأمن القـومى. بحيث يتلخص دور أحـمدى نجاد فى إدارة السياسة الداخلية وحفظ التـأييد الشـعـبى للمسـألة النووية عـبـر خطبه، وبصـفـتـه المفـاوض الرسـمى باسم إيران فى المحـافل الدولية ، يشرح لاريجانى تفاصيل الموقف الإيرانى، لكن الاستجـابات والمبادرات تظهـر نتيجـة لجهد مـشـتـرك يرعـاه خامنئى. ويكمن الضـعف فى هذا النظام فى أن أحـمدى نجاد لا يـزال يحـتـفظ بقـدرة تخـريبـيـة عـبـر تصريحاته العامة، فيما أن وزير الخارجية الذى عينه ، منوشـهـر متقى، لا يملك أى قـوة حقـيقـيـة وهـو مجرد متحدث رسمى للسياسة التى يتم إقرارها.

الطرح الآخـر يرى أن هذه الصـورة قـد تعـقـدت الآن بعناصر أخرى تغذى هيكل السلطة. أكثر هذه العناصر بروزا هو المجلس الاسـتـراتيـجى للعـلاقـات الخـارجـيـة الذى أسسه خامنئى حديثا فى ٢٥ يونيو ٢٠٠٦, وتشير عضوية المجلس إلى أن خامنئى قد بات غير راض عن نهج أحـمـدى نجـاد فى قـضـايا السـيـاسـة الخـارجـيـة، ولموازنة ذلك، اتجه القـائد الأعلى لرمـوز سـيـاسـيـين مـحـسـوبين على الاتجـاه الإصـلاحى الذى تمتع ببـزوغ قـصـيـر تحت حكم خـاتمى، ومن ثم تم تعـيين كـمـال خرازى، وزير الخـارجيـة السـابق، رئيسا للمجلس وتم أيضا تعيين على أكبر ولاياتى سلف خرازى فى منصب وزير الخارجية.

ويمكن لخـرازى ترشـيـح خـمـسـة أعـضـاء آخـرين للمجلس مما ينبئ بأن الطبيعة الإصلاحية للمجلس قـد تقـوى فى المسـتـقـبل، وتم تكليف المجلس بصنع استراتيجية وتدبر السياسة الخارجية بشكل يعلو فوق العمل اليومى لوزارة الخارجية ويختلف عنه.

ويوضح وجود مثل هذه المؤسسة مدى تدهور العلاقة بين خـامنئى وأحـمـدى نجـاد، فـالمجلس هو أداة أخـرى للتنسيق السـيـاسى تضاف إلى النظام القـائم، وسيكون على الرئيس أن يتـبـارى مـعـهـا. كـذلك يواجـه وزير الخارجية متقى القيد المتمثل فى وجود سلفيه (ولاياتى وخـرازى) فى مـوقع المراقب له. ورغم أنه مـازال على المجلس أن يثبت نفسه، فإن هذه الخطوة تؤشر إلى أن خـامنئى يحـاول أن يجـعل السـيطرة على السـيـاسـة الخـارجـيـة خـارج نطاق المواقف المتشـددة التى يحـاول أحمدى نجاد ومؤيدوه المتشددون اتخاذها.

إيران وإقليمها:

يقدم العـراق نموذجـا مـصـغـرا لسـيـاسـة إيران تجـاه "الخـارج القـريب". وفى سيـاقها التاريخى، لا يمكن فهم سـيـاسـة إيران تجاه العراق انفصالا عن خبـرة الحـرب الإيرانيـة – العراقيـة. إذ تكمن فى مركز الاستراتيجية الإيرانيـة قناعـة مـفـادها عـدم السـمـاح بأى تهـديد عسكرى من جـهـة العـراق كما حدث فى الثـمـانينيات، وهذه مسـألة لا تتفـاوض حولها أى حكومة إيرانية. فى حين أن كل شيء آخـر فى العـراق قـابل للتفـاوض، رغم أن إيران تفـضل حكومـة عـراقـيـة صـديقـة، بعيـدة عن الدعـم والوجـود العـسكرى الأمـريكى، تقـوم على رأس كيـان فـيـدرالى متـرهل مـخـتـرق بقـوة من قـبل المصـالح السياسية والاقتصادية الإيرانية.

من منظور ايجابى، فإن حالة العراق تُظهر الطريقة النموذجـيـة التى اسـتطاع بهـا الإيرانيون الاسـتفادة من حالة الفوضى مع وجود تصـور للإعداد لبيئة أفضل، فـقـد كـانوا نشـيطين داخل التـجـمـعـات الشـيـعـيـة فى الجنوب وبين الأكـراد فى الشـمـال عـبـر تقـديم الدعم العسكرى والمالى واللوجستى للحلفـاء الأسـاسـيين. وتم هذا فى البـداية بموافـقـة ضـمنيـة من قـوات التحـالف خـاصـة فى الجنوب حـيث ازدهرت المنظمـات غـيـر

الحكومية غير الهادفة للربح بتمويل ودعم إيراني، وقد بدت هذه المنظمات كقوة استقرار بعد الإطاحة بصدام حسين. لكن، فيما بعد، وبصفة خاصة بعد انتخاب أحمدى نجاد، بات المسئولون الأمريكيون والبريطانيون أكثر صراحة فى نقد النفوذ الإيرانى فى مناطق الشيعة واتهام "عملاء" إيرانيين بتدريب وإمداد الميلشيات العراقية بالسلاح.

وحيث يرى أحمدى نجاد ومؤيدوه أن العراق هى نموذج للإخفاق الغربى الذى سيسفر عن مغادرتهم الإقليم اليوم قبل غدا، فهو لا يرى سببا للاتصال أو التواصل مع القوات الأجنبية إطلاقا. كان هذا أوضح ما يكون فى محاولات الحوار بين السفير الأمريكى فى العراق والإيرانيين. وفيما دعم آية الله خامنئى إجراء المباحثات على ما يظهر، اتخذ أحمدى نجاد خطوة غير معتادة باختلافه مع القائد الأعلى، وقوله إن المباحثات غير ضرورية. وقد انهارت المباحثات تحت ثقل الضغوط الدبلوماسية، لكن تدخل أحمدى نجاد كان مع ذلك لافتا للنظر وكشف كثيرا من ديناميات السياسة الإيرانية الداخلية. وتمثلت تبعات هذا التدهور فى العلاقة فى ارتفاع التوتر بين قوات التحالف وإيران، وبصفة خاصة الحرس الثورى (المتهم بدعم ميليشيات مناهضة للتحالف) مع نمو حرب وكالة تدفقت إلى المقاطعة الإيرانية خوزستان.

وتبدو إيران شديدة التعلق بعلاقاتها مع روسيا والصين مصورة إياهما بأنهما المعلم والحامى المخلص والشريك التجارى المهم، وذلك خلال الأزمة المتواصلة مع القوى الغربية. ورغم أن كلتا الدولتين وافقتا على دعم عرض التسوية الدولى الذى قدم لإيران فى مايو ٢٠٠٦، فلربما تتغير المواقف بعد قرار مجلس الأمن الذى حظى بموافقة الدولتين فى يوليو ٢٠٠٦. ففيما كانت كل من روسيا والصين تدعمان بقوة إيجاد حل سلمى ودبلوماسى للأزمة النووية، يظل من غير الواضح المدى الذيسوف يذهبان إليه على صعيد دعم العقوبات الاقتصادية والسياسية ضد إيران.

من منظور إيرانى، هناك بلا شك قلق داخلى من اعتماد إيران المتنامى على روسيا، فمن منظور تاريخى، تعتبر روسيا حليف لا يمكن الاعتماد عليه، ومن الخطأ تصور أن العلاقات مع هاتين القوتين يحسمها أى شىء غير المصالح الاستراتيجية المشتركة.

لهذا السبب، لا ينبغى تفسير تطورات العلاقة السياسية والدبلوماسية الأخيرة بين كل من روسيا والصين وإيران بوصفها نقطة تحول إستراتيجى فى أولويات إيران ورؤيتها للعالم. إن طموحات إيران، وميولها الثقافية وحاجاتها الاقتصادية تظل مشدودة بإحكام إلى الغرب.

تطور إيران علاقة مع الهند تمليها حاجة الأخيرة للنفط والغاز الإيراني. كما أن العلاقات الإيرانية قوية مع تركيا، اعتمادا على ميولها الثقافية واللغوية (نحو ٢٥٪ من الإيرانيين، الأذريين، يتحدثون اللغة التركية)، وقد تحسنت علاقتهما السياسية بشكل كبير منذ ٢٠٠٣ فى ضوء إدراكهما المشترك لتداعيات وجود قوات التحالف فى العراق.

ورغم أن التحالف الاستراتيجى مع سوريا قوى ودائم، فهو بالنسبة للإيرانيين ليس أكثر من تحالف ورقى لردع الإسرائيليين. فإيران ترى أن لسوريا دورا حيويا فى حفظ الدعم لحزب الله فى مواجهته لإسرائيل، لكنها تظل متشككة فيما إذا كانت سوريا قادرة على مقاومة هجوم عسكرى إسرائيلى على أرضها. وتدعم إيران حزب الله سياسيا وعسكريا وتثمن قدرة التنظيم على إيذاء إسرائيل، وقد عكس رد فعل إيران قليل الحماس للمعارك بين حزب الله وإسرائيل فى يوليو- أغسطس ٢٠٠٦، رغبتها فى أن تظل بعيدة عن المتاعب وتحاشى أى تصعيد إقليمى. ورغم أن التعاطف الشعبى مع اللبنانيين قوى لكن الحرب لقت اهتماما محدودا فى إيران حيث تظل القضية النووية هى الأكثر أهمية.

العلاقات بين إيران ودول شبه الجزيرة العربية تظل ودية وان كانت متحفظة، بصفة خاصة نتيجة مخاوف الأخيرة من امتداد تبعات الدبلوماسية الفاشلة حول القضية النووية إلى الخليج (الفارسى). كذلك فقد أدى خطاب أحمدى نجاد العام واستخفافه بالولايات المتحدة فى رفع درجة قلق القادة العرب من حماسته الثورية التى قد تؤثر فى شعوبهم خاصة فى دول الخليج العربية الموالية للولايات المتحدة. وقد ألقت تصريحات أحمدى نجاد الجريئة حول إسرائيل والولايات المتحدة الضوء على حدود الدبلوماسية العربية "المعتدلة" إزاء خلق دولة فلسطينية، وجعلت من أحمدى نجاد رمزًا شعبيًا للمقاومة فى الشارع العربى.

الخوف العربى الأكبر هو ظهور هلال شيعى على أنقاض العراق، كذلك فإن احتمال أن تكون إيران على المدى البعيد هى المستفيد الأساسى من الحرب على الإرهاب هو هاجس عربى آخر، لا سيما بين الدول التى بها عدد غير قليل من السكان الشيعة مثل البحرين والمملكة العربية السعودية. وبالنسبة لإيران وفى ظل استبعاد عودة وشيكة للإمام الغائب، فمن غير المحتمل ظهور هلال شيعى. والإيرانيون أنفسهم غير معنيين بهذا الأمر، بل قلقون فى الواقع إزاء احتمال أن تقوم الولايات المتحدة بتوجيه ضربة عسكرية ضد

المنشآت النووية الإيرانية، والتى ستكون تدميرية ليس فقط بالنسبة لإيران بل لكامل إقليم الخليج الفارسى وربما ما وراءه أيضًا.

النفط كسلاح فى الترسانة الإيرانية:

فيما يستبعد وزير النفط الإيرانى ومسئولون إيرانيون آخرون استخدام النفط كسلاح سياسى، فقد حذر آية الله خامنئى الدول الغربية فى ٤ يونيو٢٠٠٦ من أن محاولات معاقبة طهران سوف تعرّض شحنات الطاقة من الخليج (الفارسى) للخطر، لكنه أضاف أن إيران لن تكون البادئة بالحرب.

يربط الاعتماد الاقتصادى المتبادل كل من إيران ومستوردى النفط العالميين. وفى عام ٢٠٠٣، قبيل طفرة الارتفاع فى أسعار النفط، اعتمدت الحكومة الإيرانية على صادرات النفط فى تأمين ٦٠٪ من عوائدها. وتعتمد أسواق النفط على صادرات إيران النفطية التى تقدر بـ٢,٧مليون برميل يوميا. وإذا ما تم إعاقة هذه الصادرات سواء عبر هجوم، أو من قبل إيران نفسها، لن يكون بمقدور المنتجين الآخرين عبر طاقتهم الإنتاجية الفائضة تعويض السوق عن النقط الحادث، إذ تبلغ الطاقة الإنتاجية الفائضة الآن نحو ١,١ إلى ١,٦ مليون برميل يوميا، وهو رقم يقل كثيرا عن رقم عام ٢٠٠٢ المقدر بـ٦ملايين برميل يوميا.

وقد انخفضت الاستثمارات فى الطاقة الإيرانية فى عام ٢٠٠٥ نتيجة صراع القوة بين مجلس صيانة الدستور ووزارة النفط، حيث سعت كل مؤسسة منهما إلى احتكار القرارات المؤثرة فى القطاع، وكان على جدول الأعمال مشروعات للإصلاح تهدف إلى إعادة بناء العلاقة بين الحكومة وشركة النفط الوطنية، وكذلك برنامج مكلف لتخفيض استهلاك الطاقة الداخلى وقد وُضع هذا البرنامج من قبل كل من الشركة والوزارة لإعطاء دفعة تنظيمية ومالية للصناعة من أجل زيادة إنتاج النفط والغاز.

وقد أدى انتخاب الرئيس أحمدى نجاد فى يونيو ٢٠٠٥ إلى إحداث توتر عميق بقطاع النفط، إذ كان يفضل وسائل بديلة لإصلاح نظام الدعم، كما حَمَل على الوزارة ووعد بتطهيرها من الفساد، وهدد بطرد المئات من موظفى شركة النفط الوطنية. ولشهور خيم مناخ من عدم اليقين فى قطاع النفط الإيرانى، حيث رُفض أول ثلاثة مرشحين لمنصب وزير النفط من قبل المجلس بحجة أنهم غير مؤهلين بشكل كاف، وقد أثر استمرار الفراغ فى القيادة لمدة ٦ شهور على قرارات الإدارة فيما يخص المبادرة باستثمارات كما تأجلت قرارات مهمة. ومنذ ذلك الحين حال تصعيد التوتر مع الولايات المتحدة دون دخول المستثمرين الذين يعتمد عليهم قطاع الطاقة لتنفيذ التوسعة المخطط لها فى الإنتاج.

خلفية المسألة النووية :

ترجع طموحات إيران النووية إلى فترة ما قبل الثورة، أى فترة حكم الشاه فى الستينيات، فكثيرا ما أشارت التصريحات الرسمية منذ ذلك الحين إلى سياسة لتطوير تقنية نووية موجهة للأغراض السلمية، وقد وقعت إيران معاهدة حظر الانتشار النووى (NPT) (فى عام ١٩٦٨ وكذلك اتفاقية ملحقة خاصة بالإجراءات الوقائية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية دخلت حيز التنفيذ عام ,١٩٧٤

وبعد فترة هدوء سببتها الحرب مع العراق خلال الثمانينيات، انبعث برنامج إيران النووى منذ مطلع التسعينيات. منذ ذلك الحين قدّرت الشكوك الدولية أن الطموحات النووية الإيرانية تهدف إلى الحصول على تقنية مزدوجة الأغراض، بحيث يشكل البرنامج المدنى غطاءً استراتيجيًا لتطوير قدرات لتخصيب اليورانيوم بالمستويات التى يتطلبها تصنيع سلاح نووى.

وفى أغسطس ٢٠٠٢ ، تم تمرير دليل على وجود مفاعلات لتخصيب اليورانيوم فى إيران إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقامت بذلك جماعة إيرانية معارضة هى المجلس الوطنى للمقاومة الإيرانية. ورغم أن الحكومة الإيرانية أعلنت فى مطلع ٢٠٠٣ أن منشآت التخصيب فى ناتنز وآراك موجودة بالفعل، فهذا الاعتراف المتأخر ألقى الشك حول مصداقية المواقف السابقة للحكومة الإيرانية حول المسألة النووية.

وفى عام ٢٠٠٣ أعلنت الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن الحكومة الإيرانية لا تقدم تقارير كاملة فيما يتعلق بموقفها النووى، وان لم تصفها بأنها تنتهك التزاماتها فى ضوء اتفاقية حظر الانتشار.

ولوقف التصعيد فى الأزمة التى أرادت الإدارة الأمريكية أن ترفعها لمجلس الأمن لما اعتبرت أنه عدم إذعان إيرانى لمقررات اتفاقية حظر الانتشار، تم التوصل إلى اتفاق فى أكتوبر ٢٠٠٣حيث قامت دول الترويكا الأوروبية الثلاث (بريطانيا وفرنسا وألمانيا) بالتفاوض مباشرة مع إيران بالنيابة عن الجماعة الدولية.

وقد أعطى الغياب المستمر لأى علاقة دبلوماسية مباشرة بين الولايات المتحدة وإيران (منذ أزمة الرهائن عام ١٩٨٠) الأوروبيين دورا قياديًا، وإن لم يتمتع هذا الدور بالثقل التساومى الكافى لموازنة هواجس إيران الأمنية، هذه الهواجس التى زادت فى ظل الوجود

العسكرى الأمريكى فى أفغانستان منذ ٢٠٠١ وفى العراق منذ ٢٠٠٣.

ونص الاتفاق الذى تم التوصل إليه على أنه فى مقابل قيام إيران بتعليق أنشطتها النووية والالتزام بالبروتوكول الإضافى - وهو ملحق لاتفاقية الإجراءات الوقائية يسمح بنظام تفتيش أكثر اقتحامية- تقوم الترويكا الأوروبية بدراسة خيارات لمساعدة إيران على تطوير برنامج نووى سلمى مع مبادرات تجارية. إلا أن العامين التاليين من المباحثات سادهما مناخ من عدم الثقة.

ففى فبراير ٢٠٠٤ أثار الكشف الذى أعلنه مهندس البرنامج النووى الباكستانى عبد القدير خان حول أن شبكته قد قدمت خططا ومعدات نووية لإيران ولكوريا الشمالية منذ نهاية الثمانينيات، أثار مخاوف حول أن إيران كانت مستمرة فى تمهيد الطريق للعودة إلى تخصيب اليورانيوم بمستوى تصنيع أسلحة نووية.

وبعد تمرير البرلمان الإيرانى لمشروع قانون فى أكتوبر ٢٠٠٣ أقر استئناف أنشطة التخصيب، حثت الأزمة المتفاقمة اتفاقا آخر بين إيران والترويكا الأوروبية تم التوصل إليه فى باريس فى نوفمبر ٢٠٠٤ ، وبمقتضاه وافقت إيران على تعليق تخصيب اليورانيوم فى مقابل عروض أكثر تحديدا وتفصيلا من قبل الترويكا الأوروبية.

وكان الأمل أن تؤدى هذه العروض المتعلقة بمساعدة إيران فى برنامج لتطوير طاقة نووية سلمية عبر عروض لبناء والإمداد بمفاعلات كهرباء- ماء لا تتطلب يورانيوم مخصب بالمستوى المطلوب لصنع سلاح نووي.. أن تؤدى إلى إعطاء إيران حافزا كافيا لتوسيع التعليق الاختيارى وتحويله إلى تخلى كامل عن مطلب الحصول على قدرات نووية.

وحسب المفاوض الإيرانى آنذاك حسن روحانى، لم يكن هذا خيارا لإيران. فالخلاف من وجهة النظر الإيرانية لم يكن فقط حول الطموحات النووية الإيرانية، بل حول قضية السيادة الإيرانية والحقوق القومية. وفى فترة لم تتعرض فيها لا الهند ولا باكستان (اللتين تمتلكان مقدرات نووية معلنة منذ عام ١٩٩٨) ولا إسرائيل بطبيعة الحال، لعقوبات لتطوير أسلحة نووية خارج قيود اتفاقية حظر الانتشار، فإن المفاوضين الإيرانيين تمسكوا بالحجة التى تقول إن حق إيران فى الانخراط فى تخصيب اليورانيوم لأغراض سلمية هو أمر غير قابل للتفاوض فى ظل مقررات كل من اتفاقية حظر الانتشار واتفاقية الإجراءات الوقائية الإضافية التى تم الالتزام بها عام ٢٠٠٣.

ومن ثم فمحل الخلاف من وجهة نظر إيران، هو الوسائل التى تتبناها طهران لمحاولة إقناع الجماعة الدولية أن هذا هو كل ما تنتويه . وفى خطبة له فى سبتمبر ٢٠٠٥، كشف حسن روحانى نفسه عن أن فريق التفاوض الإيرانى استخدم بشكل متكرر تكتيكات التأخير والمراوغة والخداع مع الأوروبيين من أجل إحراز تقدم على صعيد العمل الإعدادى الفنى للعودة إلى التخصيب النووي.

فى أغسطس ٢٠٠٥، بعد انتخاب محمود أحمدى نجاد رئيسا، أعلنت إيران أحاديا أن تعليقها للنشاط النووى ليس دائما وأن النشاطات فى منشأة أصفهان لتحويل اليورانيوم سوف تستأنف فى نهاية الصيف. وبعد هذا بوقت قصير، عارض الإيرانيون عروض الترويكا الأوروبية لإمداد مفاعل كهرباء- ماء. وأوضحت خطبة نجاد الأولى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر ٢٠٠٥ ، أن إيران لن تقبل الإمداد بالوقود من أجل برنامجها النووى من دول أخرى، وأعاد نجاد التأكيد على نوايا إيران السلمية ومعارضتها لوجود أسلحة نووية فى الشرق الأوسط ، قائلا "طبقا لمبادئنا الدينية فإن الحصول على سلاح نووى هو أمر محظور" وإن لم يتم تصديق هذا الكلام داخل نظام الأمم المتحدة.

وفى ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٥ تبنت الوكالة قرارا بأغلبية ٢٢صوتا (بمعارضة فنزويلا وتحفظ ١٢دولة) نص على أن القصور فى التقارير الإيرانية يشكل "عدم إذعان" لاتفاقية الإجراءات الوقائية ويثير "تساؤلات داخل نطاق اختصاص مجلس الأمن" .ورغم أن طبيعة "عدم الإذعان" الإيرانى كانت خلافية ، فقد أعاق هذا القرار بحسم رجوع إيران إلى مائدة التفاوض وفتح الباب أمام اقتراحات أكثر مباشرة من قبل كل من الترويكا الأوروبية والولايات المتحدة.

ومع إعادة انتخاب جورج بوش رئيسا فى نوفمبر ٢٠٠٥ ، تمت العودة إلى موضوعات سبق أن أطلقها بوش فى خطبة "محور الشر" التى ألقاها فى يناير ٢٠٠٢، بالإضافة إلى ادعاءات بانتهاكات نووية، وجددت الولايات المتحدة إشارتها إلى دور إيران كراع للإرهاب وذلك بالأساس لدعمها كل من حزب الله فى لبنان والجناح المسلح لحماس فى فلسطين. وأرجع المسئولون الأمريكيون أيضًا عدم الاستقرار المتزايد فى محافظات العراق الجنوبية التى يسيطر الشيعة عليها، إلى وجود عملاء إيرانيين يدعمون الميلشيات العراقية بالسلاح والتدريب.

وبالقدر نفسه من الأهمية بالنسبة للمصالح الأمريكية فى العراق، كانت هناك مخاوف من أن الحكومة الجديدة التى تتشكل عقب الانتخابات

الوطنية العراقية فى ١٥ديسمبر ٢٠٠٥ قد تتضمن أغلبية من الأحزاب ذات القاعدة الدينية الشيعية والمتأثرة بقوة بتحالفات مع النظام فى طهران حيث قضى العديد من عناصرها سنوات منفاهم هناك.

أحد الاهتمامات الأساسية للولايات المتحدة هو حماية أمن إسرائيل، الدولة التى ستكون فى مهب الخطر لو استطاعت إيران تطوير أو الحصول على أسلحة نووية، وقد كانت خطب الرئيس أحمدى نجاد منذ النصف الثانى من عام ٢٠٠٥ حول أن إسرائيل يجب أن "تمحى" وأن الهولوكوست هو محض زيف تاريخى .. كانت أداة استخدمها كل من أعضاء حكومة إسرائيل، ومؤيدو إسرائيل فى إدارة بوش الذين حاجوا بأن إيران تمثل التهديد الأكبر لمصالح الولايات المتحدة وإسرائيل فى الشرق الأوسط.

وبجانب المخاوف من نوايا إيران النووية، كانت هناك مخاوف حول تزايد مقدرات إيران على صعيد السلاح التقليدى، حيث تضم ترسانة إيران جيلا جديدا من صواريخ شهاب-٣ تم الكشف عنها فى عام ٢٠٠٥ ويبلغ مداها ١٢٠٠كم. وتستطيع هذه الصواريخ بلوغ إسرائيل لكن احتمال أن تلحق بها رؤوس نووية ما زال بعيدا. أما شهاب -٤ ، وهى قيد التطوير حاليا فينتظر أن يكون مداها ٢٠٠٠كم ، كما أن الحصول على تكنولوجيا الفضاء (ظاهريا من أجل أغراض فضائية سلمية) قد أضاف إلى عدم اليقين حول نوايا إيران وكذلك قدرتها الفنية على تحقيق خططها.

قوة إيران خلال أحداث ٢٠٠٦:

حدد تشدد المواقف بين الولايات المتحدة وإيران إيقاع القضية النووية التى سادت خلال النصف الأول من عام ٢٠٠٦. وقد شهد تغير الرئاسة فى إيران استمرارا فى المراوغة الإيرانية على الجبهة الدبلوماسية مع تشدد فى اللغة الرسمية، وعلى الجانب الآخر ، أدى تجديد رئاسة بوش فى الولايات المتحدة إلى تكثيف الجهود على مواجهة نفوذ إيران بالتركيز على القضية النووية ، واحتواء كل من الانفراجات الدبلوماسية والتهديد بالعقوبات دون استبعاد الاستخدام المطلق للقوة.

تغير السياق مرة أخرى منذ منتصف يوليو ٢٠٠٦؛ حيث ظلل اندلاع الحرب بين حزب الله وإسرائيل على فعاليات قمة الثمانية الكبار، وبات أمام القمة أزمة ملحة تتطلب ردًا بدلا من النقاش المقرر حول نقل الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن. وانشغلت كل من إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا برؤية سوريا وإيران يدا بيد لدعم حزب الله.

ورغم أنه من غير المحتمل أن تكون إيران قد بدأت هجمة حزب الله فى ١٢يوليو، فالحزب ولا شك لن يعمل دون أخذ موافقة والرجوع إلى داعمه الأيديولوجى والعسكرى والمالى الأساسى.

وقد تناسب اتساع الصراع مع محاولات إيران للتوفيق بين مصالحها الاستراتيجية ومصالح الفاعلين الآخرين، داخل وخارج الشرق الأوسط. ففى مطلع ٢٠٠٦ على سبيل المثال، استخدم المفاوضون الإيرانيون فكرة التوصل إلى اتفاق مع روسيا حول الإمداد بالوقود النووى وإعادة تدويره ، لوقف اتفاق الرأى بين الولايات المتحدة والترويكا الأوروبية حول أن إيران يجب أن تتحول إلى مجلس الأمن لافتقارها الدائم للشفافية مع مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

ومنذ سبتمبر ٢٠٠٥ ، عندما أعلنت الوكالة أن إيران تخل باتفاقية الإجراءات الوقائية ، فشلت إيران فى الرد على كل أسئلة الوكالة حول نشاطها فى مجال التكنولوجيا النووية، هذا التقاعس المستمر عن التقدم الموضوعى زاد القلق حول نوايا إيران، كما أن الفشل فى المفاوضات مع روسيا حول إيجاد قدرات تخصيب يورانيوم بديلة، قد عبّر عن نفسه فى رفع الوكالة قلقها إلى الأمم المتحدة فى ٨ مارس ٢٠٠٦، ومهد هذا الطريق أمام الولايات المتحدة والترويكا الأوروبية للتحرك من أجل دفع إيران إلى مجلس الأمن.

ورغم الضغط المكثف من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا على الأعضاء الدائمين الآخرين ، لم توافق أى من الصين أو روسيا على استصدار قرار ملزم قانونا. وقاومت الدولتان تقرير أن إيران تفرض تهديدا على السلم والأمن الدوليين (الأمر الذى استخدمته الولايات المتحدة سابقا لشرعنة هجمتها على العراق) لكى تعوق قدرة الولايات المتحدة عن القيام بتصرف عسكرى ضد إيران دون الرجوع إلى مجلس الأمن.

وكنتيجة لهذه المقاومة، أصدر مجلس الأمن فى ٢٩مارس بيانًا فقط وليس قرارا، مطالبا إيران بالإذعان لمطالب الوكالة خلال شهر. وتحت الضغط، استمر النظام الإيرانى فى الاستجابة للمطالب الدولية بمزيج من المراوغة وتأكيدات أقوى على حقوق السيادة الإيرانية.

ومن منظور واسع فقط صب هذا فى مصلحة إيران. وقام الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد، متجاهلا موعد أبريل الماضى الذى حدده بيان مجلس الأمن ، بالإعلان أمام حشد إيرانى كبير فى ١١ابريل ٢٠٠٦ أن إيران قد أنتجت بنجاح كما كافيا من اليورانيوم المخصب لتنضم بذلك إلى مجموعة الدول المالكة للتكنولوجيا النووية.

ورغم أن الدليل على هذا ما زالت صحته غير مؤكدة، ورغم أن أى إنتاج سيكون أقل بكثير من المطلوب لبناء قدرة نووية بمستوى تصنيع سلاح نووي، فإن التأثير الرمزى لتأكيدات نجاد العلنية كان عظيمًا.

وبعد تبدد التهديدات بعقوبات اقتصادية أو سياسية أو إجراءات أخرى (عسكرية) عبر الجهود التى قادتها الولايات المتحدة والترويكا الأوروبية منذ بداية العام، أقنع الأوروبيون الولايات المتحدة فى نهاية مايو ٢٠٠٦ بتقديم قائمة مكتوبة لإيران تتضمن حوافز تحملها على تغيير موقفها، مع تواصل شفوى غير معلن يوضح التبعات السلبية التى ستنجم إذا لم تكبح إيران طموحاتها النووية.

وفى تغير راديكالى للمسار، عرضت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس إجراء مفاوضات مباشرة مع إيران مخالفة بذلك الموقف الدبلوماسى القائم منذ ٢٧ عاما، وذلك بشرط تقديم دليل ثابت الصحة على أن إيران قد أوقفت كل نشاطات تخصيب اليورانيوم.

كان رد الفعل الإيرانى متوقعًا؛ ففيما رحبت طهران بقائمة الحوافز التى قدمها لها شخصيا خافيير سولانا المنسق الأعلى للسياسة الخارجية للاتحاد الأوروبى فى ٦يونيو ٢٠٠٦، فقد اعترض مسئولون إيرانيون على الموعد النهائى المحدد من قبل الأوروبيين والولايات المتحدة باعتباره لا يمنح إيران وقتا كافيا للنظر فى المآلات السياسية والقانونية، وفى استجابة لتصريح للرئيس أحمدى نجاد فى ٢١يونيو حول أن إيران سوف تستجيب للاقتراحات بنهاية أغسطس، غيرت الولايات المتحدة والترويكا الأوروبية الموعد النهائى إلى ٥يوليو، ثم إلى ١٢يوليو للتوافق مع بداية قمة الثمانية الكبار، وكان كلا التأجيلين بلا جدوى.

وزاد الطين بلة، ما صرح به القائد الأعلى أية الله خامنئى كرد على عرض إجراء المباحثات المباشرة، حيث أعلن فى نهاية يونيو أن "التفاوض مع أمريكا ليس له أى فائدة لنا ونحن لا نحتاج هذا التفاوض".

ورغم أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى حاولا فى يوليو ٢٠٠٦ إحياء محاولاتهما للحصول على موافقة الأمم المتحدة على اتخاذ موقف أكثر حسما ضد إيران، فلم يخرج إلى الواقع قرار عن مجلس الأمن يعتبر إيران خطرا وشيكا على الأمن والسلم الدوليين.

ومع احتلال الصراع بين إسرائيل وحزب الله صدارة الاهتمام الدولى منذ منتصف يوليو ٢٠٠٦، فإن تبعات فشل إسرائيل فى هزيمة حزب الله بالوسائل العسكرية قد دعمت موقف إيران التى ظهرت بوصفها نقطة إقليمية مركزية لمقاومة السياسة التى تقودها الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

فى ٣١يوليو أصدر مجلس الأمن القرار رقم ١٦٩٦ بغالبية ١٤ (ومعارضة قطر) وفيه أبدى المجلس قلقه من أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية مازالت عاجزة عن تقديم تأكيدات حول النشاطات والمواد النووية غير المعلنة لإيران بعد أكثر من ٣سنوات، وطالب إيران بوقف جميع نشاطاتها المتعلقة بالتصنيع والتخصيب بما فيها البحث والتطوير وإعطاؤها شهرا واحدا لفعل ذلك أو تواجه مسئولية العقوبات الاقتصادية والدبلوماسية.

دراسة

مواقف الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة حيال الملف النووى الإيرانى

■ د. محمد على بصيرى× ■ مصطفى قاسمى××

اطلاعات سياسى اقتصادى (الأخبار السياسية الاقتصادية)
العدد ٢٢٥ و٢٢٦ ، أغسطس- سبتمبر ٢٠٠٦

عملت أوروبا بعد انتهاء الحرب الباردة على استعادة نفوذها السابق فى الشرق الأوسط وفى هذا الإطار طرحت فى عام ١٩٩٤ فكرة إنشاء بنك أوروبى بالشرق الأوسط ليساهم فى تنمية العلاقات الاقتصادية الأوروبية مع هذه المنطقة إلا أن هذه الفكرة لم تنفذ مطلقا، كما لم تصل سائر مساعى الاتحاد الأوروبى للحصول على نصيب فى إدارة الشرق الأوسط إلى نتيجة.

وكان الطريق الوحيد أمام الدول الأوروبية هو أن تعمل على تنمية علاقاتها الثنائية مع أى دولة من دول الشرق الأوسط لكن الولايات المتحدة لما لها من نفوذ على نظم المنطقة تستطيع بسهولة سد هذا الطريق.

ويبدو أن الدولة المستقلة الوحيدة التى يمكن أن يعتمد عليها الأوروبيون هى إيران خاصة أن ظهور محمد خاتمى على الساحة السياسية فى عام ١٩٩٧ وإجراء إصلاحات عديدة فى السياسة الخارجية من بينها مشروع حوار الحضارات قد قوبل بترحاب شديد من جانب الدول الأوروبية وتحول الحوار النقدى الذى كانت أوروبا قد بدأته مع إيران منذ عام ١٩٩٢م إلى حوار بناء، وكانت زيارة خاتمى لعدد من الدول الأوروبية - وتوقيع عدد من الاتفاقيات المهمة مع الشركات الفرنسية المخالفة للمقاطعات الأمريكية - دليلاً على حرارة العلاقات الثنائية وبالنظر إلى ما قد قيل فإن أوروبا فى إطار أن يكون لها مزيد من النفوذ فى الشرق الأوسط والتحول إلى قوة ذات نفوذ دولى قد تبنت أحيانا سياسات منفصلة عن السياسات الأمريكية فى المنطقة وخاصة حيال إيران.

وبالنظر إلى المواقف الأمريكية والإيرانية فإن أوروبا تسعى لاستغلال هذه الفرصة كى يكون لها نفوذ فى المنطقة وما هى هذه الفرصة أكثر من أى شئ آخر هو الملف النووى الإيرانى. فقد عملت أوروبا التى كانت طرفاً أساسياً مع إيران فى الحوارات النووية فى إلا يصل هذا الملف الى نهاية إلا أنها فى هذا الصدد وقعت أكثر من ذى قبل تحت الضغوط الأمريكية لاتخاذ قرار بخصوص الملف النووى الإيرانى فى مجلس الأمن.

ومن الممكن أن تفيد دراسة وتتبع المواقف الأوروبية والأمريكية حيال الملف النووى الإيرانى جهاز السياسة الخارجية الإيرانية فى اتخاذ قرارات أكثر عقلانية فى البيئة الدولية الجديدة لأنه من وجهة نظر بعض الأشخاص توجد إمكانية استغلال التضاد والتنافس بين أوروبا والولايات المتحدة بناء على دبلوماسية "هات وخذ" والبعض الآخر يرى أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى تجمعهما قيم واحدة وعلاقة لا تنفصم وليسا على استعداد مطلقاً لحدوث شرخ فى علاقاتهما بسبب إيران وستعمل هذه المقالة عن طريق دراسة السياسات الأمريكية والأوروبية على توضيح المواقف الأمريكية والأوروبية حيال الملف النووى الإيرانى.

١- سوابق التوجه النووى الإيرانى:

بدأ التوجه النووى الإيرانى باتفاقية التعاون النووى غير العسكرى بين إيران والولايات المتحدة فى عام

× عضو هيئة تدريس بجامعة أصفهان.

×× خبير فى العلاقات الدولية.

١٩٥٧ وبمقتضى هذه الاتفاقية كانت الولايات المتحدة تؤجر عدة كيلو جرامات من اليورانيوم المخصب لإيران وكانت تتعاون معها فى المجالات ذات الصلة بالنظر إلى جزء من بنود هذه الاتفاقية نلاحظ عدة نقاط جديرة بالاهتمام وقد قيل فى الجزء الأول: أن الطاقة النووية هى احتياج يواجه كل الإنسانية ويجب على الجميع أن يستفيد من هذه الإمكانية، الجدير بالاهتمام أنه فى الاتفاقية الأولى عام ١٩٥٧ كانت قد وضعت بعض القيود على امتلاك يورانيوم فوق ٢٠٪ تم التغاضى عن هذه القيود فى الاتفاقية المعدلة التى تم توقيعها فى عام ١٩٦٤وفى هذا الصدد يجب القول لماذا كانت الولايات المتحدة فى ذلك الوقت تحث إيران على التوجه النووى؟ فى عام ١٩٥٧م أعرب الرئيس الأمريكى أيزنهاور فى لقائه مع قادة بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية عن قلقه من احتمالية أن يشن الاتحاد السوفيتى هجوماً مفاجئاً على حدود إيران الشمالية وقال لأصدقائه الغربيين للحفاظ على مصالح الولايات المتحدة لابد أن تصبح إيران نووية على عكس اليوم حيث يقول بوش أن امتلاك إيران القوة النووية سيعرض المصالح الأمريكية للخطر.

وبعد عام من توقيع الاتفاقية بين إيران والولايات المتحدة دخلت الحكومة الإيرانية فى عام ١٩٥٨ فى عضوية الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وفى عام ١٩٦٧م بدأ مفاعل نووى بحثى بقدرة ٥ ميجاوات العمل فى جامعة طهران وكانت الولايات المتحدة قد قدمت هذا المفاعل لإيران.

وفى إطار الدعم لإيران تم التوقيع فى ١٩٧٦/٦/٤ على اتفاقية شراء مفاعلين نوويين بقدرة ١٢٠٠ ميجاوات لمحطة بوشهر بين إيران وألمانيا الغربية وتم أيضا شراء مفاعلين نوويين بقدرة ٩٠٠ ميجاوات من فرنسا لتشغيلهما فى بندر عباس وكانت إيران والهند قد وقعتا اتفاقية تعاون نووى أيضا وفى أغسطس من عام ١٩٥٧ وقعت شركة جراند ورك يونيون الألمانية الغربية اتفاقية مع منظمة الطاقة النووية الإيرانية بمقتضاها تم العمل فى المحطات النووية الإيرانية وفى أكتوبر من عام ١٩٧٧م توصلت فرنسا لاتفاق مع إيران لإنشاء محطتين نوويتين بقدرة ٩٠٠ ميجاوات فى دار خوين "بالقرب من الأهواز" وفى ديسمبر من عام ١٩٧٧م أعطت حكومة ألمانيا الغربية بحصولها على ٤,٨ مليار دولار الإذن لشركة جراند ورك يونيون لإنشاء أربعة مفاعلات نووية إلا أن الظروف تغيرت رويداً رويدا وفى عام ١٩٧٦م بدأت شركة يورديف الفرنسية والإيرانية تعاوناً نووياً وكانت هذه الشركة خاصة بتخصيب اليورانيوم وقد أنشأت يورديف برأس مال عدد من الدول الأوروبية، وقد قبل الشاه أن يقوم بالاستثمار فيها ودفعت إيران ما يتراوح ٢٠-٢٥٪ من رأسمالها حتى تستطيع بسهولة توفير اليورانيوم المخصب لوقود المصانع النووية وفى ظل الظروف الحالية تؤكد فرنسا أيضاً مع ألمانيا وبريطانيا نقطة أن تتخلى إيران عن إنتاج الوقود النووى وتقوم هذه الدول بتوفير الوقود النووى لإيران وهدفهم هو ألا تحصل إيران على تكنولوجيا إنتاج الوقود النووى ويقضى على كل ما تم التوصل إليه ويعاد إلى هذه الدول.

مع انتصار الثورة الإسلامية توقفت المسيرة النووية الإيرانية وأثناء الحرب المفروضة استهدفت الهجمات الجوية للنظام البعثى المنشآت النووية فى بوشهر عدة مرات وتم تدمير قطاع كبير منها وفى ظل هذه الظروف لم تتوقف الشركات الغربية ومن بينها الألمانية عن التعاون مع إيران فقط بل إنها طالبت إيران بدفع غرامات فى المحاكم الدولية فى حين أن الجانب الألمانى كان قد فسخ الاتفاق مع إيران من جانب واحد، والواقع أن المحطة النووية التى كان الغربيون قد أقاموها فى بوشهر قد استهدفتها هجمات النظام العراقى الذى كان يتم دعمه من جانب نفس الدول أى أن الغرب كان قد وصل إلى قناعة أن إيران من الآن فصاعداً لا يجب أن تحصل على التكنولوجيا النووية.

وبعد انتهاء الحرب المفروضة وبالتزامن مع بدء مرحلة إعادة إعمار ما دمرته الحرب وضعت الحكومة الإيرانية على جدول أعمالها عملية استكمال محطة بوشهر ووقعت إيران وألمانيا اتفاقية لاستكمال هذه المحطة، ولكن بعد فترة قصيرة انصرف الجانب الألمانى عن التعاون مع إيران ويجب الأخذ فى الاعتبار أن إيران قبل الثورة كانت قد دخلت فى كنسرسيوم أوروبا النووى وكانت تملك ربع أسهمه لكن بعد الثورة لم يقدم هذا الكنسرسيوم أى شكل من الدعم لإيران وبعد إعلان التوقف الألمانى وعدم رضا الغربيين عن التوجه النووى الإيرانى بدأت مشاورات إيران مع روسيا منذ عام ١٩٨٩م وانتهى الأمر بعقد اتفاقية قيمتها ٨٠٠ مليون دولار فى يناير ١٩٩٥م لاستكمال محطة بوشهر النووية.

٢- السياسات الأمريكية حيال الملف النووى الإيرانى

إن الادعاء بخصوص سعى إيران لامتلاك أسلحة نووية ودعم إيران للإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان فى إيران ومعارضة إيران لعملية التواطؤ "الاستسلام" يمثل المحاور الأربعة الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية حيال إيران وتسعى واشنطن عن طريق شن حرب سياسية ودعائية واسعة النطاق واستغلال الموضوعات المثارة للوصول إلى أهدافها فى مواجهة إيران بحيث

تضع إيران فى عزلة عالمية.

ومع أن مساعى الولايات المتحدة الهائلة لمنع إيران من الحصول على تكنولوجيا نووية قد بدأت منذ رئاسة بيل كلنتون وفى إطار سياسة احتواء إيران إلا أن زعماء البيت الأبيض فى فترة وصول الحرب الباردة إلى ذروتها كانوا هم المشجعين والداعمين الأساسيين لحصول إيران على تكنولوجيا نووية لأنهم فى ذلك الوقت كانوا يرون فى حصول إيران على تكنولوجيا نووية حفاظاً على مصالحهم لكنهم اليوم يرونه ضد مصالحهم.

وبالتزامن مع عقد اتفاقية نووية بين إيران وروسيا لاستكمال محطة بوشهر النووية كثفت الولايات المتحدة من مساعيها لوقف التعاون بين روسيا وإيران ومنع دخول تكنولوجيا نووية لإيران وتبنت مسيرة جديدة، ومع بداية رئاسة كلينتون احتدمت السياسات الأمريكية المعادية لإيران على كافة الأبعاد فى أنحاء المعمورة وتبنت الولايات المتحدة استراتيجية جديدة لاحتواء إيران كان من بينها تشديد العقوبات على إيران "قانون داماتو ولهذا يجب تثمين مجيئ حكومة كلينتون من الحزب الديمقراطى هو بداية لتفاقم العداء بين الولايات المتحدة وإيران وفى نفس الإطار بدأت سياسة منع حصول إيران على تكنولوجيا نووية أيضاً. وبهذا الشكل كانت سياسة إغلاق الطريق والاحتواء كنموذج لسلوك الساسة الأمريكيين فى التعاطى مع إيران قائمة منذ عهد كلينتون. وفى مايو ١٩٩٣صدر عن مارتن انديك مستشار كلينتون لشئون الشرق الأوسط وأحد الداعمين الأساسيين لإسرائيل فى مجلس الأمن القومى الأمريكى أن أولى نتائجها هو صدور قرار بإلغاء تعاون الشركة الأمريكية "كونوكو" مع إيران فى مارس ١٩٩٥م.

وهنا ثار سؤال إذا كانت إيران تستطيع الحصول على دورة الوقود النووى كاملة وكذلك أيضاً تظل فى الـ N.P.tفلماذا لا نستطيع نحن؟ وفى الرد على هذا السؤال يقول الأوروبيون والأمريكيون أن إسرائيل تعترف رسمياً بكل جيرانها أما إيران ليس فقط لا تعترف رسمياً بوجود إسرائيل بل إنها أيضاً تدعم الجماعات الإرهابية وكذلك أيضاً لا تتستر إسرائيل أو تتكتم على أنشطتها النووية أما الإيرانيون وهم يعملون على مدى ٢٠ عاماً بشكل سرى فى مجال البرنامج النووى. وتقول الدولة الغربية حتى لو سلمنا بأن الأنشطة النووية الإيرانية سلمية تماماً فإن الأخطار البيئية لإنتاج الوقود النووى وثمن ذلك الفادح سيكون خياراً غير صحيح بالنسبة لدول العالم الثالث خاصة وأن إيران تمتلك احتياطيات هائلة من الطاقة ولهذه الأسباب تعتبر أنشطة إيران غطاءً لإنتاج سلاح نووى وهذه الموضوعات يعتبرونها دليلا على عدم الثقة فى الأنشطة النووية الإيرانية ومنع إيران من الوصول إلى دورة الوقود النووى كاملة.

على هذا الأساس من وجهة نظر الولايات المتحدة يجب ألا تتمتع إيران بمكانتها الحقيقية على المستوى الدولى والإقليمى ولهذا عمل زعماء البيت الأبيض على منع مختلف الدول من التعاون النووى مع إيران وقامت الولايات المتحدة بممارسة الضغط والإغراء للدول التى كان يقال أنها تصدر تاداً نووياً لإيران من بين هذه الدول روسيا والصين والأرجنتين والنمسا ومالديفيا وأوكرانيا وكوريا الشمالية وجمهورية التشيك وجنوب أفريقيا وباكستان.

قال وليم كوهن وزير الدفاع الأمريكى السابق فى ١٩٩٨/٥/١٣م فى كلمة ألقاها فى لجنة فرعية فى مجلس الشيوخ الأمريكى "إن الولايات المتحدة تضع فى اعتبارها منع انتقال التكنولوجيا النووية إلى إيران وستواصل إصرارها على حمل روسيا للتخلى عن نقل التقنية النووية لإيران" وفى هذا الإطار عملت الولايات المتحدة فى مقابل تقديم نصيب أكبر لروسيا فى سوق الفضائيات الرائجة على منع موسكو من مواصلة التعاون مع إيران ومع أن ضغوط الولايات المتحدة أدت إلى عدم تجديد الاتفاقيات العسكرية بين إيران وروسيا بعد عام ١٩٩٥م إلا أنه فى المجال النووى ومع أنه منذ عام ٢٠٠٠ وحتى ٢٠٠٣ تقرر فرض مقاطعة أمريكية على عشر شركات روسية بتهمة التعاون مع إيران فى مجال نقل تكنولوجيا نووية إلا أن روسيا أكدت مواصلة التعاون النووى مع إيران ومن المؤكد أن روسيا أيضاً مثل الصين قد عملت على مدى الأعوام الماضية على استغلال كارت إيران لأخذ امتيازات من الولايات المتحدة على الساحة الدولية. إن إحدى نقاط ضعف روسيا المشاكل الاقتصادية وقد عمل الأمريكيون على أن يمارسوا ضغطاً على روسيا فى هذا المجال إلا أن الروس لم يكونوا على استعداد لقبول المطلب الأمريكى لأن تعاونهم النووى مع إيران فى محطة بوشهر يشبه المحطة التى أنشأها الأمريكيون فى كوريا الجنوبية، وعلاوة على هذا لو أن روسيا انسحبت من اتفاقية التعاون النووى مع إيران فإن هذا سيضر بمكانتها وضرراً بالغاً وخاصة فى منطقة الخليج (الفارسى) وستعرف على أنها شريك غير موثوق به وكانت روسيا على مدى الأعوام الماضية قد عملت على تعزيز وجودها على الساحات الاقتصادية للشرق الأوسط، وسياسة روسيا حيال البرنامج النووى الإيرانى تتحرك بين خيارى الاستقرار الاستراتيجى

والمنافسة الاستراتيجية فموسكو مضطرة من جانب إلى الالتزام بتعهداتها فى علاقاتها مع الغرب ومن جانب آخر مضطرة لمواصلة الدعم النسبى لإيران ومع أن روسيا لن تستسلم لكل المطالب الأمريكية القائمة على قطع التعاون النووى مع إيران إلا أنها عملت على مراعاة وجهات نظر الولايات المتحدة وبتأجيلها تدشين محطة بوشهر أجبرت طهران على قبول معظم مطالب الدول الغربية لأنه يبدو بعد اتضاح قدرة إيران على تخصيب اليورانيوم أن الروس قد استاءوا إلى حد ما من إيران وكانوا يتوقعون أن إيران ستطلع روسيا على كل المعلومات المتعلقة ببرنامجها النووى. بعبارة أخرى كان الروس يرون أن من حقهم أن يكونوا على علم بكل البرامج النووية الإيرانية.

ومن الإجراءات الأخرى التى أقدمت عليها الولايات المتحدة فى موضوع الملف النووى الإيرانى ممارسة الضغط على الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتزامن مع توسيع التعاون الفنى والعلمى للوكالة الدولية للطاقة الذرية مع إيران بهدف تأمين المحطات النووية الإيرانية تزايده الضغوط الأمريكية على هذه الوكالة وعملت الولايات المتحدة من خلال الدعاية على إظهار أن تفتيش الوكالة على المنشآت الإيرانية ليس كافياً ومن الدلائل الأخرى على انحياز الولايات المتحدة، ضد البرنامج النووى الإيرانى هو التضاد مع تقاليد الوكالة فدائماً واشنطن تطلب بأن تكون تقارير الوكالة متوافقة مع أهدافها ومطالبها وأن تهيئ الفرصة بأن يشارك الخبراء الأمريكيون فى وفود التفتيش.

وعلى الرغم من هذه الضغوط وطبقاً لاتفاقية حظر إنتاج وانتشار الأسلحة النووية فإن الوكالة مكلفة بالتعاون مع إيران لكن الولايات المتحدة تسعى لإحداث خلل فى مسيرة التنمية والازدهار فى إيران وفى هذا الإطار عملت الولايات المتحدة بهدف قطع أشكال التعاون العلمى والفنى من جانب الوكالة مع إيران وعن طريق القروض المالية أجبرت هذه المنظمة الدولية على قطع التعاون مع إيران ولهذا السبب أوردت جريدة واشنطن تايمز فى تقرير مفصل تحت عنوان "أموال الولايات المتحدة تنفق على المشروعات النووية الإيرانية" اتهمت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتقديم دعم مالى للمشروعات النووية الإيرانية وكتبت: "توفر الوكالة عن طريق المساعدات المالية الأمريكية ميزانية المشروعات المشبوهة النووية الإيرانية" وبناءً على تقرير مكتب المحاسبات العامة بالولايات المتحدة كتبت الواشنطن تايمز قدمت المنظمة الدولية للطاقة الذرية منذ عام ١٩٩٥ وحتى عام ١٩٩٩م ما يقرب من مليون و ٣٠٠ ألف دولار لإيران كمساعدات فنية لاستكمال محطاتها

ومنذ شهر مايو ١٩٩٧م تم تخصيص ٢٥٠ ألف دولار من هذه الميزانية للإنفاق على مشروعين من ثلاثة مشروعات هذه المشروعات الثلاثة عبارة عن تدريب قوى المفاعل الإيرانى بهدف الحفاظ على سلامة السيستم والاستقرار المركزى لتعليم المدير والتفتيش بالنسبة لمجمع المفاعل وإنشاء مركز تكنولوجى نووى للدعم الفنى لهذا المفاعل وبعد ما يزيد عن عام من تقرير صحيفة الواشنطن تايمز قرر مجلس النواب الأمريكى فى ١٩٩٩/٦/٢٠ الامتناع عن تقديم المساعدات الأمريكية لبرنامج الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذى يساعد إيران على إنشاء محطة نووية وبمقتضى هذا القرار كان يتم تقديم هذه المساعدات فى صورة واحدة فقط أن يصدق عليها وزير الخارجية الأمريكية وأن هذه المساعدات لن تستخدم لمساعدة إيران للحصول على أسلحة نووية والحصول على تكنولوجيا نووية حساسة وفى رد فعل على هذا الإجراء الأمريكى أعلن "ديفدكيت" المتحدث السابق باسم الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى ١٩٩٩/٧/٢٤م " إن قرار مجلس النواب الأمريكى ليس له أساس من الصحة ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون له تأثير فى التعاون بين الوكالة وإيران. وقال بوضوح أن هذا الإجراء الأمريكى هو قرار داخلى ولا يمكن أن يكون له تأثير على السياسات العامة للوكالة لأن الدول الأعضاء توافق على التعاون السلمى بين الوكالة وإيران.

من العوامل التى أدت إلى تفاقم الضغوط الأمريكية فيما يخص البرنامج النووى الإيرانى تقرير مجاهدى خلق فى عام ٢٠٠٢م بخصوص المنشآت النووية ناتانز وآراك وعملت الولايات المتحدة عن طريق استغلال هذا التقرير على أن يستجيب المجتمع العالمى لادعاءاتها بخصوص البرامج السرية النووية الإيرانية ففى ١٤ أغسطس ٢٠٠٢ نشر ممثلو منظمة مجاهدى خلق فى فندق فيلارد بواشنطن تقريراً عن محطات آراك ونطنز وادعت طبقاً لهذا التقرير تتستر للحصول على معدات نووية من شركات غير معلنة وكذلك أيضاً قيل إن إيران فى الخمسة أعوام الماضية وعن طريق استغلال شبكة واسعة من الشركات التجارية السرية بذلت جهوداً متزايدة لتصنيع الأجهزة التى تكون لها القدرة على إنتاج المواد اللازمة لتصنيع أسلحة نووية وأن هناك علماء روسا وأكرانيين يشاركون فى المشروعات النووية السرية الإيرانية فى منشآت نطنز وآراك وأنه قد تم إعداد المواد اللازمة من الهند والصين وتم الإدعاء فى هذا التقرير أيضاً إن مسئولى شركة "كالاالكترك" قد سافر إلى الهند والصين عدة

مرات فى عام ٢٠٠١م لتوريد المواد والتجهيزات المطلوبة، ثم عرضت شبكة الـ CNNالأمريكية صوراً بالأقمار الصناعة للمنشآت ناتانز وآراك وأظهرتها كأنهم اكتشفوا أن هذين الموقعين النوويين اللذين أقيما لتصنيع سلاح نووى وقد أعلنت الحكومة ووسائل الإعلام الأمريكية، مستغلة هذه الظروف، أن إيران قد جعلت هذه المنشآت بعيدة عن أعين مفتشى الوكالة لكن محمد البرادعى المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية أعلن فى حديث مع الـ CNNإن الوكالة على علم تام بوجود المنشآت المذكورة وهذا الموضوع ليس جديداً.

وعملت الولايات المتحدة مستفيدة من تقرير مجاهدى خلق على أن تجعل المشاركين فى قمة مجموعة الثمانى يستجيبون لاتخاذ موقف متشدد ضد إيران ثم شاهدنا ميل أوروبا لمزيد من التوافق مع الولايات المتحدة فى مواجهة البرنامج النووى الإيرانى.

ثم وصف بوش فى خطابه الشهير فى ٢٩ يناير ٢٠٠٢م فى الجلسة السنوية للكونجرس الأمريكى إيران بأنها إحدى دول محور الشر وفى ٩ فبراير ٢٠٠٣ أعلن خاتمى رسمياً امتلاك إيران تكنولوجيا تخصيب اليورانيوم وأكد أن إيران ستقوم باستخراج اليورانيوم حتى تلبى حاجتها من الوقود النووى، وعلى الفور خصصت وسائل الإعلام الأجنبية جزءاً كبيراً من حملتها الدعائية لهذا الموضوع وفى سبتمبر ٢٠٠٣ أصدر مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية قراراً ضد إيران وأمهل إيران حتى نهاية أكتوبر ٢٠٠٣ لتثبت بشكل موثق أنها لا تمتلك برنامجاً لإنتاج الأسلحة النووية وتخصيب اليورانيوم وفى ذلك الوقت كشفت الولايات المتحدة من تحركاتها لحث الدول الأعضاء فى الوكالة وخاصة الدول الأوروبية لاتخاذ موقف ضد إيران وكانت الولايات المتحدة تعمل على أن تقوم الوكالة بإعلان أن إيران تنتهك لـ N.P.tوبرأى الولايات المتحدة تعد هذه الخطوة الأولى على طريق تطبيق المقاطعات المحتملة ضد إيران وفى ٩ أغسطس ٢٠٠٣م أرسلت الدول الأوروبية الثلاث ألمانيا وفرنسا وبريطانيا رسالة سرية لطهران وأعلنوا عن استعدادهم للتشاور لحل القضايا النووية الإيرانية وكان هدفهم الأساسى بالنظر إلى تفاقم الضغوط الأمريكية هو أن يحثوا طهران على توقيع ملحق اتفاقية N.P.tهذا فى حين أن علاقات إيران والاتحاد الأوروبى كانت تمر بمرحلة ركود ثم رحبت إيران بزيارة وزراء خارجية ألمانيا وفرنسا وبريطانيا لطهران وقد عمل اتفاق طهران مع الدول الأوروبية الثلاث فى مجال القضايا النووية والذى عرف ببيان طهران على التخفيف إلى حد ما من الدعايا الواسعة النطاق لوسائل الإعلام الغربية والضغوط الأمريكية على إيران، وفى ٢/١١/٢٠٠٣م حذر زعيم الثورة فى خطابه من أنه إذا لم يلتزم الطرف المقابل وخاصة الدول الأوروبية بالتعهدات التى قطعها على نفسه وعمل مع الولايات المتحدة على تهديد الأمن القومى وحرمان إيران من التقنية النووية فإن إيران لن تفى بالتزاماتها وبالمقابل أعلنت الولايات المتحدة أن أى امتناع من جانب إيران عن التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية سيجعل القلق الدولى بخصوص أن طهران لديها شيئ تخفيه أكثر عمقاً.

وقد استطاعت واشنطن فى الجلسات التالية لمجلس الحكام وجلسات الاتحاد الأوروبى أيضاً أن تؤلب الاتحاد على البرنامج النووى الإيرانى وعلى أثر هذه المساعى تخلت الدول الثلاث ألمانيا وفرنسا وبريطانيا عن تفهماتها الضمنية مع إيران فى جلسة إيران وأوروبا فى بروكسل وأصبحت هناك أزمة ثقة فى العلاقات بين إيران والاتحاد الأوروبى والوكالة وكانت إيران والدول الأوروبية الثلاث قد توصلوا فى جلسة بروكسل التى كانت على مستوى الخبراء إلى تفاهم ضمنى وهو أنه عقب تعليق تخصيب اليورانيوم من جانب إيران فإن أوروبا فى جلسة مجلس الحكام ستعمل على غلق الملف النووى الإيرانى والحيلولة دون إحالته إلى مجلس الأمن لكن الأوروبيين ليس فقط لم يتمسكوا بهذا التفاهم لكنهم اتفقوا مع الولايات المتحدة وأصدروا قراراً ضد إيران ومن جانبها أعلنت طهران أيضاً أن تفاهم بروكسل لم يعد له وجود وأن الأوضاع سترجع إلى أوضاع ما قبل ٢٦ فبراير ٢٠٠٣ وستستأنف إيران عمليات تخصيب اليورانيوم وتجميع أجهزة الطرد المركزى وقد أدى إعلان مواقف طهران إلى حدوث تقارب أكبر بين أوروبا والولايات المتحدة فى مواجهة إيران وتسارعت وتيرة تدنى التعاطى بين إيران وأوروبا، كما أن محمد البرادعى بتقديمه تقريراً متناقضاً عن البرنامج النووى الإيرانى قد عبأ وسائل الإعلام الغربية ضد إيران ويبدو أن مشاورات الولايات المتحدة واسعة النطاق وتقارير البرادعى وتوافق الولايات المتحدة وأوروبا أدى إلى بقاء ملف إيران النووى على حاله وبهذا الشكل فإن قرار الوكالة كان ناجماً عن تأثير الولايات المتحدة فى مجلس الحكام وتأثر البرادعى بسياسات البيت الأبيض وكان هدف الولايات المتحدة من ممارسة هذه الضغوط هو أن تظل المعرفة النووية فى الشرق الأوسط حكراً على إسرائيل فقط وألا تصل إليها أى دولة عربية أو إسلامية لأنها تعتبر ذلك تهديداً لأمن إسرائيل وكانت الحرب النفسية هى الأداة التى كانت تستخدمها الولايات

المتحدة لفرض مطالبها على سائر الدول وكان تصوير الجو المتوتر فى الشرق الأوسط مع إبداء قلق كاذب من تحرك إيران نحو المشروع النووى عملية هدفها الأساسى حمل العرب على عقد اتفاقيات هائلة لشراء العتاد الغربى ومع أن الولايات المتحدة على مدى الأعوام الماضية فشلت فى إقناع أعضاء مجلس الحكام لإحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن إلا أن واشنطن فى العام الماضى شددت من ضغوطها على إيران للتخلى الكامل عن أنشطتها النووية وأخيراً وبضغطها على أوروبا وسائر الدول الأعضاء فى الوكالة الدولية نجحت فى إرسال تقرير الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن وعلى الرغم من هذا من الممكن رؤية علامات العجز الاستراتيجى الأمريكى فى مواجهة إيران فالقوة العظمى اليوم مع كل ما تملكه من قدرة عسكرية واستراتيجية لن تستطيع أن تحقق كل أهدافها لأنه توجد قيود سياسية وأمنية على كل الدول والولايات المتحدة أيضاً لم تستطع الاستفادة من مكانتها الدول فى تطويع سائر القوى العظمى، ويبدو أن هدف السياسة الأمريكية إزاء الأنشطة النووية الإيرانية اليوم هو إيجاد جبهة مشتركة فى المجتمع العالمى وتوافق الصين وروسيا معها وقد عملت على إفشال المبادرة الروسية فى هذا الصدد وتسعى الولايات المتحدة لتحقيق هذا الهدف مع أخذها فى الاعتبار تجربة العراق فهى من ناحية تبرئ نفسها من تهمة التوجه الأحادى الجانب وتعمل من ناحية أخرى مع التعاطى مع الحكومات التى تعارض واشنطن وتصل لاتفاق عالمى لكن الولايات المتحدة من أجل الأزمة النووية الإيرانية ليس أمامها طريق سوى الحوار وكان روبرت هانتر كبير الباحثين فى مؤسسة رندو سفير الولايات المتحدة لدى الناتو فى الفترة من ١٩٩٣-١٩٩٨م قد توصل بعد دراسة مختلف سبل تعاطى الولايات المتحدة مع إيران مثل العمليات العسكرية ودعم الجماعات المعارضة وتهديد المصالح الإيرانية فى الخليج الفارسى و.. قد توصل أخيراً إلى أن طريق التعاطى مع إيران هو دخول الولايات المتحدة فى حوار معها.

٣ - السياسات الأوروبية تجاه الملف النووى الإيرانى

الاتحاد الأوروبى هو واحد من ثلاثة لاعبين فى المعادلات النووية الإيرانية وتعمل الجمهورية الإسلامية بالنظر إلى أهمية ومكانة الاتحاد الأوروبى فى النظام الدولى ونوع نظرة هذا الاتحاد إلى التطورات العالمية بعد انهيار المعسكر الشرقى وخاصة بعد ١١ سبتمبر وبالنظر إلى مسيرة تنمية علاقاتها مع هذا الاتحاد والدور الذى يمكن أن يلعبه فى مواجهة الضغوط الأمريكية فإنها تعمل على الاستفادة من قدرة أوروبا وخاصة أهم أعضاء الاتحاد الأوروبى أى فرنسا وألمانيا وبريطانيا لتحقيق أهدافها ومصالحها فى المجال النووى وحتى الآن فإن سلوكيات ومواقف أوروبا تتذبذب وبشكل كبير وقد قطعت مرحلتين فى التعاطى مع الأنشطة النووية الإيرانية.

المرحلة الأولى: كانت تحت تأثير علاقات الاتحاد الأوروبى وإيران فى أعوام ما بعد ١٩٩١م وفى عقد التسعينيات كانت هناك حساسية لدى الأوروبيين تجاه الأنشطة النووية الإيرانية لكن كانوا يعتبرونها أمراً عادياً وكان السبب فى هذا ناجماً فى الغالب عن التقارير التى كانت تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية ولم يكن الأوروبيون وبالنظر إلى إشراف الوكالة قد وقعوا تحت تأثير الأمريكيين، جدير بالذكر أن تقارير C.I.Aفى عقد التسعينيات حول الأنشطة النووية الإيرانية التى كانت يقدمها للكونجرس الأمريكى وكان لها صدى خارجى لم تتمكن من إقناع الأوروبيين بأن البرنامج النووى الإيرانى قد خرج عن إطار قوانين الوكالة والتوجه السلمى فإن الأنشطة النووية الإيرانية كانت تطرح دائماً لموضوع محورى فى المحادثات التى سميت بالنقدية البناءة والشاملة وكان الاتحاد الأوروبى فى محادثاته النقدية والبناءة يعمل بشكل دائم عن الإعراب عن قلقه من البرامج النووية الإيرانية على حث إيران وتشجيعها على توقيع وتطبيق الاتفاقيات والنظم الأمنية ونزع السلاح الدولى. وفى هذه المحادثات كانت أوروبا تعمل على أن يكون برنامج إيران النووى متفقاً تماماً مع مطالب المؤسسات والنظم الدولية مثل الـ ... N.P.tوكان انضمام إيران لـ N.P.t وتوقيع اتفاقيات مثل C.W.Cو Ctptله أثره الفاعل فى التخفيف من القلق ولهذا ففى المحادثات الشاملة كانت الحساسيات تجاه البرنامج النووى أقل وانصبت بشكل أكبر على الأهداف الاقتصادية.

أما المرحلة الثانية من مواقف وسلوكيات الأوروبيين تجاه البرامج النووية الإيرانية قد بدأت منذ ١١ سبتمبر وخاصة مع بدايات الهجوم الأمريكى على العراق وفى هذه المرحلة نشاهد حساسية أوروبا تجاه الأنشطة النووية الإيرانية وقد كان السبب الأساسى لهذه الحساسية هو الأعمال والإجراءات التى يقوم بها الأمريكيون.

والواقع أنه يمكن القول أن السياسة الأوروبية والأمريكية يتم تعريفها على أساس دورين: الدور القومى والدور الدولى العالمى فالسياسة الأوروبية والأمريكية فى مواجهة القضايا الاقتصادية- الثقافية يتم تعريفها على أساس الدور القومى. أما سياساتها

فى مواجهة القضايا السياسية- الأمنية فيتم تعريفها على أساس الدور الدولى- الأمنى ولأوروبا والولايات المتحدة فى لعب دورهما الدولى- العالمى و"المسيرة التى تبلورت رويداً رويداً وتربط بشكل ما بإدارة الشئون الدولية" ولهذا فإن المسئولية المشتركة تجعلهما يتبنيان مواقف مشتركة "مع أنه من الممكن أن يحدث اختلاف فى الأساليب والأدوات". وفى نفس الوقت فكلاهما يتولى مسئولية مختلفة فى تنفيذ دوره القومى ومن الممكن ألا تتوافق مواقفهما إذاً بقدر ما كانت الموضوعات الدولية أكثر قرباً من النواحى الأمنية كلما كان سلوك أوروبا تجاهها أكثر حساسية وأكثر انسجاماً مع السياسات الأمريكية والواقع أن الدعاية الأمريكية الواسعة النطاق ضد إيران هو التضخيم من حجم موقعى ناتانز وآراك ومشروع تخصيب اليورانيوم وسلسلة التحركات الدبلوماسية والعمليات النفسية قد أدت إلى أن تصبح الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى المنطقة الأمنية. وقد تم افتتاح جلسة أويان "فرنسا بمشاركة قادة مجموعة الثمانى الصناعية فى ١ يونيو ٢٠٠٣ وقد كانت متأثرة بالتحركات الدبلوماسية الأمريكية وكانت نقطة البداية لمواقف أوروبية جديدة فأعضاء مجموعة الثمانى بالنظر إلى دبلوماسية بوش فى هذه الجلسة قد توصلوا إلى قناعة بأن قوانين معاهدة حظر الانتشار النووى لم تعد كافية بالنسبة للبرامج النووية الإيرانية ويجب ممارسة ضغط أكبر على إيران وفى هذا المجال وفى نهاية محادثات اليوم الثانى للقمة أعلن قادة الثمانى عن قلقهم البالغ من الأنشطة النووية الإيرانية. وكانت زيارة بوش الدورية للدول الأوروبية فى يونيو ٢٠٠٣ قد جعلت الموضوع النووى الإيرانى واحداً من المحاور الأساسية لمحادثاته مع الزعماء الأوروبيين وكان لها أثر بالغ فى تغيير نظرة الأوروبيين، وبالنظر إلى هذه المجالات فإن تقرير البرادعى لمجلس حكام الوكالة فى الفترة من ١٦ إلى ١٩ يونيو ٢٠٠٣م قد زاد من الشكوك حيال البرنامج النووى الإيرانى وقال فى هذه الجلسة أن الشواهد تثبت أن إيران لم تتمكن من تقديم تقرير مفصل عن المواد النووية وأنشطتها.

بعد هذا التقرير تزايدت ضغوط الاتحاد الأوروبى على إيران بشكل غير مسبوق وطالب وزراء خارجية الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى فى جلسة لوكسمبرج فى ٢٠٠٣/٦/١٦ فى بيان إيران بأن توقع على ملحق الاتفاقية بلا قيد أو شرط وكانت لغة بيان هذه الجلسة تهديدية وجاء فيه "بما أن المساعى الدبلوماسية لم تؤثر وأن المفتشين عاجزون عن القيام بمهامهم فمن الممكن اتخاذ إجراءات إجبارية".

وفى جلسة بروكسل فى ٢٠٠٣/٧/٢١ أكد وزراء خارجية الدول الأعضاء بالاتحاد الأوروبى مرة ثانية الإشراف الواسع النطاق للوكالة على الأنشطة النووية الإيرانية وانتقدوا برامج إيران النووية بناءً على هذا كان مطلب أوروبا الأهم فى ذلك الوقت هو التوقيع والتنفيذ بلا قيد ولا شرط لملحق الاتفاقية وفى هذا الإطار وصل جاك سترو وزير خارجية بريطانيا وخافير سولانا إلى طهران للضغط على إيران وقال سولانا فى حديث صحفى إذا لم توقع إيران على ملحق الاتفاقية فإن هذا سيكون أمراً سيئاً بالنسبة لإيران وبالنسبة للاتحاد الأوروبى.

فى مثل هذه الظروف وضع الأمريكيون على أجندتهم موضوع إحالة ملف إيران إلى مجلس الأمن الدولى، وفى هذا الإطار تزايد حجم الدعاية الأمريكية ضد إيران بشكل غير مسبوق لدرجة أن معظم المحللين اعتبروا هذا التحرك الأمريكى "عرقنة إيران"، ويبدو أن مشروع إحالة ملف إيران إلى مجلس الأمن وحجم تصريحات المسئولين الأمريكيين فى هذا الصدد قد حمل الدول الأوروبية الثلاث على أن يوجهوا رسالة إلى رئيس إيران بخصوص نتائج عدم التوقيع على ملحق الاتفاقية وآثار ونتائج قبول التوقيع وقد أفادت مصادر دبلوماسية أن هذه الرسالة فى ذلك الوقت قد أدت إلى قلق أوروبا لأنها كانت تريد أن توقع إيران بلا أى شرط والواقع أن الأوروبيين كانوا متباينين فى موقفين فمن ناحية كانوا يبغون التشدد أو ممارسة الضغط المتوازن على إيران لخضوع المزيد من الإشراف مع توقيع وتطبيق ملحق الاتفاقية وإضفاء الشفافية على البرنامج النووى الإيرانى ومن ناحية أخرى لم يكونوا يريدون أن يحال ملف إيران إلى مجلس الأمن لأنه طبقاً لاعتقاد أوروبا فإن خروج الملف من الوكالة يشبه خروج الموضوع من تحت "الإدارة الأوروبية" وبداية التوجه الأحادى الجانب الأمريكى لإكمال مشروع الشرق الأوسط الموحد. ولهذا فمن وجهة نظر المحللين السياسيين كان تشدد الأوروبيين دليلاً على تقارب وجهات نظر الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة الأمريكية ومن ناحية أخرى كان العمل على عدم إحالة الملف إلى مجلس الأمن دليلاً على حدوث خلاف فى وجهات النظر على جانبى الإطلنطى.

وكان اختيار طريق الحل الثالث من جانب إيران أى استدعاء الدول الأوروبية الثلاث التى كانت قد أرسلت رسالة لإيران قبل ذلك قد أدت إلى أن يتحول الأوروبيون إلى المرتكز الأساسى للخروج من التحدى النووى الإيرانى وكان إعلان إيران التوقيع على ملحق الاتفاقية فى ٢٠٠٣/١٠/٢١ قد جعل المواقف الأوروبية

مرنة إلى حد ما مع أنهم واصلوا جزءاً من نقدهم للبرامج النووية الإيرانية وكان وزراء خارجية الدول الأعضاء للاتحاد الأوروبى قد أصدروا بياناً فى ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣م فى جلسة بروكسل عن التزام إيران ورحبوابيان طهران وكان قبول التوقيع والتطبيق ملحق الاتفاقية من جانب إيران وتعليق التخصيب يعتبر نصراً بالنسبة للأوروبيين وهذا الأمر جعل الاتحاد الأوروبى أكثر تصميماً من ذى قبل على أن "استراتيجية الضغط المتوازن" "والدبلوماسية من الممكن أن تحل الأزمات الدولية مثل القضية النووية الإيرانية وقد عمل الأوروبيون فى جلسة مجلس حكام الوكالة فى نوفمبر ٢٠٠٣ على أن يصدر بيان أكثر مرونة بشأن إيران لأن الأوروبيين بالنظر إلى بيان سعد آباد لن يكونوا على استعداد لأن يخرجوا ملف إيران من الحالة الخاصة فى مجلس الحكام لأسباب عديدة:

أهم هذه الأسباب أن الأوروبيين كانوا يعتبرون قبل ملحق الاتفاقية من جانب إيران والتعليق التطوعى لتخصيب اليورانيوم خطوة أولى وكان سولانا قد قال لا تريد أوروبا أن تتحول إيران الإسلامية إلى إيران نووية. مع أن المسئولين الأوروبيين أعلنوا عدة مرات أنه فى حالة وقف إيران لتخصيب اليورانيوم فإنهم سيقدمون لها التكنولوجيا النووية السلمية وكانت هذه النقطة موضع تأكيد وزراء خارجية الدول الأوروبية الثلاث فى بيان طهران. والواقع أن الأوروبيين يعتقدون أن دورة الوقود النووى التى تسعى إيران لاستكمالها ستجعل إيران قادرة على إنتاج الأسلحة النووية والتعهد الذى قطعه الأوروبيون فى جلستهم مع إيران فى فبراير ٢٠٠٤م القائم على توسع إيران فى تعليق تخصيب اليورانيوم هو دليل على هذا الاعتقاد.

السبب الثانى: تحركات الولايات المتحدة المتزايدة وفتح ملفات جديدة فى مجال البرامج النووية الإيرانية لإحداث مزيد من التردد لدى الأوروبيين وخاصة بعد شهر نوفمبر وعلى أعتاب جلسة فبراير من عام ٢٠٠٣ لمجلس الحكام الأمريكيين حيث استطاع الأمريكيون عن طريق تضخيم موضوع أجهزة الطرد المركزى B2أن يجعلوا الأوروبيين الذين وعدوا بإغلاق ملف إيران فى فبراير ٢٠٠٤ يقعون تحت التأثير وبهذا الشكل ليس فقط لم يغلق ملف إيران بل صدر بيان شديد اللهجة.

السبب الثالث: طريقة التقارير التى كانت الجمهورية قد قدمتها لمجلس الحكام وقد أدى عدم اكتمال هذه التقارير إلى زيادة شكوك الأوروبيين.

السبب الرابع: يتعلق بقاعدة اللعبة التى كان الأوروبيون كانوا قد اختاروها فالأوروبيون كانوا يتخذون قاعدة حصر الجمع المتغير فلا ينتصر الأمريكيون ويحال الملف إلى مجلس الأمن ولا تتحول الجمهورية الإسلامية مع إغلاق ملفها إلى إيران نووية.

السبب الخامس: أن الأوروبيين كانوا يرون الوضع الراهن إيجابياً وأن الطريق الذين سلكوه هم والوكالة بشأن إيران سيؤتى ثماراً إيجابية ومع أنه يتحرك بشكل غير كامل لكنه أفضل من أن يحال الملف إلى مجلس الأمن وسيكون لهذا الأمر عواقب غير معروفة وقد أعلن هذه النتائج البرادعى فى زيارته للنظام الصهيونى وفى رد على سؤال لأحد الصحفيين وأعلن مؤكداً إننا لا نريد إحالة الملف إلى مجلس الأمن ولدينا كوريا الشمالية كمثال ومع أنه كما قيل ليس فقط لم تنفذ أوروبا التزاماتها تجاه إيران بل وقعت تحت ضغط الولايات المتحدة وكانت فى كل يوم ترفع سقف توقعاتها من إيران بل وطالبتها بوقف تخصيب اليورانيوم والواقع أن إيران لم تحصل أى نتيجة من محادثاتها مع أوروبا ولم تستطع قبول السيناريو الأوروبى "استمرار المحادثات فى المقابل استمرار التعليق" ومع إنشاء مركز أبحاث U.C.Fأصفهان أوقف التعليق قطاعاً من نشاط مراكزه لكن مازال باب المحادثات مفتوح ومع إعلان أن محادثات إيران أوروبا قد وصلت إلى طريق مسدود تم طلب الجلسة الخاصة لمجلس الحكام وفى هذه الجلسة فى فبراير ٢٠٠٦ وعلى الرغم من معارضة دول حركة عدم الانحياز تمت إحالة تقرير ملف إيران النووى إلى مجلس الأمن وحذرت إيران تكراراً ومراراً أنه فى حالة إحالة ملفها أو حتى تقريره إلى مجلس الأمن ستتوقف إيران عن تعاونها الطوعى مع الوكالة وقد نفذت ما قالت بناءً على أمر رئيس الجمهورية تم إعلان إنهاء التعاون الاختيارى مع الوكالة وفى ٢٠٠٦/٣/٢٩ صدق مجلس الأمن باتفاق الآراء على بيان غير ملزم وطالب إيران بأن تتوقف عن تخصيب اليورانيوم كما طالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأن تقدم تقريراً فى خلال ثلاثين يوماً بخصوص تعاون إيران مع الوكالة ومع كل هذه الضغوط مازالت الجمهورية الإسلامية تؤكد حقها المسلم به أو البديهى فى الاستغلال السلمى للطاقة النووية والإعلان عن حزمة الحوافز الأخيرة من الممكن أن يتم تقييمه بشكل ما على أنه تراجع من جانب الاتحاد الأوروبى عن مواقفه حيال حقوق إيران البديهية وهذا الأمر مرهون بإصرار القائمين على الأمر والمواطنين على حقوق إيران البديهية والمسلم بها.

٤ - مواقف أوروبا والولايات المتحدة حيال البرامج النووية الإيرانية

١ - مواضع الاختلاف فى وجهات النظر

على صعيد مواقف الولايات المتحدة وأوروبا حول برامج إيران النووية يجب القول أن الولايات المتحدة

تدعى أن أى شكل من أشكال استغلال إيران للطاقة النووية هو خطر على السلام والأمن الدوليين والإقليميين فى حين أن أوروبا مع اعترافها بحق إيران فى الاستغلال السلمى للتكنولوجيا النووية كانت تعتقد أنه من الممكن تغيير سلوك إيران بالأساليب السلمية وأن الأمر لا يحتاج إلى استخدام القوة فالاتحاد الأوروبى للحفاظ على مواقفه المستقلة بالنسبة للولايات المتحدة قد طالب بحل التوتر بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية عن طريق الحوار وبالأسلوب السلمى لكن الولايات المتحدة ترى أن سياسة التعاطى المباشر والعنيف والضروس مع إيران هى أكثر فاعلية وهى تطالب بالتعامل مع البرامج النووية الإيرانية عن طريق إحالة الموضوع إلى مجلس الأمن فى حين أن أوروبا كانت تعارض هذا الأمر وربما يضع الأوروبيون فى اعتبارهم إجراءً فى إطار مجلس الأمن وفرض مقاطعات ولكن يقولون إذ لم تبد إيران فى النهاية تعاوناً فسيحال الأمر إلى مجلس الأمن ومن وجهة نظر الأوروبيين فإن المهم "هو التهديد" باستخدام المقاطعة أو بمجلس الأمن وليس تطبيقها.

ويسعى الاتحاد الأوروبى لتحقيق عدة أهداف من وراء محادثاته النووية مع إيران

الهدف الأول: منع الأنشطة والبرنامج النووى الإيرانى من الوصول إلى درجة إنتاج الأسلحة النووية عن طريق أخذ ضمانات مادية وقابلة للفحص فالاتحاد الأوروبى مثله مثل الولايات المتحدة لن يسمح مطلقاً ولا يجب أن يسمح بأن تمتلك إيران سلاحاً نووياً لأن قلق أوروبا الأمنى من إيران النووية هو أكثر من الولايات المتحدة لأنه على المدى البعيد ومع احتمال دخول تركيا فى عضوية الاتحاد الأوروبى ستكون إيران النووية جارة لأوروبا وستتفاقم مشكلة أوروبا بناءً على هذا ولاعتبار ما فإن مسألة إيران النووية هى موضوع أوروبى علاوة على ما تقوله واشنطن.

الهدف الثانى من الإصرار الأوروبى على الحل السلمى للأزمة النووية الإيرانية ومنع تفاقم الأزمة وتحولها إلى حرب كاملة من منطقتين استراتيجيتين الخليج الفارسى والشرق الأوسط ويعتقد كثير من المحللين فى قسم العلاقات الدولية أن الفائز الأكبر فى الحرب اللذان الأمريكية الأولى والثانية مع العراق هو أوروبا لأنه من ناحية كان الأوروبيون خاصة "فرنسا وبريطانيا" اللذان كانا اللاعبين التقليديين فى هذه المنطقة الحساسة سيتهمش دورهما مع عسكرة علاقات إقليمية ناجمة عن الوجود العسكرى الأمريكى وأن أهم مصادر الطاقة فى العالم ستصبح فى يد الولايات المتحدة فى حين أن الاتحاد الأوروبى هو أكبر مستورد للطاقة من هذه المنطقة إذن المصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية الأوروبية تتطلب أن يمنع الاتحاد الأوروبى نشوب صراع عسكرى آخر يجعل تأثير أوروبا فى المنطقة يصل إلى أدنى مستوياته.

الهدف الثالث: الحفاظ على وجود أوروبا ودورها المؤثر النشيط فى منطقة الخليج (الفارسى).

الهدف الرابع: كسب ثقة وتعاون إيران فالاتحاد الأوروبى من أجل الوجود فى المنطقة يحتاج إلى شريك إقليمى قوى وموثوق به وإيران باعتبارها لاعباً كبيراً وقوياً إقليمياً هى الخيار الأفضل بالنسبة لما تريده أوروبا.

الهدف الخامس: الدليل على دور أوروبا وقدرتها فى إدارة الأزمات الدولية وحلها بشكل سلمى فالأزمة النووية الإيرانية ستخلق الفرصة المناسبة جداً لأوروبا لتظهر قدرتها فى إدارة أزمة أمنية - سياسية بشكل سلمى وبدون استخدام القوة.

٢ - مواضع الاتفاق

على الرغم من وجود اختلاف فى وجهات النظر بين أوروبا والولايات المتحدة على البرنامج النووى الإيرانى فإن هذين اللاعبين يتفقان على منع وصول إيران إلى سلاح نووى فكلتا القوتين تؤكدان ضرورة ممارسة ضغط على إيران لوقف البرامج النووية وإنهاء كافة أشكال التخصيب أو معالجة اليورانيوم مرة ثانية والالتزام باتفاق طهران واتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية N.P.T كإجراء لصالح المجتمع الدولى وإضفاء الشفافية على سياسات إيران النووية خاصة ضرورة إعادة النظر فى المفاعلات الخاصة بالأبحاث ومشروع الماء الثقيل فى آراك وكشف الغموض عن قطع أجهزة الطرد المركزى B2 وتلوثها بيورانيوم مخصب بنسبة ٣٦٪ ولهذا السبب ففى مجال ممارسة الضغط على إيران فى مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومعارضة الأداء النووى الإيرانى الذى يعتبرونه لا يتسم بالشفافية تتفق مواقف أوروبا وأمريكا.

٥ - حقائق وفرص إيران فى مواجهة الأزمة النووية

بعد حدوث خلاف بين أوروبا والولايات المتحدة أثناء الهجوم الأمريكى على العراق عزم جانبا الأطلنطى على أن يزيلا هذا الخلاف وبشكل ما ويعتبر ملف إيران النووى فرصة فى هذا الصدد بالنسبة للولايات المتحدة وأوروبا فأوروبا تسعى مع تنظيم الملف النووى الإيرانى أن ترمم الصدع الذى حدث بين أوروبا والولايات المتحدة ولهذا فهى ليس فقط لا تريد خلافاً مع الولايات المتحدة بل إنها تعمل على محو اختلاف وجهات النظر الخاص بالعراق من أذهان الأمريكيين

ومن النقاط الجديرة بالذكر أن إيران لا تهتم بأن أوروبا والولايات المتحدة يختلفان مع بعضهما اختلافاً بنيوياً حيال إيران بل إن نظرتهم لقضايا إيران مختلفة وبهذا المعنى يصبح من وجهة نظر الولايات المتحدة أن الضغط الشديد فقط وفرض القيود من الممكن أن يجبر حكومة إيران على تغيير سلوكها أما الأوروبيون فيعتقدون أن الحوار من الممكن أن يحث طهران على تغيير سلوكها وخاصة على صعيد السياسة الخارجية إن الاهتمام بهذا الأمر مهم من جانب متخذي القرار وأهل الرأى فى إيران ولا يجب أن يتوقعوا أن أوروبا ستعادى الولايات المتحدة من أجل الملف النووى الإيرانى والاعتراف بهذه الحقيقة يحتاج إلى أنهم فى المحادثات السياسية بدلاً من أن يدعوا أوروبا للانفصال عن الولايات المتحدة وإظهار الاستقلال يطلبون منها ألا تعمل بالأسلوب الأمريكى حتى تعترف بأن الحوار هو الأسلوب الأمثل لحل المسألة النووية الإيرانية وأوروبا من أجل مستقبل تحالفها وعلاقات. فوق الأطلنطى تحتاج إلى أن تحل القضايا النووية الإيرانية التى فى الدرجة الأولى تعرف حقيقة على الساحة الدولية باسم السياسة الخارجية الأوروبية وفى الدرجة الثانية أن خاصية السياسة الخارجية الأوروبية المستقلة ليست معاداة السياسة الخارجية الأمريكية بل هى مكملة لها. وطبقاً للشواهد الموجودة فإن أوروبا فى توجهها نحو الملف الإيرانى قد جعلت أسوأ الخيارات أساس تحليلها وحركاتها فى هذا الخيار تعتبر أوروبا مسعى إيران لامتلاك تكنولوجيا نووية مجرد غطاء للوصول إلى السلاح النووى وأن وظيفتها منع وصول إيران إلى هذا السلاح والاهتمام بنظرة أوروبا للقضايا النووية الإيرانية يحظى بأهمية خاصة عند دراسة مسيرة المحادثات الإيرانية - الأوروبية لأنه عندما تجعل أوروبا السياسة فكرتها وقائمة على منع وصول إيران إلى السلاح النووى من الطبيعى أن يحدث تضاد مع المفاوض الذى يسعى لتكنولوجيا نووية حتى فى مجال المفاهيم المشتركة للتصورات المختلفة، وفى الفترة القصيرة التى بدأت منذ تنحية صدام حسين من العراق وحتى اليوم نحت الولايات المتحدة وأوروبا بسرعة خلافاتهما حيال إيران وتبنوا سياسات متوافقة والآن فإن الاتحاد الأوروبى أيضاً جعل تطوير علاقاته مع إيران مرهوناً بمراعاة حقوق الإنسان وتعليق كافة الأنشطة النووية والتوقيع على بروتوكيل محلق اتفاقية N.P.T بخصوص أعمال التفتيش المفاجئة للمنشآت النووية وعدم دعم الإرهاب والتعاون فى المساعى المتعلقة بالسلام بين إسرائيل وفلسطين ومما لا شك فيه أن تبنى دبلوماسية فاعلة وعقلانية فى هذه الأثناء من الممكن أن يخلق آفاقاً جديدة على الساحة الخارجية بالنسبة لإيران وبما أن طرح الملف النووى فى مجلس الأمن يحد من قدرة إيران على المساومة فى التعاطى مع الوكالة فإن التأخير فى حل المسألة فى إطار الوكالة سيفتح الباب رويداً رويداً لتدخل أكبر من جانب مجلس الأمن وبالتالى فإن تدخل مجلس الأمن سيزيد من الثقل السياسى للملف فى مقابل الثقل القانونى والفنى له ومجلس الأمن لمؤسسة سياسية ليس فقط لا يعتبر نفسه مكلفاً برعاية العدالة بل إنه فى تقييم وضعه باعتباره مهدداً للسلام والأمن الدوليين لا يتبع معياراً قانونياً وفقد يكون التأثير لوجهات النظر وأعمال التقييم التى يقوم بها الأعضاء الدائمون فى مجلس الأمن على قرارات المجلس من ناحية أخرى ليست هناك أى مؤسسة دولية تراقب قرارات مجلس الأمن من حيث كونها متفقة أو غير متفقة مع القانون الدولى ولا تمثل عليها أى رقابة إذن يجب على المسئولين الإيرانيين أن يبذلوا قصارى جهدهم لتسوية الملف النووى فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

قراءة فى كتاب

سورة الفجر بين التفاسير العربية والفارسية

■د. ليلى فؤاد محمد حسن
أستاذ مساعد بآداب عين شمس

من الرائع حقاً أن يسخر الإنسان علمه لخدمة دينه ابتغاء مرضاة الله، ودون أن يطلب عليه أجرا أو جزاء أو شهرة. لذلك فالتعريف بكبار المفسرين الإيرانيين أمر صعب ويكاد يكون مستحيلا، إزاء تواضعهم الجم ورغبتهم فى أن يكون عملهم لخدمة المسلمين خالصا لوجه الله، لا يطلبون عليه أجرا ولا شهرة، وآية الله بهاء الدين شفيعى هو أحد هؤلاء العلماء، حيث لم أجد له تعريفاً لا فى دوائر المعارف، ولا على شبكة الإنترنت، وكل ما أعرفه عنه هو من مقدمة كتابه الذى تضمن تفسيره للقرآن الكريم الذى ألفه فى ذكرى وفاة السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبى صلى الله عليه وسلم، وقد عرضه على آية الله العظمى السيد/ محمود علوي، وهو من كبار علماء الدين الإيرانيين، فأثنى عليه وكتب له مقدمة موجودة فى مقدمة الكتاب.

وسأتبع فى قراءتى العلمية لهذا الكتاب المنهج التحليلى النقدي، وهو ما دفعنى إلى تقسيم القراءة إلى ثلاثة مباحث، تناولت فى المبحث الأول معنى كلمة تفسير ومراحل تطور علم التفسير، وألوان التفسير فى العصر الحديث. وتناولت فى المبحث الثانى أوجه الشبه والخلاف بين تفسير بهاء الدين شفيعى لسورة الفجر والتفاسير العربية ، وصورة هذا التفسير بالنسبة للتفاسير الشيعية. وكان المبحث الثالث لميزات تفسير بهاء الدين شفيعى وعيوبه، وختمت بخاتمة أقدم فيها أهم ما وصل إليه البحث من نتائج، مع قائمة بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

كلمة تفسير تعنى الشرح والبيان ، وتفسير القرآن من العلوم الإسلامية التى توضح معانى القرآن الكريم، وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام.(١) وتفسير القرآن بغير لغته يسمى الترجمة التفسيرية للقرآن وهى من الأمور التى فرضت لتبليغ معانى القرآن ولإيصال هدايته إلى المسلمين وغير المسلمين ممن لا يتكلمون بالعربية، وحماية للعقيدة الإسلامية من كيد الملحدين.(٢) وقد بدأت ترجمة تفسير القرآن بالفارسية فى أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري، وقبل ذلك كان هذا غير جائز لتسلط اللغة العربية.(٣)

وقد مر تفسير القرآن بخمس مراحل منذ نشأته إلى عصرنا الحاضر هي:

المرحلة الأولى: تفسير النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحابة يروون عنه، والتابعون يروون عن الصحابة كما يروى بعضهم عن البعض.

المرحلة الثانية : وكانت بعد عهد الصحابة والتابعين حيث بدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التى أشتمل عليها الحديث، بل وجد من العلماء من طوف فى الأمصار المختلفة ليجمع الحديث وجمع بجوار ذلك ما روى فى الأمصار من تفسير منسوب إلى النبى أو إلى الصحابة أو إلى التابعين ومن هؤلاء يزيد بن هارون السلمى المتوفى ١١٧ هـ، وشعبه بن الحجاج المتوفى ١٦٠ هـ / وسفيان بن عيينه المتوفى ١٩٨ هـ ،

وآدم بن إياس المتوفى ٢٢٠ هـ وعبد بن حميد المتوفى ٢٤٩ هـ وغيرهم ، غير أن هذه التفاسير لم يصل إلينا شيئا منها.

المرحلة الثالثة : انفصل التفسير عن الحديث ، وأصبح علماً قائماً بنفسه ، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك حسب ترتيب المصحف، وتم ذلك على يد طائفة من العلماء منهم ابن ماجه المتوفى ٢٧٣ هـ، وابن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ وأبو بكر بن مردويه المتوفى ٤١٠ هـ وغيرهم.

المرحلة الرابعة : وفى هذه المرحلة لم يتجاوز التفسير حدود التفسير المأثور وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين دون أن ينسبوها لقائليها، والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر فى هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين فى تفاسيرهم، وكان هذا هو بداية ظهور خطر الوضع والإسرائيليات فى التفسير.

المرحلة الخامسة: وهى تمتد من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة، دونت تفاسير اختلط فيها الفهم العقلى بالتفسير النقلي، وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه، فالنحوى تراه لا هم له إلا الإعراب، وينقل مسائل النحو وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدى فى البسيط وأبى حيان فى البحر المحيط وصاحب العلوم العقلية يعنى فى تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة كالفخر الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب. وصاحب الفقه يعنى بالأدلة الفقهية والرد على من يخالف مذهبه كالقرطبي(٤)، ومن هنا ظهرت ألوان متعددة للتفسير فى العصر الحديث مثل: اللون العلمي، اللون الإلحادي، اللون الاجتماعي.

أولاً: اللون العلمى للتفسير:

هو اللون الذى يرمى إلى جعل القرآن مشتملاً على سائر العلوم، وكان من أثر هذه النزعة أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب يحاول أصحابها أن يحملوا القرآن كل علوم الأرض والسماء(٥). ومن أشهر التفاسير التى كان لها هذا الاتجاه إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي، والجواهرى فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهري، وهذا النوع من التفسير إذا كان قد لقى قبولاً ورواجاً عند بعض العلماء، فإن هناك كثرة من العلماء لم ترض عنه مثل الشيخ محمود شلتوت والشيخ أمين الخولى والشيخ مصطفى المراغى لأنه يصرف الناس عن القرآن وهديه.(٦)

ثانياً: اللون الإلحادي:

منى الإسلام من زمن بعيد بأناس يكيدون له ، ويعملون على هدمه ، وكان من الأبواب التى طرقوها ليصلوا إلى نياتهم السيئة تأويل القرآن الكريم على وجوه غير صحيحة تتنافى مع ما فى القرآن من هداية واندفع هؤلاء النفر من المؤولة إلى ما ذهبوا إليه من أفهام زائفة فى القرآن بعوامل مختلفة فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله سبب للشهرة ، ومنهم من تلقى من العلم حظاً يسيراً لا يرقى به إلى مصاف العلماء، ولكنه اغتر وراح ينظر فى كتاب الله دون التقيد بأى أصل من أصول التفسير، ومنهم من طوعت له نفسه أن يخوض فى تفسير كتاب الله على ما به من غواية وأخرج تفسيرا سماه "الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن"، وقد أحدث هذا التفسير ضجة فى المحيط العلمى وقام الأزهر بمصادرة الكتاب لما فيه من تطاول على حدود الله (٧). ونحن هنا لا ندين كتب التفسير التى ألفها مفسرون ينتمون إلى مذاهب إسلامية مختلفة، وإنما ندين من تطرف منهم، إلى ما ليس فى أصول العقيدة ونص القرآن الكريم .

ثالثاً: اللون الأدبى الاجتماعي:

هو التفسير الذى يقوم أولاً على إظهار مواضع الدقة فى التعبير القرآني، ثم يطبق ما فى القرآن على ما فى الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران والفضل فى هذا اللون التفسيرى يرجع إلى مدرسة الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير، وقد سعت هذه المدرسة على التوفيق بين القرآن، وما أثبته العلم من نظريات صحيحة، ووضحت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد الذى يساير التطور الزمنى والبشرى، ودفعت ما ورد من شبه عن القرآن بحجج قوية ، كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوى القارئ ويحبب إليه النظر فى كتاب الله، ويرغبه فى الوقوف على معانيه وأسراره.(٨)

رابعاً: اللون المذهبي:

هو التفسير الذى يصبغه أصحابه بصبغة مذهبية بما يتماشى مع مذهبهم ويتفق مع أهوائهم ومشاربهم(٩) ومن أمثلة ذلك تفاسير الفرق الإسلامية وخاصة الشيعة فالمذهب الشيعى من أقدم المذاهب الإسلامية، والشيعة هم الذين شايعوا عليا وأهل بيته، واعتبروا عليا هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلافة حق له استحقها بوصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى لا تخرج عنه فى حياته ، ولا عن أبنائه بعد وفاته.

وبدأ ظهور هذا المذهب فى آخر عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم نما واتسع على عهد على رضى الله عنه، والشيعة غير متفقين فى المذهب والعقيدة، وانقسموا إلى فرق عدة ويرجع اختلافهم إلى عاملين أولهما اختلافهما فى المبادئ والتعاليم ، فمنهم من غالى فى تشيعه وتطرف فيه إلى حد جعله يلقى على الأئمة نوعاً من التقديس، ويرمى كل من خالف علياً وحزبه بالكفر . ومنهم من اعتدل فى تشيعه فاعتقد بأحقية الأئمة فى الإمامة وخطأ من خالفهم، ولكن لا يصل الخطأ إلى حد الكفر. وثانيهما الاختلاف فى تعيين الأئمة، فبعد مقتل الحسين تعددت وجهات نظر الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين رضى الله عنه، ففريق يرى أن الخلافة بعد مقتل الحسين انتقلت إلى أخيه محمد بن الحنفية فبايعوه بها، وفريق ثان يرى حصر الإمامة فى ولد على من فاطمة، وقد أصبحت بعد مقتل الحسين حقاً لأولاد الحسن؛ لأنه أكبر أخوته، وفريق ثالث يرى أن الحسن قد تنازل عن الإمامة فسقط حق أولاده فيها، وهى حق لأولاد الحسين الذى قتل من أجلها.(١٠)

ومن أشهر فرق الشيعة الشيعة الإثنى عشرية وأئمتهم هم على بن أبى طالب، الحسن بن على، الحسين بن على، على زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، موسى الكاظم، على الرضا، محمد الجواد، على الهادي، الحسن العسكري، محمد المهدي. وتقوم عقيدة الشيعة الاثنى عشرية على: أن الإمامة منصباً إلهياً كمنصب النبوة إلا أنها دونه فى المنزلة. عصمة الأئمة الاثنا عشر شفاعة الأئمة، عودة الإمام الثانى عشر بعد غيابه ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت جوراً، التقية وهى أن يقول الإنسان أو يفعل غير ما يعتقد لدفع الضرر عن نفسه أو ماله أو حفظاً لكرامته، الرجعة وهى أن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدى قوماً مما كان تقدم موتهم من شيعته ، وقوماً من أعدائه ليريه دولة الحق ويعزه بها، البداء وهو أن يشرع الله حكماً كالوجوب أو التحريم ويبلغه لنبيه، وبعد العمل به يرفع هذا الحكم ويأتى حكماً آخر لانتهاء الأسباب الموجبة لبقاء الحكم الأول(١١) وعلماء الشيعة لم يضنوا بجهد فى سبيل أن يجدوا مبادئهم المميزة لعقيدتهم الدينية والسياسية ثابتة فى القرآن وحينما لم يجدوا فى القرآن كل ما يساعدهم على أغراضهم وميولهم ادعوا أن القرآن له ظاهر وباطن، وأن علم جميع القرآن عند الأئمة، وحجروا على العقول ، فمنعوا الناس من القول فى القرآن بغير سماع من أئمتهم، وادعوا أن القرآن حرف وبُدل عما كان عليه زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكان من نتائج التفسير الباطنى للقرآن الكريم صرفهم ألفاظ القرآن إلى غير مدلولاتها.(١٢)

ورغم كل ما قيل عن التفاسير الشيعية إلا أن هناك تفاسير شيعية معتدلة مثل تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسى واسمه الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى المشهدي، ولد فى طبرستان وهو من بيت عرف أهله بالعلم، وله تصانيف كثيرة منها الوسيط فى التفسير ، الوجيز، أعلام الورى بأعلام الهدى والآداب الدينية بالإضافة إلى تفسيره مجمع البيان الذى فرغ من تأليفه ٥٣٤ هـ وتوفى ٥٣٨ هـ .(١٣) وأيضاً من التفاسير الشيعية المعتدلة تفسير الميزان للعلامة سيد محمد حسين طباطبائي، ولد فى تبريز ١٣٢٦ هـ.ق وتوفى فى قم ١٣٦٠ هـ.ش/ ١٤٠٢ هـ. ق وهو من كبار المفسرين الشيعة المعاصرين ، ومن أشهر أثاره بداية الحكمة وأصول الفلسفة والشيعة فى الميزان (١٤) بالإضافة إلى تفسيره المميز فهو يعرض التفسير المأثور عن النبى وآله والصحابة والتابعين ثم يورد ما قرأ من أبحاث فلسفية أو علمية أو تاريخية أو اجتماعية أو أخلاقية ومن بينها أبحاث روائية عن الشيعة.

المبحث الثاني:

أولا : أوجه الشبه بين التفاسير العربية وتفسير بهاء الدين شفيعى لسورة الفجر: بالإطلاع على تفسير سورة الفجر فى كل من تفسير القرطبى وتفسير فتح البارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى وتفسير الجلالين تبين إنه أتفق مع التفاسير العربية فى كثير من المواضع، منها إن السورة مكية. وفى شرحه للقسم القرآني، فذكر أن القسم القرآنى لكمال الحجة، فالموجودات المذكورة فى القسم القرآنى إما أنها ذات مقام معنوي، أو أنها ذات منافع مادية، والقسم بالمصنوع يستلزم القسم بالصانع (١٥)، وهناك ثلاثة أنواع للقسم هي: القسم بذات الله مثل "فوربك لنسئلنهم أجمعين".(١٦) القسم بفعله تعالى مثل "والسماء وما بناها".(١٧) القسم بمفعوله مثل قوله تعالى "والنجم إذا هوى".(١٨) وهو فى هذا متفق مع التفاسير العربية التى ذكرت أن الله يقسم بأسمائه وصفاته لعلمه، ويقسم بأفعاله لقدرته ويقسم بمفعولاته بعجائب صنعه.(١٩)

ذكر معنى كلمة الفجر من فعل "شكافتن" بمعنى أن يشق حيث يشق النور الظلام، وذكر الاختلاف فى

تحديد الفجر المقصود أهو فجر ذى الحجة ، أم غرة محرم أول السنة الهجرية القمرية، أم إنه فجر غرة رمضان المبارك أم إنه فجر يوم عرفة.(٢٠)

ذكر بهاء شفيعى اختلاف العلماء حول القسم بالليالى العشره فذكر ربما تكون العشرة أيام الأولى من ذى الحجة أو العشرة أيام الأولى من محرم أو العشرة أيام الأخيرة من رمضان.(٢١)

ذكر بهاء شفيعى اختلاف العلماء حول معنى الشفع والوتر فقال : "يقول البعض أن الشفع يوم العيد، والوتر يوم عرفة، والبعض يقول أن الشفع يوم التروية وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة وأن الوتر يوم عرفة، ويقول البعض أن الشفع هو الصفا والمروة والوتر هو الكعبة ، والبعض يقول أن الشفع هو الليل والنهار والوتر هو يوم القيامة، والبعض يقول أن الشفع أبواب الجنة الثمانية ، والوتر هو أبواب جهنم السبعة" (٢٢)

ذكر أن المقصود من قوله تعالى "والليل إذا يسر" ليلة المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله، حيث يصلون الصبح هناك ويتجهون بعد ذلك إلى منى.(٢٣) وفى قوله تعالى "فى ذلك قسم لذى حجر" ذكر بهاء شفيعى أن المقصود هو العاقل، والغرض من الاستفهام هو التقرير حيث لا مجال للشك.(٢٤)

وفى قوله تعالى "ألم تر كيف فعل ربك بعاد" ذكر أن الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه لأعدائه ليعلموا كيف قضى الله على تلك الجماعة الطاغية ليكونوا عبرة للناس.(٢٥)

وفى قوله تعالى "ارم ذات العماد" ذكر بهاء شفيعى أن "ارم إما اسم قبيلة أو اسم بلد يقال إنها دمشق ويقول البعض أنها الاسكندرية أو أنها لقب عاد الذى عرفت به، وهناك ثلاث اختلافات حول لفظ (ذات العماد) إما أنهم أصحاب خيام ويتنقلون من مكان لآخر طلباً للكلأ، أو المقصود بالعماد الأعمدة أى أنها ذات أبنيه مرفوعة على عمد، أو أن لهم أجساداً طويلة وقوية كالأعمدة(٢٦) وقد حكى بهاء شفيعى قصة ارم ذات العماد وهى المدينة التى بناها شداد بن عاد وذكرها وهب بن منبه: "فر جمل من عبدالله بن قلابه ، فتتبعه عبد الله حتى وصل إلى صحراء عدن ، وفى وسط الصحراء وجد سوراً محكماً تعلوه قصور ، فظن أن هناك مساكن محدودة داخل السور ، فترجل عن الجمل الذى يركبه ودخل إلى درب القلعة وكأنه سيف، وحينما دخل وجد للقلعة دربين عظيمين لم يكن قد رأى مثلهما من قبل ، أبوابهما قد زينت بالجواهر الملونة، وانفتح الباب ورأى مدينة غاية فى الجمال، بها قصور عظيمة وغرفها مرتبة ومفروشة بفرش من اللؤلؤ، وفيها أشجار كثيرة تجرى تحتها الأنهار ، وتحت تأثير كل هذه العظمة والجمال ، أقسم عبد الله بالله وبمحمد ورسوله أنه لم ير مدينة كهذه، وربما تكون الجنة الموعودة التى وصفها الله فى كتابه العزيز، وقال عبد الله: وحملت بعض الجواهر القيمة وحبات من المسك والزعفران، ولم أستطع أن أحمل شيئاً من الزبرجد والياقوت ورجعت إلى اليمن، وقد أظهرت هذه الأشياء القيمة للناس هناك وأخبرتهم عن وجود مدينة أسطورة فى قلب الصحراء، فانتشر الخبر ووصل إلى سمع معاوية، فطلبه معاوية وأمر بإحضاره وشرح له عبد الله ما حدث تفصيلاً. فأرسل معاوية رسولاً إلى كعب الأحبار يستدعيه عنده، وسأله يا أبا اسحاق ، هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال: نعم المدينة التى بناها شداد بن عاد، وقد ذكرت فى القرآن باسم ارم ذات العماد ، فطلب منه معاوية أن يصفها تفصيلاً ، فقال يا معاوية سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك وجهه أحمر وهو أبيض وعلى طرف حاجبه وجنب رقبته خالان، وعندما رأى عبد الله بن قلابه قال: والله هذا هو الشخص الذى سيدخل ارم ذات العماد .(٢٧)

وفى قوله تعالى: "وثمود الذين جابوا الصخر بالواد" عرف بهاء شفيعى بثمود فذكر إنهم من قبائل العرب وأنهم أبناء كاثر بن ارم بن سام بن نوح ، وهم أول من نحت الجبال والصخور وقطعوها وجعلوها بيوتاً، وهم قوم صالح الذين دعاهم لعبادة الله وأظهر لهم المعجزة التى أرسلها الله لهم وهى ناقة الله، وطلب منهم أن يتركوها ترعى فى أرضه دون أن يمسوها بسوء ، فاستهزأوا به وذبحوا الناقة وقالوا له: لو كنت رسول الله إلينا أنزل العذاب علينا الآن، فنزل عليهم العذاب فى صورة زلزال عظيم قضى عليهم فى بيوتهم، وقد استمر ثلاثة أيام ولم يبق أحداً منهم(٢٨) تبعاً لقوله تعالى: "فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين"(٢٩)

وفى قوله تعالى: "وفرعون ذى الأوتاد" ذكر بهاء شفيعى أن فرعون كان يعذب الناس بالأوتاد ويشدهم بها إلى أن يموتوا مثل زوجت فرعون آسيا التى ورد ذكرها فى القرآن حيث يقول تعالى: "وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله، ونجنى من القوم الظالمين"(٣٠)

وحين ظهر لفرعون إيمانها أوتد يديها وقدميها

بأربعة أوتاد وألقاها فى الشمس، ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة وظلت تتعذب إلى أن لحقت بربها.(٣١)

وفى قوله تعالى"الذين طغوا فى البلاد، فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد". ذكر بهاء شفيعى أن المقصود من هذه الآية عاد وثمود وفرعون الذين عتوا وتجاوزوا الظلم والعدوان، لذا شاع الفساد فى بلادهم ولفظ "صب" يدل على التوالى واقترانه بسوط العذاب يدل على أن عذاب هؤلاء القوم كان متواليا، فقد أرسل الله الرياح للقضاء على قوم عاد ، والصوت المهيب لإهلاك قوم ثمود والماء لإهلاك قوم فرعون، هذا بالإضافة إلى ما سيلاقونه من عذاب أشد فى الآخرة والله يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه به(٣٢)

وفى قوله تعالى: "فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه ، فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهنن".

ذكر بهاء شفيعى أن هذا المقياس غير صحيح ، وأن الغنى والفقر امتحان من الله ، فالغنى ليس دليلاً على العناية الإلهية، كما أن الفقر ليس دليلاً على الغضب الإلهى بدليل أن بعض الأنبياء كانوا فقراء مثل سيدنا موسى وسيدنا داود وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم).(٣٣)

وفى قوله تعالى: "كلا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحاضون على طعام المسكين، وتأكلون التراث أكلاً لما وتحبون المال حباً جما". ذكر المفسر الفارسى أنه لا ينبغى للعبد أن يكون هكذا فى عدم إكرامه لليتيم الذى حضنا الله على إكرامه وفى عدم تشجيع إطعام المسكين ، ولا يجوز للعبد أن يأكل مال اليتامى ويلمه لما ، فيأخذ نصيبه ونصيب غيره ولا يليق للعبد أن يحب المال كثيراً لدرجة عدم التفرقة بين حلاله وحرامه دون التفكير فى العاقبة.(٣٤)

وفى قوله تعالى: "كلا إذا دكت الأرض دكا دكا ، وجاء ربك والملك صفاً صفاً ، وجئ يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى". ذكر بهاء شفيعى أن كلمة "كلا" بمعنى لا ينبغى أن يكون الأمر هكذا لدى الناس فى انكبابهم على الدنيا ، لأن الأرض ستتزلزل ويتكسر كل ما عليها ويدك لمجيء أمر الله بانتهاء الدنيا، ويقف الملائكة فى صفوف لتنفيذ أمر الله وعند ذلك يؤتى بجهنم ولها سبعون ألف زمام ، ويجرها سبعون ألف ملك ، وعندئذ يتعظ الإنسان الضال ويتوب لكن هذه التوبة لا تنفعه.(٣٥)

وفى قوله تعالى: "يقول يا ليتنى قدمت لحياتي، فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد". ذكر المفسر الفارسى أن الإنسان الضال يندم ويقول يا ليتنى عملت لحياتى فى الآخرة، وعند ذلك ينال عذاباً شديدا لم يعذب به أحد ويوثق وثاقاً شديداً لم يوثق به أحد لأنه من الله والضمير فى لفظ عذابه ووثاقه يعود على الله سبحانه وتعالى(٣٦)

وفى قوله تعالى "أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادي، وادخلى جنتى". ذكر بهاء شفيعى أن النفس المطمئنة هى النفس الراضية بقضاء الله، المطمئنة بالإيمان، المصدقة بالبعث والثواب تعود إلى ربها، فإذا انتهى الحساب تدخل فى زمرة الصالحين وتستقر فى الجنة.(٣٧)

ثانياً: أوجه الخلاف بين المفسر الفارسى وبين التفاسير العربية:

ذكر بهاء شفيعى أن من أفضال سورة الفجر أن من يقرأها كل يوم تكون له نوراً يوم القيامة، وقد أورد حديثاً عن الإمام جعفر الصادق قال:"اقرأوا سورة الفجر فى الفرائض والنوافل، فإنها سورة الحسين والشخص الذى يقرأها سيكون يوم القيامة مع الحسين" (٣٨).

ذكر الحكمة من القسم بالليالى العشر سواء المقصود بها الأيام العشرة الأولى من ذى الحجة أو العشرة أيام الأولى من محرم أو العشرة أيام الأخيرة من رمضان لأفضلية هذه الشهور عند الله ، فالعشرة أيام الأولى من ذى الحجة هى أفضل الأيام للعبد ليقوم بالأعمال الصالحة، وأن من يصوم يوما واحدا من هذه الأيام العشرة كمن يضحى بمائة جمل أو من يوقف مائة جواد للجهاد فى سبيل الله. أما من يصوم الأيام العشرة كلها يمنحه الله عشرة أشياء هى: يطول عمره، يزيد ماله، يحفظ أولاده، تمحى سيئاته، تزداد حسناته، يسهل عليه خروج الروح عند الموت، يمنحه الله نوراً ينير له ظلمات يوم القيامة، يثقل الله ميزان أعماله، ينجيه الله من قاع جهنم، يوصله إلى درجات الجنة. كما أن لهذه الأيام قداسة خاصة ، ففيها مراسم الحج وهو ركن من أركان الشريعة الإسلامية، وهى فريضة واجبة على المسلم القادر مرة واحدة فى العمر، وهى عبادة مالية ورياضية وجسمية، وبها منافع روحية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وتزيد من مدارك الإنسان، وتقلل عنده الأنانية، وتعوده على متاعب السفر (٣٩)، وقد أشار القرآن لهذه المنافع فى قوله تعالى: "ليشهدوا منافع لهم".(٤٠)

وقد أورد بهائى مجموعة أحاديث عن الحج والعمرة مثل: من مات ولم يحج وهو قادر فهو إما يهودى أو نصرانى. الحج والعمرة ينفيان الفقر كما ينفى الكير خبث الحديد. لا تتركوا حج بيت ربكم فتهلكوا. لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة.(٤١) أما عن العشرة أيام الأولى من محرم، فقد ذكر بهائى أن محرم هو شهر الدم والروايات عن الأئمة المعصومين الذين يكون ذكرهم حماية للنفس، كما أن فيه استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين ورفاقه فى العاشر من محرم.(٤٢) أما عن العشرة أيام الأخيرة من رمضان، فقد ذكر بهاء شفيعى أن رمضان من أفضل الشهور ، وأيامه من أفضل الأيام وخاصة العشرة أيام الأخيرة منه لأن فيها ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن. (٤٣)

رجح المفسر الفارسى أن الفجر المقصود فى الآية الكريمة هو فجر ذى الحجة والأيام العشرة هى الأيام العشرة الأولى من ذى الحجة والشفع هو يوم التروية والوتر هو يوم عرفه لصلة كل هذا بمراسم الحج .(٤٤) وفى قوله تعالى: "الذين طغوا فى البلاد، فأكثروا فيها الفساد". أضاف بهاء شفيعى إلى عاد وثمود وفرعون اسم شاه إيران السابق باعتباره من الطغاة، وذكر كثير من أنواع الفساد والبلايا التى ابتليت بها إيران قبل ثورة ١٩٧٩ قبل تجارة المخدرات وبيوت الدعارة وغيرها.(٤٥)

وفى قوله تعالى: "فأما الإنسان ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن، أما إذا ما ابتلاه فقدر عليه فيقول ربى أهانن" ذكر بهاء شفيعى أن كلمة الإنسان تعنى الإنسان بصورة عامة فى حين اتفقت التفاسير العربية على أن المقصود هو الإنسان الكافر الذى يعتقد أن الكرامة والهوان بكثرة الحظ فى الدنيا وقلته.(٤٦)

ثالثاً : تفسير بهاء شفيعى لسورة الفجر بالنسبة للتفاسير الشيعية:

كان بهاء الدين شفيعى معتدلا فى تشيعه، وغير مغال كغيره من متطرفى الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، فلم يرد فى تفسيره أن كفر أحدا من الصحابة، أو طعن فيهم، كما أنه لم يغال فى شأن الإمام على بما يجعله فى مرتبة الإله أو فى مصاف الأنبياء، وكان اعتماده على التفاسير المعتدلة مثل مجمع البيان للطبرسى والميزان لمحمد حسين طباطبائى.(٤٧) فإذا اختلفت الآراء حول تفسير إحدى الآيات ذكر كل الآراء ومن بينها تفاسير الشيعة دون تمييز، وعند ترجيحه لرأى ذكر السبب، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: "والشفع والوتر" ذكر أن هناك آراء متعددة فيقول البعض أن الشفع يوم العيد والوتر يوم عرفه ويقول البعض أن الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفه ويقول البعض أن الشفع والوتر الصفا والمروة والوتر الكعبة ويقول البعض أن الشفع الليل والنهار والوتر يوم القيامة ويقول البعض أن الشفع أبواب الجنة الثمانية والوتر أبواب جهنم السبعة ويقول البعض أن الشفع الحسن والحسين والوتر على بن أبى طالب ولكنه رجح أن الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفه لصلة ذلك بمراسم الحج.(٤٨)

لم يأخذ بهاء شفيعى موقف المتشدد للدفاع عن مذهبه، وإنما حاول أن ينقل للقارئ من خلال تفسيره بعض الأفكار الشيعية ببساطة مثل فكرة أن سورة الفجر هى سورة الحسين وإن الإمام جعفر الصادق أكد على قراءتها فى الفرائض والنوافل وأن الشخص الذى يقرأها سيكون يوم القيامة مع الحسين.(٤٩) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: "والفجر وليال عشر" ذكر أن الأيام العشر ممكن أن تكون العشرة أيام الأخيرة من شهر رمضان لأن فيها ليلة القدر، وهنا ذكر ما يعتقده الشيعة عن هذه الليلة فقال: "يقدر فى ليلة القدر كل شيء يكون فى تلك السنة إلى مثلها من قابل خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق، فما قدر فى تلك السنة وقضى فهو المحتوم، ولابد للعبد فى هذه الليلة أن يدعو الله ليرفع عن نفسه البلاء" .(٥٠) وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية." ذكر أن صاحب النفس المطمئنة هو سيد الشهداء الإمام الحسين (٥١) وهذا قليل من كثير مذكور بإفاضة فى التفاسير الشيعية المتشددة مثل تفسير الصافى لملا حسن كاشى المتوفى ١٠٩ هـ (٥٢) وتفسير العلوى للسيد عبد الله بن محمد رضا العلوى المتوفى ١١٨٨ هـ.(٥٣)

وقد استنبط الإيرانيون من سورة الفجر اسم العشرة أيام الأولى من الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩ م والتى يرون تشابها وتماثلاً بين فجرها والفجر الذى أقسم به الحق سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بقوله تعالى: "والفجر وليال عشر" (٥٤) ويسمونها عشرة الفجر المباركة (دهه مبارك فجر) ويبدأ الاحتفال بعشرة الفجر المباركة فى صباح يوم أول فبراير من كل عام ويعتبر الإيرانيون الاحتفال بعشرة الفجر بمثابة إعلان وفاء للإمام الخمينى وولاء للثورة وتجديد عهد وميثاق لأهداف ثورتهم.(٥٥)

المبحث الثالث:

مميزات ترجمة تفسير بهائى لسورة الفجر: تميزت ترجمة تفسير بهاء الدين شفيعى بعدة مميزات هى:

الترجمة على قدر المعانى القرآنية وبلغة فارسية بسيطة. لم تكن ترجمة حرفية ولا ترجمة بالمعنى فقط، بل جمعت بين الاثنين معاً فعالجت أى خلل قد يطرأ على الترجمة من إتباع أى من الأسلوبين. اتفقت هذه الترجمة مع ما ورد فى تفسير القرطبى الذى وصفه علماء الأزهر الشريف بأنه "كتاب عظيم النفع ، كثير الفائدة، لا غنى عنه لعالم ولا لمبتدئ فى العلم. وليس له مثيل فى بيان الأحكام الفقهية من الكتاب والسنة."(٥٦). كما اتفقت الترجمة أيضاً مع أوردته التفاسير العربية مثل تفسير الجلالين وتفسير فتح البارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني.(٥٧) أن الترجمة لم تهمل القصص المتعلقة بالقرآن وكانت تكملها إلى نهايتها بمواضع أخرى من القرآن غير السورة المراد ترجمتها فمثلاً قصة عاد لم يكتف المفسر بما ذكر عنهم فى سورة الفجر ، وإنما أكمل قصتهم من سورة الأحقاف (٥٨) وسورة الأعراف (٥٩) وسورة الشعراء (٦٠) .

انقسمت توضيحات بهاء شفيعى إلى قسمين: توضيحات مذكورة بشكل منفصل فى الحاشية، وهى لبيان المقصود من بعض المفردات أو الجمل التى وردت فى الترجمة وغير واضحة المفهوم بالنسبة للقارئ، وتوضيحات وردت فى متن الترجمة، وهى مستفيضة وتعتمد على مصادر قيمة مثل ما ذكر عن قوم عاد وثمود وفرعون.

مراعاة للتراكيب النحوية للآيات: ترجم بهاء شفيعى قوله تعالى "هل فى ذلك قسم لذى حجر": "آيا عُقلا وخرد مندان ميتوانند دريا بندكه دراين سوگندها عجايب ودلائلى برعظمت الهى نهفته است". (٦١) فاستطاع بتركيبه النحوى أن ينقل للقارئ معنى الاستفهام التقريرى لدلائل العظمة الإلهية المختفية فى القسم والتى لا يدركها إلا أصحاب العقول والإفهام. كما ترجم قوله تعالى "ألم تر كيف فعل ربك بعاد": "آيا نديدى يا ندانستى كه خداوند باقوم عاد جه كرد."(٦٢) فاستخدام المترجم للفعلين "نديدى" و"ندانستى" فنقل للقارئ المعنى الحرفى والمعنى المقصود من الآية، فهو سبحانه لم يقصد الرؤية، وإنما يقصد العلم بما حدث لعاد. ليكونوا عبرة للناس. وأيضاً حين ترجم قوله تعالى "والذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد." "آنانكه درشهرها بشان طغيان كردند ودرآن بلاد فساد را شايع نمودند" (٦٣) فراعى المترجم فى تركيبه النحوى استعمال الفعل فى صيغة الجمع لأنه يعود على قوم عاد وثمود وفرعون لأن الفساد كانوا هم مصدره.

ثانياً : عيوب الترجمة: كان يبالغ أحياناً فى حواشى القصص والشخصيات إلى حد أن القارئ يمكن أن يغفل عن الآية التى كان يفسرها. والترجمة تعوذها الدقة فى بعض المواضع، ففى ترجمته لقوله تعالى: "يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية" ترجمها كالآتى:"اى نفس آرام بازگرد سوى يرورد كار خويش، تو از اوخرسند واو از تو خرسند ." (٦٤) كان يجب أن يترجمها كالآتى: "اى نفسى ارام گرفته بسوى يرورد كار خود بازگرد درحالتيكه بسند كننده باشى آنجه رابتو دهنده".

وفى ترجمة قوله تعالى "ادخلى فى عبادى"، ذكر بهاء الدين شفيعى الترجمة كالآتى "درشماره بندگانم بيرون آى" (٦٥) وهذا خطا لغوى وكان لابد أن يقول: "درشماره بندگانم در آى"، وفى قوله تعالى: "وادخلى جنتي." أضاف المترجم للمعنى ما لم يرد فيه فقال:"دربهشت جاى گزين" أى "اختارى مكاناً فى الجنة" وهذا المعنى غير وارد، وكان يجب أن يترجمها "به بهشتم درآى".

ميله بالآيات القرآنية إلى معانى تتفق ومذهبه الشيعي. فمثلا عند تفسيره قوله تعالى:"والشفع والوتر" ذكر أن الشفع يقصد به الحسن والحسين والوتر هو على بن أبى طالب أمير المؤمنين تبعاً للتفسير البرهانى للشيعة (٦٦)

وعند تفسيره قوله تعالى: "يا أيتها النفس المطمئنة " ذكر أن صاحب النفس المطمئنة هو سيد الشهداء الإمام الحسين نقلا عن الإمام جعفر الصادق.(٦٧)

الخاتمة:

أهم النقاط التى توصلت إليها القراءة هي: وضح الكتاب معنى كلمة تفسير كما وردت فى المعاجم العربية، كما بين معنى تفسير القرآن بغير لغته ومتى بدأ. بين الكتاب مراحل تطور علم التفسير منذ نشأته إلى العصر الحاضر. ذكر الكتاب ألوان التفسير فى العصر الحديث وهى اللون العلمى واللون الإلحادى والأدبى والاجتماعى واللون المذهبي. عرف الكتاب بتفسيرين من تفاسير الشيعة المعتدلة وهما مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى وتفسير الميزان فى تفسير القرآن للعلامة محمد حسين طباطبائي. بين الكتاب أوجه الشبه والخلاف بين تفسير بهاء شفيعى لسورة الفجر والتفاسير المكتوبة بالعربية. بين الكتاب اعتدال بهاء الدين شفيعى فى تفسيره لسورة الفجر بالنسبة للتفاسير الشيعية المتعصبة مثل تفسير الصافى لملا حسين كاشى وتفسير العلوى للسيد عبد الله محمد

رضـا العلوى. بين البـحث اسـتنبـاط الإيرانيـون لاسم "عشرة الفجر" وهى العشرة أيام الأولى للثورة الإيرانيـة ١٩٧٩ م من سـورة الفـجـر المبـاركـة ومـا يـرمـز إليـه الاحتفال بها.

المراجع

١ – مـجـمع اللغـة العـربيـة – المعـجم الوسـيط ط القاهرة الرابعة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م . صـ ٦٨٨ .

٢- أنظر مـحـمـد حـسين الذهبى – التـفـسـيـر والمفسـرون ط القـاهـرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م جـ الأول صـ ٢٩ .

٣ -حـسن أنوشـة – فـرهنكنامـه ادبى فـارس – جلد دوم حاب تهران ١٣٧٦ هـ . ش صـ ٣٨٦ .

٤- أنظر محمد حسين الذهبى – التفسير والمفسرون جـ ١ صـ ١٤٠ : ١٥١ .

٥ – محمد حسين الذهبى – التفسير والمفسرون حـ ٣ صـ ١٦٣ . وأيضـاً أ.د عفت الشرقـاوى – اتجـاهات التفسير فى مصر فى العصر الحديث صـ ٦٩ .

٦- أنظر مـحـمـد حـسين الذهبى – التـفـسـيـر والمفسرون حـ ٣ صـ ١٨٤ ، ١٨٥ .

٧- أنظر حسين الذهبى – التفسير والمفسرون – جـ ٢ صـ ١٩٨ : ٢١٢ .

٨ -أنظر محمد حسين الذهبى – جـ ٢ – صـ ٢١٣ .

٩ – المرجع السابق صـ ١٨٦ .

١٠ – أنظر عـبـد الرحـمن بن خلدون – مـقـدمـة ابن خلدون ط القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م صـ ٢١٨ .

١١ – أنظر حسين على محفوظ – تاريخ الشيعة ط بغداد ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م صـ ٧٤ : ٨٠ .

وأيضاً محمد جواد مغنية – الشيعة فى الميزان ط بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م صـ ٤٨ : ٥١ .

١٢- أنظر اجنتس جولد تسيهر – مذاهب التفسير الإسلامى ترجمة د/ عبد الحليم النجار ط مصر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م صـ ٢٨٦

وأيضاً أنظر محمد حسين الذهبى – التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ٢٣ : ٤٢ .

١٣- محمد حسين الذهبى – التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ٢٣ : ٤٢ .

١٤- WWW.irib . ir - occtiasons / All-ameh page 2 .

١٥- بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره فجر ط قم ١٣٦٢ هـ . ش صـ ٥ .

١٦ -سورة الحجر الآية ٩٢ .

١٧ – سورة الشمس الآية ٦ .

١٨ – سورة النجم الآية ١ .

١٩- القـرطبى – تفسـيـر القـرطبى الجـامـع لأحكام القرآن ط ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م . جـ ١٠ صـ ٧٣٧٨ .

٢٠- بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر صـ ٧ .

٢١-بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر ص ٨ .

٢٢- أنظر بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر صـ ١٥ .

٢٣ – المرجع السابق صـ ١٥ .

٢٤-بهاء الدين شفيعى -تفسير سوره الفجر ص ١٦ .

٢٥- المرجع السابق صـ ١٦ ، ١٧ .

٢٦-بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر صـ٢٤ .

٢٧- بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر صـ ٢٥ ، ٢٦ .

٢٨ – أنظر بهاء شفيعى – تفسير سوره الفجر صـ ٢٧ ، ٢٨ .

٢٩ – سورة الأعراف الآية ٧٨ .

٣٠ – سورة التحريم الآية ١١ .

٣١ -أنظر بهاء شفيعى-تفسير سوره الفجر ص ٣٣ .

٣٢ – أنظر بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره فجر صـ ٣٤ : ٣٧ .

٣٣ -أنظر بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره فجر صـ ٤٤ ، ٤٥ .

٣٤ – المرجع السابق صـ ٤٩ .

٣٥ -بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره فجر صـ ٥٠ .

٣٦-بهاء الدين شفيعى -تفسير سوره الفجر ص ٥١ .

٣٧ – المرجع السابق صـ ٥٢ .

٣٨- بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر صـ المقدمة .

٣٩ – بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر صـ ٩ ، ١٠ .

٤٠ – سورة الحج الآية ٢٧ .

٤١ – مـحـدث كـبـيـر مـحسن كـاشـانى – المحـجـة البـيـضـاء جـ ٢، صـ ١٤٧ وهذه الأحـاديث لم أجد لهـا سند فى صحيح البخارى ولا مسلم .

٤٢ -أنظر بهاء الدين شفيعى – تفسير سوره الفجر

صـ ١٠ .
٤٣ -أنظر المرجع السابق صـ ١٣ .
٤٤- أنظر بهاء الدين شفيعى - تفسير سوره الفجر صـ ١٥ .
٤٥ -أنظر المرجع السابق صـ ٣٤ ، ٣٥ .
٤٦- تفسير القرطبى - جـ ١٠ صـ ٧٣٨٨ .
٤٧ - سبق التعريف بهما فى المبحث الأول .
٤٨-أنظر بهاء الدين شفيعى - تفسير سوره الفجر صـ ١٥ ، ١٦ .
٤٩- أنظر - بهاء الدين شفيعى - تفسير سوره الفجر صـ المقدمة .
٥٠- أنظر - بهاء الدين شفيعى - تفسير سوره الفجر صـ ١٣ ، ١٤ .
٥١ - المرجع السابق صـ ٥٢,
٥٢ - أنظر التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ١٤٥ .
٥٣ - المرجع السابق صـ ١٨٦ .
٥٤- سورة الفجر الآية ١ ، ٢ .
٥٥ - أنظر مقال عشرة الفجر واحتفالاتها فى إيران أ.د يحى داود عباس مجلة مختارات إيرانية العدد ٦٧ عدد يناير ٢٠٠٦ م .
٥٦ -مقدمة تفسير القرطبى ص ٢٠ .
٥٧ - تفسير فتح البارى - المجلد الثامن صـ ٥٧١ : ٥٧٣ .
٥٨ - سورة الأحقاف الآية , ٢٠
٥٩ - سورة الأعراف من الآية ٦٣ : ٦٦ .
٦٠ -سورة الشعراء من الآية ١٢٥ : ١٢٩ .
٦١ - بهاء شفيعى - تفسير سوره الفجر صـ ١٦ .
٦٢ - المرجع السابق صـ ١٦ .
٦٣- بهاء شفيعى - تفسير سوره الفجر صـ ٣٤ .
٦٤ - المرجع السابق صـ ٥٢ .
٦٥- بهاء الدين شفيعى - تفسير سوره الفجر ص ٥٢ .
٦٦ -المرجع السابق صـ ١٥ .
٦٧- المرجع السابق صـ ٥١ ، ٥٢ .



رفسنجانى ينشر رسالة الخمينى

inpos@peiknet.com 1/10/2006



إن نشر رسالة آية الله الخمينى من قبل " هاشمى رفسنجانى " - الرئيس الأسبق ، ورئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام الحالى - التى تقرر فيها القبول بوقف إطلاق نيران الحرب مع العراق، وكذا تعرضه فيها لأوضاع إيران الاقتصادية ، العسكرية و الحالة المعنوية للشعب الإيرانى آنذاك إنما تثير تساؤلاً كبيراً داخل المجتمع الإيرانى ، تساؤلا مفاده : لماذا قام السيد "هاشمى رفسنجانى" بنشر مثل هذه الرسالة ، ولماذا أنكر السيد "محسن رضائى" أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام الحالى، وقائد الحرس الثورى السابق طوال فترة الحرب العراقية- الإيرانية. محتوى الرسالة المنشورة، وكذا لما كذب الاعتراف بعجز القدرات الإيرانية فى تلك الحرب رغم إقرار رسالة آية الله الخمينى بذلك؟!

إن نشر رسالة الخمينى وكذا الحوار الصحفى لـ"هاشمى رفسنجانى" مع صحيفة "همشهرى" (المواطن)، قد أوضح فيه حقائق كثيرة لاسيما حقائق عن اعتقال رموز حزب توده الشيوعى آنذاك ، وتطرقه كذلك للتحولات الجارية داخل أروقة السلطة الإيرانية. هذا وقد قام الموقع الإلكترونى "بيك نت" وعقب نشر الحوار مع "هاشمى رفسنجانى" مباشرة بتحليل أهم وأبرز ما جاء فى الحوار ، وقد أشار فى إطار تقييمه للحوار إلى نقطة مهمة ألا وهى أن هذا الحوار وكأنه جاء ليرد على الجبهة التى كانت قد تشكلت لمناهضة تلك الحرب . لكن مع نشر رسالة آية الله الخمينى من قبل مكتب " هاشمى رفسنجانى " ، أعيد طرح هذا التساؤل التالى مجددا ؛ هل " هاشمى رفسنجانى " يسعى من وراء ذلك بالكشف عن شئ ما ؟، هل يرغب فى الرد على الحملات الدعائية التى كانت قد بدأت مع انطلاق انتخابات الرئاسة التاسعة ، وذلك عبر نشر ملايين النسخ والسى ديهات والمنشورات من قبل أفرع ومكاتب" الحجتية" و"مصباح يزدي" وكذا تحت حماية "مجلس صيانة الدستور" وبدعم من رئيسه شخصيا السيد "أحمد جنتى" والسيد على خامنئ؟، وهل هذا يعنى أننا سوف نشاهد فى القريب نشر وثائق وأسرار أخرى تتعلق بأحداث إقالة آية الله منتظرى من خلافة

الإمام الخمينى ، أو أحداث تتعلق بمسلسل الاغتيالات الخاص بالمسجونين السياسيين ؟، أم عن ملفات اغتيالات عقد الثمانينيات وأشياء أخرى عن قادة الجيوش والحرس الثورى إبان الحرب العراقية- الإيرانية؟ !

ومن ناحية أخرى ، فإننا قد اقتربنا ، فى الوقت ذاته ، من انتخابات مجلس الخبراء والمجالس المحلية . وربما قد تكون انتخابات مجلس الخبراء ليست ضرورية بالقدر الكافى لدى الناس وحتى لدى النخبة السياسية منهم ، غير إنها قطعا تعد هى الأهم سواء بالنسبة للقائد والزعيم أو بالنسبة لهاشمى رفسنجانى ورجال الدين ، ومن ثم قد يكون ذلك إشارة أو تذكرة إلى احمدى نجاد بعدم التدخل فى تلك الانتخابات القادمة ! لكن هل معارضو السياسات النووية الحربية على استعداد لمواجهة حقيقية ؟، وهل هذه السياسة المصاحبة لأعمال تصفية الحسابات الموسعة فى الداخل (داخل أروقة السلطة) ، ستكون مسارا لتوجهات جديدة، لاسيما انضمام شخصيات مثل ناطق نورى وعسكراولادى إلى جبهة هاشمى واحتياج ثلاثتهم كذلك إلى ثقل محمد خاتمى ودعم طيف الوسط سواء من التيار الدينى أو التيار الدينى القومى ، ولعل تصريحات احمد جنتى خلال صلاة الجمعة الماضية فى طهران قد أشارت ضمنيا إلى التقليل من أهمية وجهة نظر خاتمى التى كان قد عبر عنها مؤخرا خلال زيارته الأخيرة للولايات المتحدة الأمريكية كلها تصب فى ذلك الاتجاه .

ومما لا شك فيه أن الإعلان عن رسالة آية الله الخمينى يعد بمثابة الإعلان التاريخى ، ولعله سيظهر من قلب هذا التاريخ الأحداث المترتبة على المستقبل . فهذه الرسالة يبدو أنها ستكون مواجهة فيما بين سياستين ؛ سياسة الحرب ، وسياسة السلم . ويرفع لواء الفريق الأول القائد وعناصر حكومته من أمثال أحمد جنتى مع عدد من عناصر قيادات الحرس الثورى ، بينما عناصر الفريق الآخر هم الشخصيات الساعية للقيادة الجديدة مع هاشمى رفسنجانى ، خاصة بعد محاولات إقصائه الأخيرة من مجلس خبراء القيادة . إن رسالة آية الله الخمينى التى كانت بمثابة السجل على فاجعة الثمانى سنوات والتى كادت تجر الثورة إلى وادى موتها، وكذلك هى سياسة الحرب النووية اليوم التى بمقدورها أن تجر إيران إلى نفس هذا الوادى . فالصراع الدائر فى الحكومة بين أعضاء وأنصار السياستين هو نفسه ما عكس سبباً من دواعى الكشف عن رسالة آية الله الخمينى المتعلقة بقبول وقف إطلاق نار الحرب مع العراق ، وبين المواقف السياسية الجديدة لهاشمى رفسنجانى تجاه الأحداث الجارية .

وأخيراً، لا يمكن تحليل بواعث ماهية الكشف عن نشر هاشمى رفسنجانى لرسالة آية الله الخمينى بعيدا عن معرفة مواقف هاشمى السياسية من انتخابات الرئاسة الماضية وانتخابات مجلس الخبراء القادمة ، بما فى ذلك الموقف من السياسة النووية الحالية .

وفيما يلى نص رسالة آية الله الخمينى ، بقبول وقف إطلاق النار مع العراق :

" **بسم الله الرحمن الرحيم** "

نستعين بالله وبالسلام والصلاة على أنبياء الله العظام ، والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أما بعد :::؛

لقد أقر مسئولونا العسكريون وقادة الجيوش والحرس الثورى وخبراؤنا العسكريون صراحة أن جيش الإسلام لن يكون بمقدوره تحقيق النصر السريع ، وبناء على رأى المسئولين العسكريين والسياسيين لجمهورية إيران الإسلامية فإنه من الآن فصاعداً لن تجرى بأى حال هذه الحرب لصالح دولتنا ، خاصة أن جبهة الاستكبار فى الشرق والغرب تمول صدام بالسلاح اللازم، وعلى ضوء رسالة قائد قوات الحرس الثورى (اللواء محسن رضايئ) والتى هى واحدة من عشرات التقارير العسكرية والسياسية المبعوثة إلى بعد الإخفاقات الأخيرة ، وبعد اعتراف نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة وقائد الحرس الثورى والمعنى بتهيئة ما تحتاجه الحرب ، وكذا المعنى بإفادة القدرة للاستمرار فيها ، وبعد الاطلاع على استخدام العدو الكثيف للسلاح الكيماوى ، وعدم قدرتنا لمواجهتها فقد اتخذنا قرارنا بوقف إطلاق النار ، ومن أجل إيضاح ملابسات هذا القرار الذى اعتبره تجرع كأس السم ، فمن المفيد الإشارة إلى بعض النقاط الواردة برسالة قائد قوات الحرس الثورى المؤرخة بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٨٨م، حيث قد أعلن فيها أن القوات المسلحة الإيرانية قد باتت عاجزة عن تحقيق أى تقدم فى الحرب ، فإيران بحاجة إلى ٣٥٠لواء مدرعاً ومشاة ، و٢٥٠٠دبابة، ٣٠٠٠مدفع ، إضافة إلى ٣٠٠طائرة مقاتلة ، وكذا ٣٠٠طائرة هيلكوبتر خلال الخمس سنوات القادمة . أى حتى عام ١٩٩٣م . كما يجب أن نصبح قادرين على إنتاج الأسلحة الليزرية والنووية خلال الفترة القادمة . وكذلك إضافة أن الشئ اللافت للنظر هنا ، هو ضرورة زيادة قدرات الحرس الثورى سبعة أضعاف وقدرات الجيش الضعفين؛ لكى يمكننا مواصلة الحرب .

وأشار فى رسالته كذلك إلى ضرورة إخراج الولايات المتحدة الأمريكية من الخليج (الفارسى)، وإلا لن نوفق . وأعرب هذا القائد عن أهم جزء فى إنجاح طرحه ،

ألا وهو توفيـر الإمكانيـات والدعم ، الأمـر الذى سيصعب على الحكومة والقيادة العامة توفيرها خاصة بعد إعلان رئيس الوزراء ، ووزراء الاقتصاد والمالية عن تدهور الأوضاع الاقتصادية للبلاد إلى ما تحت الصفر.

وفى هذا السياق ، يقول المسئولون السياسيون إن الناس من هنا قد أدركوا عدم القدرة على تحقيق النصر السريع.

أيها الأعزاء أنكم تدركون أن هذا القرار بالنسبة لى إنما هو بمثابة تجرع كأس السم. ولإرضاء الله تعالى وصيانة دينه ، والمحافظة على الجمهورية الإسلامية وكرامتها أقدمنا على هذا الأمر.

إننا قد ثورنا من أجل دينكم ، وكذلك حاربنا ، والآن ومن أجل هذا الدين قبلنا وقف هذه الحرب .

وليشهد الله بأننا لم نقم بالتطبيع ولو للحظة سواء مع الولايات المتحدة الأمريكية أو الاتحاد السوفيتى ، ولا أى من القوى الكبرى الأخرى ؛ وأننا ظللنا نقاوم عالم الشرك ، الكفر والنفاق ، وعالم المال ، السلطة والحيل ، وليكن الله فى عوننا !!

وليشهد الله على أن الأنبياء والأولياء والعلماء أيضا دائماً ما كانوا طوال التاريخ يتخذون جانب المجتمع فى مواجهة الفساد والمفسدين ....

وليشهد الله أننا أبناء الإسلام ، وأن ثورتنا من أجل مرضاة الله فقط وليس ابتغاء أى شئ آخر وأننا لا نبغى سوى الشهادة . وأخيراً فقد أمرنا بشرح دواعى قرارنا بقبول وقف إطلاق النار مع العراق للناس ؛ حتى لا يفهم القرار بنحو خاطئ . ولا ينحرف أى إنسان عن شعارات الثورة وصلاح الإسلام .

خطاب زعيم الثورة الإسلامية فى لقاء النخبة من الشباب

■ كيهان (الدنيا) ٢٠/٩/٢٠٠٦

فى لقائه مع النخبة أصحاب المراكز الأولى فى المسابقات الداخلية والخارجية، اعتبر آية الله خامنئى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، أن التقدم العلمى بمثابة الهدف الاستراتيجى الأهم، وأن السعى الدؤوب والمثابرة ومهارة العلماء والطلبة والنخبة من الشباب هى أهم عوامل تحقيق هذا الهدف، كما استعرض خامنئى لأهم. إنجازات الجمهورية الإسلامية خاصة فى مجال التقدم العلمى. ومن منطلق أهمية هذا اللقاء، سنعرض فيما يلى لأهم ما ورد به:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأسباب التى تجعلنى دائماً فى ولع تجاه هذه المؤتمرات الشبابية، هو الشعور بما ينتاب شباب الأمة من جرأة وحرية فى عرض آرائهم. وبناء عليه فإننى أخص بالشكر، هؤلاء الأبناء الأعزاء الذين قاموا بعرض آرائهم.

لقد أدار القائمون على هذا المؤتمر هذه الندوة مع ما يتناسب مع مسئولياتى، وبناء عليه فمعكم كل الحق فى القول بأن إدارة هذا الاجتماع لم تكن عمية وأقول لكم أننى قد أطلعت على وجهات نظر الشباب والتلاميذ والطلبة والنخبة وكل من يشارك فى هذا المؤتمر وأقرانهم. من خلال التقارير المتعددة المقدمة من مختلف الجهات، ولست بمنأى عن تلك الحقائق التى أثريتموها وتحدثتم بشأنها، وبناء عليه سأرد على هذه الآراء وفق ما هو متاح لى:

أولا : تحدثتم عن أشياء إيجابية عديدة هى موضع اهتمام من المسئولين الأفاضل، الذين حضروا معنا الآن من وزراء ومساعدين ورئيس جمهورية و .... والبعض الآخر مما عرضتموه، يمثل لهم إشكاليات من الضرورى التعرض لها والتحدث بشأنها.

دار الحديث بشأن مؤسسة النخبة من بعض الأصدقاء وقد شهدنا لحسن الحظ مؤخراً، تطوراً ملحوظاً فى هذا الصدد حيث أبدى العديد من الشخصيات بالدولة، اهتماماً بالغاً بإنشاء هذه المؤسسة. وفيما يتعلق بمركز الأبحاث البتروكيماوية،

اعتقد أنها قضية هامة جداً، حيث من الضرورى ربط المراكز العلمية والبحثية بالمراكز التى بحاجة إلى علم وبحث وفيما يختص بقضية الهجرة إلى خارج الدولة، فعلينا أن نتأكد من أن جميع أنواع الهجرة ليست بالشئ السيئ، فدولتكم بصدد تحقيق نهضة عظيمة وبصدد تطور كبير، وقد تساهم الهجرة فى تحقيق هذا التطور أما إذا كانت الهجرة بهدف الهروب وتناسى الدولة ومصالحها ومصالح الأمة، فهى هجرة مدانة أمام وجدان وضمائر هؤلاء المهاجرين، وإن كانوا غير مدانين أمام القانون، وهم بذلك أبعد ما يكونون إلى النخبة التى نحن بصددها. يجب أن تكون الدولة والشعب والأسرة والإقليم الذى نشأوا فيه، هو المراد من هجرتهم، ليمثلوا بذلك ثمرة نافعة تخدم جيلهم الحالى والأجيال القادمة.

القضية التالية التى أشار إليها بعض الحاضرين هى قضية (الاستقلال الثقافى)، فقد تعرضنا منذ العصر القاجارى، إلى خداع وتغريب، ونتيجة عوامل متزايدة يوماً بعد يوم، وصلت هذه المسيرة إلى ذروتها فى عهد الحكم البهلوى، ومن ثم تعرضت الرموز الثقافية بدولتنا إلى خطر عظيم، لقد درج الاستعمار ومخططو السياسات الغربية لأفكار، اطلعت أنا شخصيا عليها بسبب فارق السن بينى وبينكم، فشهدنا حقبة مظلمة انتشرت بها ثقافة مفادها أن كل ما هو غربى أفضل من كل ما هو إيرانى، وأعتقد أنكم أيضاً اطلعتم على هذه الحقبة المظلمة، فقد أيقظتنا الثورة، وفجرت بداخلنا هوياتنا وقدراتنا الذاتية. ومن ثم أدركنا أن لدينا القدرة على حمل شعارتنا وبناء عليه يمكننى القول أن الاستقلال الثقافى فى نهوض مستمر يوماً بعد يوم.

القضية التالية خاصة بمسيرة التقدم العلمى بالدولة حيث قال بعض الحاضرين إن هذه المسيرة بطيئة وأنا أرى غير ذلك فمسيرة التقدم العلمى والتكنولوجى بالدولة من أعلى معدلات النمو على مستوى العالم. ربما توجد مجالات عديدة، ليس من المتاح لأفراد الشعب، الإطلاع على ما حققته من تطور علمى وتكنولوجى، لكنكم تدركون جيداً ما حققته دولتنا فى مجال التكنولوجيا النووية. لا سيما فى مجال الإنتاج الحربى وفى مجال القوات الجوية الإيرانية على الأخص لكن ما يجب عليكم أن تدركوه جيداً هو ضرورة الحفاظ على مستوى هذا التقدم، أنا لا أنكر وجود بعض العيوب، لكننى أنكر أن هذه العيوب قد تصيبنا بالإحباط والفشل، فنحن نناضل ضد الإحباط الذى هو عثرة أمام تقدم ورقى أى أمة.

افتتاحيات الصحف الإيرانية

افتتاحيات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية في شهر مهر ١٣٨٥هـ.ش. الموافق سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٦م

انعكست طبيعة شهر رمضان المعظم الذى وافق شهر مهر ١٣٨٥هـ.ش. على معالجة الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية خلال شهرى سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٦م للقضايا المطروحة على الساحة السياسية فى إيران، حيث تركز اهتمام هذه الصحف بالقضايا الداخلية، وخاصة القضية الاقتصادية، وانقسمت الصحف فى تناولها هذا الملف، حيث اختلفت المعالجة باختلاف انتماء الصحف بين الإصلاحيين والأصوليين.

كانت الصحف ذات الانتماء للإصلاحيين باختلاف أحزابهم شديدة الوطأة على الحكومة فى نقدها لسياساتها العامة، وكانت تهاجم بضراوة سياستها الاقتصادية التى تسببت فى زيادة الغلاء وارتفاع نسبة التضخم وزيادة نسبة البطالة، وكانت صحيفة التضامن(همبستكي) أشد الصحف اهتماما بالقضية الاقتصادية، ففى افتتاحيتى عدديها الصادرين بتاريخ ٣٠/٩و٤/١٠/٢٠٠٦م حاولت أن تشرح دور سياسة الحكومة الخاطئة فى زيادة الغلاء، وفى افتتاحية عددها بتاريخ ٧/١٠ انتقدت تدخل الحكومة فى شئون البنوك الخاصة، وضربت المثل ببنك بارسيان، وفى افتتاحية عدد اليوم التالى انتقدت شعار الحكومة حول العدالة الاقتصادية، واتهمتها بأنها تقوم بتوزيع الفقر وليس بتوزيع الثروة، وفى افتتاحية عدد ٩/١٠ دعت الصحيفة الحكومة إلى تشجيع القطاع الخاص لينشط فى المساهمة فى الحد من الغلاء، ثم ناقشت فى افتتاحية العدد التالى قضية التضخم موضحة ما خفى من أسبابه، وفى افتتاحية عدد ١٦/١٠ عادت إلى الحديث عن أهمية القطاع الخاص فى محاربة التضخم. وقد حذت صحيفة الشمس(آفتاب) حذو صحيفة التضامن وكأنهما كانتا على اتفاق، فانتقدت صحيفة الشمس الحكومة نقدا مرا يشوبه اليأس من تصرفاتها، وإن كانت قد ركزت على عدم ممارستها للديمقراطية، وتضييقها على الحريات العامة وخاصة حرية الصحافة، وعدم استجابتها لمطالب الشعب وعدم تجاوبها مع النقد، وذلك فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٣و٧و٨و٩و١٠و١٨/١٠ , كذلك فعلت صحيفة الاعتماد الوطني(روزنا) وإن كانت قد ركزت على نقد السياسات العامة للحكومة والرئيس، وذلك فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٥و٧و٨و١١و١٨/١٠، ودعت الرئيس والحكومة إلى الشفافية ومصارحة الشعب بالخطوات التى تريد اتخاذها لتعرف رأيه قبل القيام بها.

كانت صحيفة الدنيا(كيهان) أشد الصحف تحمسا لموقف الحكومة والرئيس، حيث تعرضت للقضية الاقتصادية بطريقة أكثر عقلانية، مؤكدة أن الغلاء والتضخم من رواسب الماضي، وأن الحكومة تفعل ما فى وسعها من أجل معالجة الغلاء وتخفيض نسبة التضخم، بل لعلها بالغت فى تمجيدها للحكومة بوصفها بأنها قدوة للحكومات، كما فعلت فى افتتاحية عددها بتاريخ ٢٦/٩، ثم عادت تدافع عن الحكومة وترد على الاتهامات التى توجهها لها المعارضة الإصلاحية فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٥و٨و١١و١٧و١٨/١٠، مطالبة الأصوليين بالاهتمام بانتخابات المجالس المحلية، ومواجهة التحالفات الحزبية التى تستعد لهذه

الانتخابات. أما صحيفة رسالت فقد ركزت في دفاعها عن الحكومة بأنها حكومة أصولية تحترم القواعد والأصول الإسلامية، وتعمل لمصلحة القاعدة الشعبية، وتلتصق بزعامة الأمة، وتتخذ استراتيجية الجودو أي الحركة الخاطفة في حل مشاكل البلاد وجماهير الشعب، وذلك في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٣و٥و٧و٨و١٠/١٠، مشيرة إلى الحلول التى تقدمها الحكومة لمشكلة الغلاء. في حين ركزت صحيفة جمهوري اسلامي على ضرورة التمسك بالوحدة الوطنية، وترك المزايدات الحزبية، ودعت المعارضة إلى النقد البناء، وعدم التحرش بالحكومة، لأن ذلك ليس في مصلحة الوطن، كما فعلت في افتتاحيات أعدادها الصادرة بتاريخ ٢٥/٩و٤و٩و١١/١٠، بل بلغت حدا أبعد عندما هاجمت مافيا الفساد الاقتصادي في افتتاحية عددها بتاريخ٩/١٠.

عندما تعرضت الصحف الإيرانية للملف النووي الإيراني هذا الشهر، ركزت على مهاجمة الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، كما فعلت صحيفة اطلاعات في أعدادها الصادرة بتاريخ ٢٤و٢٥/٩ و١و٢و٥و١٠و١١/١٠، وصحيفة رسالت في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٤/٩و٤و٩و١١/١٠، وصحيفة جمهوري اسلامي في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٣و٢٦و٣٠/٩ و٢و٨و١٠و١٦و١٧/١٠، وصحيفة كيهان في افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٤/٩ و٤و٧و١٥/١٠، كما ركزت الصحف على المقارنة بين الملف النووي الإيراني والملف الكوري الشمالي معددة الفروق بين الحالتين، داعية الحكومة إلى إعادة النظر في دبلوماسيتها الحذرة، واستخدام الدبلوماسية النشيطة، كما دعت الغرب والعالم إلى معالجة الملف النووي الكوري الشمالي عن طريق المفاوضات.

احتفت الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية بما سمته يوم القدس والذي يوافق الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، مؤكدة أن يوم القدس سوف يستمر دائما، وسوف يعبر فيه المسلمون عن موقفهم تجاه اغتصاب الكيان الصهيوني للقدس الشريف القبلة الأولى للمسلمين وثالث الحرمين الشريفين، وأشارت إلى أن الاحتفال به عبر عن وحدة قوى المقاومة في العالم الإسلامي، وهو ما ينبغي التمسك به وتدعيمه حتى تحرير المسجد الأقصى.

قضية العدد

قراءة فى الخلاف الإيرانى حول المشروع النووى ماذا وراء إعادة نشر رسالة الخمينى بوقف الحرب العراقية- الإيرانية

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

أثار رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام أكبر هاشمى رفسنجانى قضية جديدة على الساحة السياسية فى إيران، عندما نشر النص الكامل لرسالة زعيم الثورة الإسلامية السابق آية الله روح الله الخمينى التى أعلن فيها أسباب قبوله قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ بوقف الحرب بين العراق وإيران، وذلك فى ذكرى انتهاء هذه الحرب. وقد اعترض كثيرون على نشر هذه الرسالة باعتبارها رسالة سرية، وقد رد عليهم رفسنجانى بأنه قد سبق نشر هذه الرسالة من قبل، وأنها لم تكن سرية، وكانت فى متناول جميع أجهزة الإعلام، وإن كان لم يشر إلى زمان أو مكان نشرها رسميا، وقال لصحيفة صوت العدالة: إنه نشر هذه الرسالة من أجل إزالة الشبهات وتلبية احتياج جيل الشباب فى معرفة الحقائق، بعد أن ثارت شبهات حول الحرب وكيفية إنهائها. وكان الإمام الخمينى قد أشار فيها لكبار المسئولين فى البلاد إلى أنه يقبل قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ بناء على الرسائل والتقارير التى وردت إليه من الخبراء العسكريين، وشرح الظروف والأوضاع العسكرية وأسباب قبول القرار لمنع وجود أدنى شبهة حول هذا الموضوع. وكان الخلاف قد ظهر فى ذلك الوقت بين القيادات والجماعات السياسية حول نشر هذه الرسالة، حيث وافق البعض على أن ينشر منها الجزء الخاص بأسباب قبول قرار مجلس الأمن، فى حين رأى البعض أن تكون وثيقة سرية تحفظ ضمن الوثائق السرية للنظام. وأكد رفسنجانى أنه اعتمد على القوانين الخاصة بالوثائق السرية سواء فيما يتعلق بنشرها، أو عقوبة إفشائها، والتى صدرت عام ١٣٥٣هـ.ش١٩٧٥م، وطريقة حفظها التى صدرت فى ١٠/١/١٣٥٤هـ.ش. فوجدها لا تنطبق على نشر هذه الرسالة. (شرح رفسنجانى بالتفصيل هذه الكيفية)، فقد أرسلت هذه الرسالة أو أجزاء منها لأفراد كل حسب موقعه ووظيفته، وقد اعترف غلامرضا مصباحى مقدم المتحدث باسم جمعية علماء الدين المناضلين بأنه اطلع عليها فى حينها، وذلك فى صحيفة كاركزاران العدد ١٢٨ الصفحة الأولى، وأنه حتى بعد القبول الرسمى لقرار مجلس الأمن لم يتخذ أى مسئول أى إجراء لضم هذه الرسالة إلى الوثائق السرية، كما لم يظل الموضوع نفسه فى إطار السرية حرصا من الإمام الخمينى على تنوير الرأى العام بأسباب قبول قرار مجلس الأمن.

ربما كانت أهمية نشر الرسالة، وضخامة الضجة التى ثارت حولها ترجع إلى أنها احتوت أمراً كانت إثارته تبدو مستحيلة فى تلك الفترة، ونجح رفسنجانى فى أن يحوله من حلم إلى حقيقة، حيث تضمنت الرسالة قول الخمينى إن قائد جيش حراس الثورة الإسلامية (اللواء محسن رضائى فى ذلك الوقت) قد أكد للخمينى فى تقرير له رفعه يوم ٢/٤/١٣٦٧هـ.ش. أن إيران لن تحقق انتصارا واحدا خلال السنوات الخمس القادمة، وأنها حتى تستطيع أن تقوم بعمليات هجومية فى حاجة إلى ٣٥٠ لواء مشاة، ٢٥٠٠ دبابة، ٣٠٠٠ مدفع، ٣٠٠ طائرة حربية و٣٠٠ طائرة مروحية، كما أن من الضرورى أن تزيد قوات جيش حراس الثورة إلى سبعة أضعاف، وقوات الجيش النظامى إلى ضعفين ونصف، وحتى ننتصر فى الحرب العراقية- الإيرانية علينا أن نخرج أمريكا من الخليج، فى الوقت الذى أعلن فيه رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد والمالية ورئيس هيئة الميزانية أن الوضع المالى

لإيران تحت الصفر، وأن ما فقدته إيران فى هزائم العمليات الأخيرة يساوى كل ميزانية الجيش والحراس خلال العام الجاري. لكن الأهم فى رسالة الخمينى أنها حوت عبارات تشير إلى أن محسن رضائى قائد جيش حراس الثورة قد طلب من الخمينى توفير تجهيزات عسكرية متقدمة تتضمن أسلحة تعمل بالليزر، وأسلحة نووية حتى يمكن تحقيق انتصار حاسم فى الحرب العراقية-الإيرانية. وهى المرة الأولى التى يشير فيها مسئول عسكرى كبير إلى ضرورة توفير الأسلحة النووية للقوات المسلحة، وقد حذفت هذه العبارة من الرسالة عند نشرها عبر وكالات الأنباء فى ذلك الوقت، لكن رفسنجانى عندما أعاد نشرها كاملة بما فيها هذه العبارة التى تتحدث عن ضرورة امتلاك أسلحة نووية.

وقد اختلف المحللون حول هدف رفسنجانى من هذا النشر، هل كان رفسنجانى يقصد فقط أن يدافع عن نفسه بالرد على محسن رضائى الذى اتهمه بأنه لم يوافق على طلبه بتوفير مبلغ أربعة مليارات ونصف لجيش حراس الثورة من أجل أن يستطيع تحقيق انتصارات واضحة فى الحرب، رغم أن هذا المبلغ لا يمثل نسبة ٢٠٪ من ميزانية ذلك العام؟!، وأقنع الخمينى بأن تأكيد الحراس الاستمرار فى الحرب ليس أكثر من شعار؟! أم هل يريد رفسنجانى أن يورط النظام بإثارة ضرورة صنع أسلحة نووية كطلب ملح للردع يمنع تكرار ما حدث فى الحرب العراقية-الإيرانية، والاضطرار لوقف الحرب مع الهزيمة؟!، أم أنه مع اطلاعه على ما حققه المشروع النووى من تقدم، يمهد لإعلان امتلاك إيران أسلحة نووية، أو أنها بصدد تصنيع أسلحة نووية؟!، وهل طرح هذا الموضوع يعتبر مفيدا فى الوقت الذى تصبل فيه جهود إيران لإقناع المجتمع الدولى بضرورة استمرارها فى تخصيب اليورانيوم إلى حالة من العجز، واتجاه الدول الكبرى لخيار فرض عقوبات على إيران بسبب هذا الموقف؟!

حقيقة أن الحرب العراقية-الإيرانية من الموضوعات التى يختلف حولها المسئولون والقيادات السياسية والنخبة الإيرانية، حيث كان بعض القادة السياسيين يرون أن الحر ب كان ينبغى أن تتوقف بعد السنة الثانية عندما حققت إيران العديد من الانتصارات، وأن قادة حراس الثورة بإصرارهم على استمرار الحرب قد حملوا إيران خسائر باهظة، فى حين كان بعض القادة العسكريين أمثال محسن رضائى يتهمون القيادة السياسية بأنها لم تسمح بتدوين استراتيجية محددة للحرب، حتى يتمكن العسكريون من إنهاء الحرب بطريقة ناجحة.

فى حين يذهب بعض المحللين السياسيين إلى أن إعادة نشر هذه الرسالة مفيد فى الوقت الحاضر، لأنها تنبه إلى أصوليات سياسية يستفاد منها، ملخصها: أن الخمينى لم يكن يصدر قرارا يتعلق بالحرب دون الرجوع للقيادات العسكرية، والأخذ بتقاريرها باعتبارهم خبراء الحرب،كما كان يولى اهتماما لنظريات المسئولين العسكريين والسياسيين فى القرارات الهامة، وأن الخمينى كان يعتقد فى استمرار الحرب من أجل الحصول على نصر واضح محدد، ولكنه عندما شعر بأنه لن يحقق نصرا قريبا وافق على وقف الحرب، وأن الخمينى عقد موازنة بين الإمكانيات العسكرية للعدو مع الدعم الذى يتلقاه من القوى الخارجية، وبين ما لدى قواته الذى لا يصل إلى ١٠٪ مما يملكه العدو، ووجد أن الاستمرار لن يحقق نصرا، بل سيضيع المنجزات التى تمت حتى ذلك الوقت، مما ينعكس سلبا على النظام، وأنه بقبوله وقف الحرب يوقف أطماع النظام العراقى ويحمله ضغطا سياسيا كبيرا كمعتد، ويمنع الأضرار التى تزداد مع استخدام النظام العراقى للأسلحة الكيماوية، كما أن الخمينى كان يشعر بنبض الجماهير تحت وطأة الحالة الاقتصادية، والفتور تجاه الذهاب إلى جبهة القتال مع الإحساس بعدم القدرة على تحقيق نصر سريع، يضاف إلى ذلك شجاعته فى اتخاذ القرار المناسب على عكس رغبته، وما له من تداعيات نفسية وإعلامية سلبية سوف تنعكس على إدارته، وهو ماعبر عنه بتجرع السم، دون أن يتهم بالخيانة أو التراجع عن مبادئ الثورة الإسلامية، عندما أكد أنه بقبوله وقف الحرب قد دخل فى حالة سلام جاد ولن ينقضه، مؤكدا بذلك أنه رجل مبادئ وليس انتهازيا. ولقد اعتبر البعض أن قبول الخمينى وقف الحرب فى ذلك الوقت كان وبالا على صدام حسين، لأنه أدى إلى انهيار نظامه وسقوطه عندما أراد أن يعوض فشله بمحاولة ضم الكويت والاستيلاء على نفطها، بل وفشل مسعى الغرب فى إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية على يد جيوش صدام. وقد تبنى وجهة النظر هذه الإصلاحيون والمعتدلون من الأصوليين ملمحين إلى أنه ينبغى معاملة القضية النووية من خلال هذا المنطق الذى تبناه مؤسس النظام وقدوته، حيث ينبغى أن تبدى إيران مرونة فى محادثاتها مع الغرب، من أجل إبعاد شبح الحرب والتهديدات والعقوبات الاقتصادية التى سوف يكون لها مردود سلبى على الشعب الإيرانى واحتياجاته الملحة، فضلا عن أنه يتيح الفرصة لعملية الإصلاح الاقتصادى التى تعتبر من أولويات النظام فى المرحلة الراهنة، حيث أن المحفزات الأوربية تسهم فى تحقيق هذا الأمر، فى حين أن العقوبات تحرم الشعب الإيرانى من هذه الفرصة التى تهيأت له من خلال ضغط الملف النووى

الإيرانى على الغرب.

المسألة الأكثر إثارة هى موقف الرئيس الإيرانى الحالى محمود أحمدى نجاد من موضوع نشر هذه الرسالة، حيث عقب خلال حفل تخريج ضباط الشرطة بقوله: لا يظن البعض أنهم يستطيعون من خلال طرح قضايا بشكل مشوه وناقص وانتقائى وأنانى وبعيد عن التقوى، ولا علاقة لها بالإدارة الحالية، أن يشككوا فى إنجازات الأمة أو عظمة الإمام بألاعيب سياسية، ويوجدوا فرصة للعدو، ويفسدوا حياة الأمة، فى حين أن الأمة اليوم أقوى من أى وقت مضى فى التاريخ، وأكثر حكمة ويقظة وصمودا وفعالية وعلما، ولا يوجد خلل فى صفوف الشعب داخل إيران وخارجها فى مسيرته نحو قمة الشرف والتقدم، وينبغى أن يظل شعب إيران قدوة للشعوب الأخرى التى تتطلع إلى إيران. وأحمدى نجاد يؤكد من خلال ذلك موقفه المتشدد فى المباحثات مع الغرب، وعدم نيته التسليم بمطالب الولايات المتحدة الأمريكية بوقف تخصيب اليورانيوم، وأن التشدد التفاوضى حقق منجزات للشعب الإيرانى وشعوب المنطقة لا ينبغى التراجع عنها، وأن الخبرة فى التعامل مع الغرب تقتضى الاستمرار فى هذا الموقف.

كان موقف الزعيم آية الله خامنئى من موضوع الرسالة هو الأكثر أهمية، وانتظره الجميع، مما جعل الزعيم يعقد اجتماعا لقيادات النظام، يشرح لهم موقفه، وقد حضر رفسنجانى الاجتماع كما حضره رؤساء السلطات الثلاث أحمدى نجاد رئيس السلطة التنفيذية، وغلام على حداد عادل رئيس السلطة التشريعية، ومحمود شاهرودى رئيس السلطة القضائية، فضلا عن كبار القادة السياسيين والعسكريين، وقال خامنئى فى هذا الاجتماع: إن الإحساس بالتزام المسئولين أمام الله والشعب هو أهم وسيلة لجلب رحمة الله وبركاته، وإن الوحدة والصمود والإيمان هى سبيل شعب إيران للانتصار الحاسم، وعليكم الابتعاد عن إيجاد الخلاف، وإن على الجميع أن يساندوا الحكومة لأن مساندتها دعم للبلاد، وأن يكون رئيس الجمهورية موضع تقدير ، وعلى كل من له ملاحظة حول عمل الحكومة أن يوصلها للمسئولين، دون إثارة البلبلة، وإن الإفراط فى عتاب المسئولين بعضهم البعض خطأ، وله تداعيات سلبية على الرأى العام، وإن من الأفضل عدم تضخيم الأمور حول مسألة إنهاء الحرب وقبول قرار وقف الحرب، ومادامت هذه الرسالة قد نشرت فلا ينبغى الإفراط فى الحديث عن تأثيرها وكأن حادثا مهما سيقع، لاشك أن جميع المسئولين السياسيين والعسكريين قد قدموا خدمات جليلة خلال الحرب، كما كانت لهم مواضع ضعف أدت إلى أن يختار الزعيم قرار وقف الحرب، وكان يجب إحاطة الناس علما بها، ولكن لم تكن مواضع القوة ومواضع الضعف بمعنى الهزيمة أو الرغبة فى الاستسلام، لأن قرارات الإمام كانت بوحى من استقامة الشعب وصموده وتطلعه للمستقبل، وقد علمنا أن نتصرف على هذا الأساس، كان منطق الإمام والثورة هو الشجاعة مع التدبير، وهو لا يزال منطق النظام فى قراراته مع الاعتماد على قدرة الشعب المؤمن، واتخاذ تكتيكات صحيحة تتفق مع مقتضيات الظروف وتحقق الهدف، وهو ما نفعله فى موضوع الملف النووى، وأصبحت لنا خبرات، فلو لم نجرب مسألة تعليق تخصيب اليورانيوم خلال السنتين الأخيرتين، لكنا قد وافقنا على تعليق تخصيبه، ولكننا الآن نسير بخطى ثابتة، ولا يستطيع أحد أن يثبت خطأنا فى مجال المسيرة النووية، فلماذا نجرب هذه الطريقة مرة أخرى؟ لقد سجلنا خبراتنا فى هذا المجال، والأحداث التى وقعت فى وثائق دقيقة، وسوف نعرضها على الرأى العام ذات يوم، وعلى كل حال فقد كانت قراراتنا واجبة فى ذلك الوقت. إن الحديث عن إقامة الهلال الشيعى ومثل هذه الأشياء من الدعايات التى تحاول الولايات المتحدة الأمريكية أن تغطى بها فشلها فى المنطقة، وخاصة فى العراق وفلسطين ولبنان، وتخيف دول المنطقة من تنامى النفوذ الإيرانى للعمل على عزلها، وعلى الحكومات والنشطاء السياسيين فى المنطقة أن يتنبهوا لهذه الدعايات. إن نمو القوة الإيرانية نتيجة تمسكها بالأصول الإسلامية واعتمادها على الشعب، وهى ليست تهديدا لدول وشعوب المنطقة، لأنها ناصرة للحق والعدل ومعارضة للظلم والعدوان.

وقد ربط بعض المحللين موقف الزعيم خامنئى واجتماعه بقيادات النظام بتحرك حاملة الطائرات النووية الأمريكية ايزنهاور فى اتجاه المياه الدولية القريبة من إيران (والمتوقع وصولها منتصف نوفمبر ويرافقها طراد يكشف الألغام البحرية ويفجرها، ومن المتوقع أيضا وصول حاملة الطائرات انتربرايز)، من أجل مناقشة التحركات الأمريكية المتوقعة فى المنطقة، فضلا عن الملف النووى على ضوء نشر رسالة الخميني، والخلافات بين القيادات السياسية عشية الترشيح لانتخابات مجلس خبراء الزعامة، ومع أهمية القضايا المطروحة للمناقشة ضم الاجتماع حجة الإسلام حسن حفيد الخميني، ومستشارى الزعيم، وأعضاء مجمع تشخيص مصلحة النظام، وعدد من الوزراء السابقين إلى جانب المجتمعين الرئيسيين، واستمع الزعيم جيدا لوجهات نظرهم، كما استمع إلى تقارير عن استعدادات قوات الحراس البحرية عند مضيق هرمز قبل أن يصدر رأيه.

قراءة فى وعود حكومة أحمدى نجاد

■ شهراد اثنى عشرى ■ كزارش (التقرير) العدد ١٧٧، أكتوبر ٢٠٠٦

استطاع الجناح الأصولى من التيار المحافظ، قبل توليه السلطة رسمياً وأثناء المعركة الانتخابية، اجتذاب قطاعات عديدة من الشعب الإيرانى وخاصة القطاعات المعدمة ومحدودى الدخل من الموظفين، من خلال استخدام شعارات ركزت على الجوانب الاقتصادية، أما الآن وبعد مرور عام على تولى أحمدى نجاد مقاليد السلطة يبدو أن بعض هذه الشعارات والوعود التى طرحت لم تنفذ حتى الآن، ولذلك فإن كثيراً من المنتقدين وحتى الرأى العام المعتدل بشكل إجمالى يسعون للحصول على رد مناسب حتى يعلموا السبب وراء عدم تنفيذ الوعود التى قيلت أو على الأقل لماذا تم ترديدها وقت الانتخابات طالما أنها غير قابلة للتحقيق، وقد ذهبت الآن أدراج النسيان ولربما صارت فى موضع الكتمان.

الحقيقة أن حكومة أحمدى نجاد خلال هذه المدة كان لها إنجازاتها التى ينتظر أن تتعاظم الإفادة منها بعقلانية وحكمة أكبر، والتى كان منها توجه الدولة نحو التمسك بمبدأ العدالة، والزيارة المتكررة التى يقوم بها رئيس الحكومة للأقاليم، والدفع بأعضاء الحكومة للتعامل المباشر مع جماهير الشعب، والتمسك بحق إيران فى امتلاك الطاقة النووية، وكسر حلقات الإدارة المغلقة على أعضاء الأسرة الواحدة، والتصدى لبعض حالات استغلال النفوذ فى الأجهزة الحكومية. ولكن الأهم من ذلك كله هو التمسك بالشعارات التى ترددت والوعود التى قيلت كما أن مصداقية جميع المسئولين من المؤشرات الهامة المؤثرة التى ترفع من معدل التأييد للحكومة وتأكد مشروعيتها.

مشكلة زيارات الأقاليم

على الرغم من أن أحمدى نجاد فى زياراته للأقاليم يتعرف بشكل أفضل على مشكلات المعدمين والفقراء، ويعقد صلة حميمة بين الحكومة والشعب لكن بسبب ضرورة وجود رئيس الحكومة فى مركز الدولة وبحث القضايا العامة لها يمكن إسناد هذه المهمة للمحافظين أو بقية الموظفين الموفدين من الحكومة المركزية لهذه الأقاليم، وتوفير وقت الحكومة لبحث القضايا العامة للبلاد وكذلك ضغط النفقات الحكومية، بالإضافة إلى هذا فإنه فى كل زيارة تقوم الحكومة بفحص ودراسة عدد ضخم من رسائل الجماهير التى ترسل إليها، ويصل عددها فى نهاية كل زيارة إلى عدة آلاف من الرسائل، مما يتطلب الكثير من الوقت والجهد لفحصها.

بدأ أحمدى نجاد اتخاذ سلسلة من القرارات الشجاعة تهدف إلى كسر حلقات احتكار المناصب الإدارية التى كانت تتصور أن المناصب الحكومية ستظل حكراً على أفراد بعينهم إلى الأبد، لكن فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه هذه الحالة الإيجابية فإن الافتقار إلى الخبرة لدى الأفراد والمستشارين الحكوميين من ذوى المناصب العالية قد أوجد مشكلات وصعاباً فى بعض المجالات ومع الوعد الذى قطعه رئيس الجمهورية على نفسه بتغيير المسئولين غير الفاعلين، نأمل فى تعديل تشكيل الوزارة فى فرصة مناسبة لكى يتهيأ للحكومة فرصة أفضل لتحقيق وعودها وشعاراتها.

ولقد تمسكت الحكومة التاسعة من خلال الحفاظ على الروح الثورية ورفض فرض النفوذ والسيطرة على المستوى العالمى، بحق امتلاك التقنية النووية السلمية ولم تستسلم لجميع الضغوط العالمية، وعلى الرغم من أن هذا التمسك من الممكن أن يؤدى إلى تعرض إيران لعقوبات اقتصادية لكن له نتائجة الإيجابية أيضاً.

صندوق معونة الإمام الرضا

تعد لائحة صندوق معونة الإمام الرضا من أهم اللوائح الاقتصادية لحكومة أحمدى نجاد، وقد صممت بهدف المساعدة على تشغيل وتزويج الشباب وكما كان متوقعاً واجهت الكثير من الجدل حولها على مدار العام الماضى، وعلى الرغم من أن هدف الحكومة منها هو توصيل خدمات لأفراد الشعب، لكن هذه اللائحة قد واجهت ومازالت تواجه حتى الآن انتقادات موسعة من قبل خبراء الاقتصاد، مما أدى إلى إلغاء وضعها كحالة عاجلة فى المجلس وفحصها بشكل اعتيادى، ونأمل

بتنفيذها أن تستطيع القيام بدور فى حل مشكلات الشباب.

على حد قول المعترضين على صندوق الإمام الرضا، يبدو أنه سيكون له نفس دور الهيئات المالية المتوازية، وستوفر مصادر تمويل هذا الصندوق من الدخل المتحصل من توفير النفقات الحكومية، ولكن ما يدعو للتأمل هو ما تشهده الحكومة الحالية من زيادة فى النفقات وعجز فى ميزانية الدولة، فكيف يتحصل هذا الوفر.

إن خفض جزء من نفقات الدولة يمكن أن يقلل العجز الاقتصادى الضخم لكن كيف ستستطيع الحكومة توجيه الوفر فى النفقات لصندوق الإمام الرضا وهو نفسه جزء من معالجة العجز فى الميزانية هذا إن استطاعت تحقيقه لذا فالأمر يحتاج لدراسة أعمق.

ولو تقرر أن يقدم هذا الصندوق قروضاً مثل بقية البنوك والمؤسسات المالية فإن الأمر لا يحتاج لمثل هذه الدعاية المبالغ فيها، وإذا تقرر أن يشارك الناس فى جزء من تمويل الصندوق لأصبح الأمر اعتيادياً ولا يوجد به شئ مغاير لما سواه وبناء على هذا فإن تأسيس هذا الصندوق ما هو إلا تكرار لوضع موجود سلفا.

عائدات النفط على موائد الفقراء: شعار أم حقيقة

إن ما ينتظره الرأى العام من القادة فى مسيرة التحولات المجتمعية هو المصداقية والشفافية واجتناب الغموض، وإذا كانت الوعود التى قدمت للناس قبل الانتخابات لم تتحقق، فلا فائدة منها سوى عزوف الناس عن المسئولين وفقد الثقة فيهم، لأنهم انتظروا حتى يروا مصير الأصوات التى وضعوها فى صناديق الاقتراع وكيف يتشكل مصيرهم، وكيف ستثمر الشعارات التى طرحت عليهم، ومن أهم شعارات أحمدى نجاد وحكومته؛ إثراء موائد الفقراء من عائدات النفط، وهو الشعار الذى تردد مرات ومرات على مدار العام الماضى من قبل منتقدى الحكومة وأكدوا المطالبة بتنفيذ هذا الشعار لكن ما حدث الآن ليس عدم تحقق ما كان ينتظره الرأى العام الإيرانى فحسب وإنما تم التكتم على الموضوع برمته ولم يعد موضع حديث من الأساس.

ما زال الشعب الإيرانى متذكراً الشعارات التى قدمها المرشحون فى الانتخابات ليدخلوا ساحة المنافسة، فقد قدم هاشمى رفسنجانى (الاعتدال فى السياسة والتنمية فى الاقتصاد)، وأعلن الدكتور معين تشكيل جبهة الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتحدث على لاريجانى عن حكومة الأمل، ووعد مهدى كروبى دفع ٥٠ ألف تومان (حوالى ٧٠ دولاراً) لكل من هو فوق ١٨ عاماً، فى الختام وعد أحمدى نجاد الشعب الإيرانى بإعلاء مبدأ العدالة ومكافحة الفقر والفساد ومافيا النفط وقال: ينبغى أن يذهب المال المتحصل من الدخل النفطى إلى موائد الشعب، على الرغم من هذا وبعد مرور اثنى عشر شهراً، يتم تكذيب هذا الشعار أو الوعد، وتقول الحكومة نحن لم نقل مثل هذا الوعد، وإنما قالت به إحدى الصحف، لكننا لم نكذبه فحسب، هذا فى حين أن نواب المجلس كانوا دائماً يسألون دائماً الأشخاص المرشحين لتولى منصب وزير النفط، ما هى البرامج التى يحققون بها شعار (عائدات النفط على مائدة الشعب)؟

- طرح أحمدى نجاد شعار مكافحة مافيا النفط فى نفس الوقت الذى واجه فيه اختيار وزير النفط أزمة لم تحدث من قبل، لأن على سعيد لو أول ترشيحات أحمدى نجاد لمنصب وزير النفط قد رفض من قبل المجلس لأنه لم تكن لديه خطة لتنفيذ شعار عائدات النفط على مائدة الشعب، وكذلك رفض المجلس ترشيح صادق محصول بسبب تضخم ثروته وعدم ملاءمته لتنفيذ شعارات الحكومة، وكذلك لم يحصل محمود شلطى على موافقة المجلس بسبب أرائه السياسية، وعلى الرغم من كل ما سبق ليس من المعلوم بأى دليل نسبت حكومة أحمدى نجاد ترديد هذا الشعار للتيار المنافس لها وكأنه كلام دخيل عليها؟

مازال الشعب الإيرانى ينتظر المواجهة الحقيقية من قبل حكومة أحمدى نجاد لمافيا النفط حتى تتحقق من خلال هذه المعركة شعار عائدات النفط على مائدة الشعب، وتصل عملية تحرى العدالة إلى نتيجتها المرجوة .

إن شعارات الحكومة منذ بدأ مسئولوها جولاتهم فى الأقاليم قد تبخرت ومنذ ذلك الحين وتوجهات الحكومة فى تغيير وتبدل، ومع تعديل بعض شعارات السياسة الداخلية، اتخذت أبعاد السياسة الخارجية اهتماماً أكبر، واتخذت قضية الهولوكست مكان الصدارة فى قضايا السلك الدبلوماسى، الحقيقة أنه منذ هذه الفترة وما تلاها نجد أن الأدبيات السياسية لأحمدى نجاد قد ابتعدت عن التركيز على السياسة الداخلية واتجهت إلى الاهتمام بالسياسة الخارجية، واختلفت رؤية أحمدى نجاد إلى حد ما، لكن لا زال حتى الآن من غير المحدد ما هى أسباب هذا التحول، ولماذا لم تبدأ الحكومة مواجهة مافيا النفط من الناحية العملية؟

على الرغم من أن المحللين السياسيين والاقتصاديين من كلا التيارين قد أدلوا بتفسيرات عديدة ألحقوها

بهذا الوعد منذ بداية القول به، لكن الأمر يختلف لدى جماهير الشعب الإيرانى التى رأت فى هذا الوعد تحولاً جوهرياً فى مسار حياتها اليومية.

الإصلاحيون يرون أن شعار النفط على مائدة الشعب، ما هو إلا نوع من خداع العامة ولا يمكن أن يقول به أى خبير اقتصادى، وأن مثل هذا الشعار بمثابة بيع رأس مال الدولة وقد عارضوه من البداية على الرغم من جاذبيته الظاهرية، لكن التيار المحافظ مكن نفسه من الوصول لتولى السلطة التنفيذية عبر تبنى هذا الشعار، ومع استخدام الخطط الدعائية ارتفعت توقعات وطموحات الشعب بشدة وعندما تبين عدم القدرة على تحقيق هذه الطموحات ألصق المحافظون تهمة ترويج مثل هذه الدعايات بمنافسيهم السياسيين، هذا فى حين أن شعار عائدات النفط على موائد الشعب قد تحول إلى هدف تنفيذى لبرامج الحكومة، هذه الحقيقة اتضحت عندما تكتل نواب المجلس السابع فى مواجهة أول لوائح ميزانية الحكومة الجديدة وقالوا أن حكومة أحمدى نجاد تريد إغراق البلاد بواردات استهلاكية بما يتحصل من دخل النفط الذى ارتفع سعره إلى مستويات لم يصل إليها من قبل.

إن ضخ أربعين مليار دولار من متحصلات بيع النفط فى لائحة الموازنة كان المشروع الذى ينبغى تحقيقه على مدار السنوات الثلاث الماضية فى شكل مشروعات إنتاجية، فميزانية الحكومة الإيرانية التى تشكل عائدات النفط الجزء الأكبر منها، ترسخ تبعية الحكومة وإيران بأكملها للدخل النفطى مما سيؤدى إلى حدوث زيادة فى معدل التضخم مع كل ارتفاع لسعر النفط، لأن تحويل الدولارات النفطية إلى ريالات وضخها فى عجلة الاقتصاد الإيرانى لن يكون له من نتيجة سوى زيادة الغلاء وتصاعد عدم الرضا الشعبى.

كان السماع لنصح وآراء الخبراء إحدى الخصائص الإيجابية لحكومة خاتمى فى حين أنه قلما ما نلحظ نفس الشئ فى الحكومة الإيرانية الحالية، ففى أواخر عهد حكومة الإصلاحيين ارتفع سعر النفط عما هو مقدر له فى الموازنة العامة، فقامت حكومة خاتمى بتكوين صندوق لادخار احتياطيات العملة الصعبة المتحصلة من ارتفاع سعر النفط وذلك بناء على اقتراح خبراء الاقتصاد حتى يتم الاستفادة منه وقت الضرورة والاحتياج، لكن فى الوقت الحالى فضلاً عن عدم الاعتناء بوجهات نظر الخبراء، يستغل صندوق احتياطى العملة الصعبة فى الواردات الأمر الذى لن يخلف سوى إفراغ هذا الصندوق وتجاهل حق الأجيال القادمة.

لقد استمع الشعب الإيرانى على مدر العام الماضى إلى أحمدى نجاد وهو يعدهم فى حالة فوزه فى الانتخابات الرئاسية بحضور محافظ طهران لاجتماعات مجلس الوزراء فضلاً عن وعده السابق بأن تكون عائدات النفط على موائد الفقراء، لكن بعد مرور عدة شهور لازال حتى الان لم يسمع خبر عن وعود رئيس الجمهورية تلك، وعلى حد قول المنتقدين إن التملص من الوعود النفطية ليس الأمر الوحيد الذى واجهه الرأى العام الإيرانى من حكومة أحمدى نجاد، لأن أحمدى نجاد فى لقاء له مع نواب المجلس قدم وعداً آخر يبدو وأنه تبرأ منه كذلك، ففى هذا اللقاء رد على سؤال وجهته النائبة فاطمة آلياً قائلاً: إذا كان لى عمل مع الحكومة فحتماً سأدعو محافظ طهران لحضور اجتماعاتها.

بعد مرور خمسة عشر شهراً على التصريح السابق، مازال محمد باقر قاليباف محافظ طهران والمنافس السابق له فى الانتخابات الرئاسية يقف أمام الأبواب المغلقة لاجتماعات مجلس الوزراء دون أن يتمكن من حضورها فى حين أن أحمدى نجاد نفسه كان يتولى هذا المنصب قبله ووجد مجموعة ممن كانوا يعاونوه آنذاك طريقهم لدخول الحكومة كوزراء فيها.

على كل حال الحكم على أداء الحكومة التاسعة وبرامجها ووجهات نظر رئيس الجمهورية مازال وقته لم يحن بعد، ولا يمكن أن نعتبر عاماً واحداً فرصة مناسبة لتحقيق جميع الشعارات والوعود التى قدمت، لكن أداء اثنى عشر شهراً يبين أن الحكومة الإيرانية التاسعة لم تنجح حتى الآن فى بعض المجالات على الرغم من الوعود التى قالت بها، ونحن نأمل أن يكون هذا الفشل أو عدم التوفيق ناجم عن مشكلات وصعوبات إدارية وليس نتيجة نسيان للوعود التى قيلت أو تملص منها.

فى نظام الجمهورية الإسلامية الذى يقوم على الحكومة الدينية والديمقراطية وحفظ القيم الإسلامية، النمو الكمى الكيفى لوعود المسئولين والنسبة المئوية لتحقق هذه الوعود يعد من آليات الديمقراطية والتقييم لمعدل رضا الأمة عن الحكام الأمر الذى يرتبط ارتباطاً مباشراً بإدارة شئون المجتمع.

اليوم يذكر معظم الباحثين وأصحاب الرأى التنمية الاقتصادية والسياسية على أنها المقياس الأساسى لقياس نمو وتقدم الدول، ولازال حتى الآن هناك اختلاف فى وجهات النظر حول مفهوم التنمية الاقتصادية والسياسية فى كثير من الدول.

من المعروف أن التنمية السياسية تقوم بالأساس على

المشاركة السياسية للشعب فى الشئون السياسية للدولة وكذلك تنافس الجماعات السياسية للمشاركة فى معادلات السلطة، وكلما كان هذا التفاعل والارتباط أفضل وأقوى كانت معدل التنمية السياسية فى تلك البلد أعلى لكن من أجل الوصول إلى التنمية المرجوة التى تتحقق من المشاركة السياسية للشعب فى أمور الدولة، تعد مصداقية المسئولين وتحقيقهم لوعودهم وشعاراتهم الانتخابية من ضروريات التنمية السياسية ومقدماتها الحتمية، وكلما كان معدل تحقيق تلك الوعود أعلى كانت مشروعية تلك الحكومة أقوى وأرسخ وبالتالى تتحقق التنمية السياسية والاقتصادية.

وعلينا ألا ننسى أن الشعب الإيرانى قد ذهب فى العام الماضى إلى صناديق الاقتراع واختار حكومة أحمدى نجاد اعتراضاً منه على التفرقة والفساد والأنانية والغلاء، كذلك لأن لا سبيل أمامه سوى مواجهة مافيا النفط وتنفيذ الوعود التى سمعها للوصول إلى العدالة والتراحم المنشود، إن الشعب الإيرانى يبحث عن العدالة وله الحق فى أن يعرف لماذا لم يحدث أى أثر ملحوظ فى أوضاعه المعيشية حتى الآن على الرغم من الارتفاع غير المسبوق لسعر النفط.

حقيقة لقاء رفسنجانى ومصباح يزدى

■ **فريد مدرس** ■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/٤



مع اقتراب موعد إجراء انتخابات الدورة الرابعة لمجلس الخبراء فى ١٥ ديسمبر المقبل تزايدت فى الفترة الأخيرة وكما هو الحال مع اقتراب موعد أى انتخابات الأنباء والتصريحات حول لقاءات تتم بين رموز وقادة بعض التيارات السياسية الإيرانية وذلك للبحث فى إمكانية التعاون فيما بينها أثناء الانتخابات، وكان آخر هذه الأخبار ما تردد خلال الفترة الماضية عن لقاء قد تم بين آية الله مصباح يزدى وهاشمى رفسنجانى، ورغم الأنباء التى وردت حول هذا اللقاء إلا أن السيد مصباح يزدى صرح بأن هذا اللقاء لم يتم وقد نقل هذا التصريح حسين جلالى مدير مكتب مصباح يزدى رداً على ما نشرته وكالة أنباء فارس، وقد التقى حسين جلالى بمصباح يزدى وعلى أثر ذلك اللقاء صرح جلالى لموقع (رجانيوز) الإلكترونى قائلاً: "هذه ليست أول مرة تنشر فيها أخبار متفائلة من بعض الشخصيات الأصولية عن لقاء تصالحى بين هاشمى ومصباح يزدى". وصرح السيد أحمد خاتمى عضو اتحاد مدرسى حوزة قم قائلاً: "البعض يبحث دائماً عن الشقاق وإثارة الخلافات، لكننا دائماً نسعى للصلح والوئام".

وقد كانت هذه أول مرة يقوم فيها حسين جلالى بصفته سكرتير عام اتحاد المؤثرين بتكذيب نبأ اللقاء، وبعد ذلك لن يستطع كل من السيد محمد فروى المتحدث الرسمى باسم اتحاد مدرس قم والسيد أحمد خاتمى أن يخفيا تمنيهم عقد عناق سياسى بين كل من هاشمى ومصباح فكلاهما إحدى قدميه فى الحوزة والأخرى فى السياسة. هذا فى حين أن وكالة أنباء فارس كانت قد نشرت هذا الخبر فى صدر صفحتها السياسية، كما أبرزت صحيفة كيهان طبيعة اللقاء الحميمية الودية فى صفحتها الأولى، وطالبت جمع وسائل الإعلام التابعة للتيار الأصولى بعقد احتفال للصلح مع نشر هذا الخبر قبل عقد انتخابات مجلس الخبراء.

اعتبر محسن روانبخش عضو الهيئة العلمية لمؤسسة الإمام الخمينى البحثية التى يرأسها مصباح، أن جوهرية الخلاف بين هاشمى ومصباح التى يقول بها البعض أمر غير صحيح، ولكن هذا اللقاء المزعوم لم يحدث ولم تكن هناك نية لعقده.

لقد كان مصباح يزدى ينتقد أداء الحكومة السابقة على الدوام سواء قبل أو بعد الانتخابات الرئاسية الأخيرة، وقد أعلن بعد انتخاب أحمدى نجاد بشهر واحد رأيه فى مؤتمر الكوثر الثقافى السياسى قائلاً: إذا كانت الحكومات الإيرانية السابقة إسلامية وفاعلة إذاً فمن أين أتت كل هذه الأوضاع المتردية؟، ويعتقد مصباح بأن مشروعية النظام مشروعية إلهية وقد رفض أى قراءة أخرى للنظام الإسلامى ويعلن انتقاداته الصريحة لكل من حكومتى

هاشمى وخاتمى بعد انتخابات رئاسة الجمهورية وتولى الحكومة التى يرغب فيها مصباح للسلطة حتى أن بعض أعضاء الهيئة العلمية للمؤسسة التى يرأسها مصباح قد صاروا أعضاء فى الحكومة أمثال إلهام المتحدث الرسمى باسم حكومة أحمدى نجاد وداوودى نائبه الأول وسقاى بى ريا مستشاره للشئون الدينية وكذلك مرتضى أقاتهران التلميذ النجيب لمصباح يزدى وأستاذ الأخلاق بالحوزة.

وعلى الرغم من أن انتقادات مصباح ونظرياته تلك كانت موجهة فى الماضى إلى معسكر الإصلاحيين المؤيدين لمحمد خاتمى على نحو أكثر ، لكن فى أثناء الانتخابات الرئاسية الأخيرة استقر شخص آخر فى مكانة المنافس لأحمدى نجاد ومن ثم اختصت الانتقادات به.

كان أحمدى نجاد الفرد الذى يبذل من أجله تلامذة مصباح كل جهودهم لكى يفوز بالانتخابات، ويقول محمد ناصر سقايى بى ريا التلميذ النجيب لمصباح ومستشار أحمدى نجاد فى هذا الصدد: لقد أهدى أعضاء الهيئة العلمية لمؤسسة الإمام الخمينى البحثية وأنا واحد منهم أجر يوم لصالح اللجنة الانتخابية الخاصة بأحمدى نجاد.

أما هاشمى الذى كان يقف كمنافس للمرشح المؤيد لنظريات مصباح يزدى فقد ذهب إلى قم وألقى خطابا بمناسبة الخامس عشر من خرداد ، وأخذ بعض منتقديه وكان غالبيتهم من العاملين بمؤسسة الإمام الخمينى أو على صلة بها يسألونه حتى يقولون أنهم غير مقتنعين بردود هاشمى، وفى اثناء ذلك تدافعت الانتقادات المتبادلة بنشر خبر اللقاء الودى بين مصباح وهاشمى حتى تفك عقدة اتحاد مدرسى حوزة قم وروحانيت مبارز بإعلان قائمة مشتركة فى انتخابات مجلس الخبراء القادمة.

لكن مكتب آية الله مصباح يزدى لم يكن مستعدا للسكوت فكذب هذا الخبر.

ويشرح أحد أعضاء الهيئة العلمية بمؤسسة الإمام الخمينى البحثية التى يرأسها مصباح يزدى، سبب نشر هذا الخبر بقوله: إنهم يريدون عرض هذه المسرحية وسط صفوف التيار الأصولى حتى لايكون هناك اختلاف حقيقى بين السيد هاشمى وآية الله مصباح حتى يضع الأصوليون هاشمى فى قائمة المرشحين لمجلس الخبراء وعلى إثر ذلك تتدافع الأصوات المؤيدة للأصوليين إلى السقوط فى صندوق هاشمى رفسنجانى.

تزايد المخاوف حول إجراء انتخابات صحيحة

■ همبستكى (التضامن) ٢٠٠٦/٩/٢٦

يعمل الإصلاحيون على فرض إجراء انتخابات حرة ونزيهة وتنافسية على التيار المقابل ولكن إلى أى مدى سينجحون فهذا يرتبط بعوامل عديدة داخلياً وخارجياً وستحدد فى الأشهر القادمة.

وقد صرح مصطفى تاج زاده بأن الانتخابات فى إيران مهددة من ثلاثة جوانب الأول حرية الانتخابات، بمعنى أنه لا توجد إمكانية للمنافسة الكاملة بالنسبة لأصحاب التوجهات المختلفة وهناك بدعة تسمى رفض صلاحية المرشحين التى بدأت بتفسير خاص لنوع الرقابة من جانب مجلس صيانة الدستور وما زالت تتواصل ولهذا ليس لدينا حتى الآن أفق مضئ بالنسبة للانتخابات القادمة وخاصة انتخابات الخبراء. وقال هذا العضو المركزى لمنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية، قبل هيمنة تيار واحد على السلطة كنا نؤكد فقط حرية وعدالة الانتخابات لأن وجود اتجاهين مختلفين فى التطبيق والإشراف كان يخلق بصفة عامة الظروف المناسبة لسلامة الانتخابات لكن مع هيمنة التيار الواحد تزايدت المخاوف الخاصة بعدم صحة عقد الانتخابات وقال فى هذا الصدد: فى الانتخابات الحرة العادلة وخاصة المؤسسات الاجتماعية لا يجب أن تتدخل فيها المؤسسات التى لها وظيفة أمنية واستخباراتية وقضائية وعسكرية وتلعب دور الحكم وتهيئة مجال اللعبة والمنافسة السياسية" ومن المؤكد أن سائر المؤسسات مثل الإذاعة والتليفزيون ولجنة الإمداد ومختلف الوزارات أيضاً لا يجب أن تستخدم موقعها لصالح فرض جناح ما. وقال النائب السياسى الأسبق لوزير الداخلية فى الحكومة السابقة مشيراً إلى اللائحة الشاملة للنظام الانتخابى أن هذه اللائحة لن تصل إلى مجلس الشورى وهى بالأساس ترتبط بالانتخابات التالية وقال عن خصائصها: من جملة انحيازها أنها سلبت الصلاحيات من المؤسسات الانتخابية وأعطتها إلى المؤسسات المعنية على سبيل المثال الهيئات التنفيذية التى كانت تقترح أسماء رؤساء المدن والنواحى وكانت تصدق على هيئة إشرافهم طبقاً

لهذه اللائحة تقرر أن يتم الاقتراح عن طريق ثلاثة أشخاص رئيس المدينة وممثل السلطة القضائية وممثل هيئة الرقابة بهذا الشكل هناك شخصان من أساس ثلاثة من المؤسسات المعينة، بناءً على هذا حتى لو استطاع الإصلاحيون مرة ثانية أن يفوزو فى الانتخابات الرئاسية ويكون وزير الداخلية أحد الوجوه الإصلاحية سيشكلون هيئات تنفيذية هى بالأساس مؤسسات معينة وسيتم رفض الصلاحيات وإبطال الانتخابات عن طريق الهيئة التنفيذية لكن باسم وزارة الداخلية والحكومة على أية حال فى حالة التصديق على هذه اللائحة فإنه سيتم رفض الصلاحيات للمرشحين الذين يوجهون النقد. وفى مواصلة كلامه أعرب عن رأيه منتقداً الإشراف على الانتخابات المحلية طبقاً للائحة: فى هذه اللائحة أسبغوا الصفة القانونية على مكاتب رقابية غير قانونية وكونوا شبكة هائلة حتى يفوز بالفعل فى الانتخابات الأشخاص الذين يريدونهم وكذلك أيضاً يعد إدخال الباسيج على ساحة التحقيق فى صلاحية المرشح أحد المواضيع التى اقترحت فى هذه اللائحة، وقد اعتبر تاج زاده أن رفض التحليلات المقدمة من جانب وزارة الداخلية على لائحة النظام الشامل للانتخابات ودخول الباسيج الساحة الانتخابية سيؤدى إلى حدوث مواجهة مع قطاع من الشعب وقال: فى كل أنحاء العالم لا تدخل القوات المسلحة التى يجب أن تكون حامية للمصالح والوحدة والأمن القومى ويجب أن تكون كل التيارات على درجة واحدة من الاتصال لهذه القوى ساحة التنفيذ والإشراف على الانتخابات والتحقيق فى صلاحية المرشحين ولهذا السبب أعلن الإمام الخمينى فى بداية الحرب أن القوات المسلحة يجب أن تكون عسكرية أما لو أراد شخص أن يعمل بالسياسة فعليه أن ينضم للأحزاب لأن التجربة قد أثبتت أينما دخل العسكريون ساحة الانتخابات بعد فترة لم يبق شئ من الديمقراطية ومؤسساتها وقال تاج زاده معرباً عن أمله بالنسبة لعدم التصديق على اقتراح وزارة الداخلية فى الحكومة أو المجلس: لكن لو تم التصديق فهذا يعنى أن أهل القرار يعملون على ألا يكون للإصلاحيين أى مرشح فى الانتخابات الرئاسية ليس نحن الإصلاحيون فقط بل حتى بعض المحافظين أيضاً لن يستطيعوا الترشيح لأنه على سبيل المثال لو أيد مائتان من كبار رجال الدولة شخصاً ما من الممكن أن يرفض مجلس صيانة الدستور صلاحيته. وبناءً على هذا لو أرادوا أن تكون هذه الانتخابات حرة إما أن يرفضوا أصل هذه اللائحة وإما أن يعدلوا هذه المواضيع المذكورة. وبدلاً من ذلك يجب أن يعالجوا المواضيع التى تخلق مشكلة فى الانتخابات على سبيل المثال يتم التصديق على أنه من لو ثبت تدخله من جانب أى قائد قوى عسكرية أو نظامية فإنه سيعزل من القيادة حتى يلتزم الباقون الحياد بل إن الإذاعة والتليفزيون ليس لها الحق فى أن تعمل لصالح جناح خاص أو ضد جناح خاص وهذا الأمر يجب أن تكون له ضمانة تنفيذ وكذلك أيضاً قال: نحن الإصلاحيون لسنا مثل الجناح المقابل الذين يظنون أنهم لو لم يكونوا على الساحة فستكون إيران أسوأ من عهد الشاه ولو أنهم وصلوا إلى السلطة فستكون البلاد تحت إشراف الإمام والنتيجة هى لو انعقدت انتخابات نزيهة فإن الفوز سيكون حليف الإصلاحات وإذا لم تتوافر الشروط السابقة للانتخابات وشاركنا فستكون الهزيمة للإصلاحات حتى لو حصل عدد من الإصلاحيين على الأصوات المطلوبة.

وقال تاج زاده بخصوص هذا الأمر لو أعلن الإصلاحيون أنهم لن يشاركوا فى الانتخابات فإن قطاعاً عريضاً من أنصار الإصلاحات فى المجتمع لن يقدموا على المشاركة وسيطلق بشكل ما هذا النقد من جانب البعض فالإصلاحيون قبل عقد الانتخابات يعتزمون إضعاف سلطة النظام الذى يسانده دعم شعبى واعتبر أن هذا الاتهام سيصدر من جانب الأشخاص السلطويين وصرح بأننا نقول لهم لو تم التصديق على صلاحية مرشحينا وعملتم على عقد انتخابات نزيهة وشاملة فإننا سنشارك بكل قوة ولو حدث أن هزمنا مثلما حدث فى الانتخابات المحلية الثانية فسنكون أول المهنئين للأشخاص الذين حالفهم التوفيق. بناءً على هذا ولو أنه طبقاً لقولكم يحتاج النظام إلى دعم شعبى فاعملوا على عقد انتخابات نزيهة وعادلة وكذلك أيضاً بالنظر إلى أن جزءاً كبيراً يرى أن مشاركته فى الانتخابات واجب شرعى ودينى. هل عدم وجود الإصلاحيين على افتراض عدم القبول بالمشاركة فى انتخابات غير عادلة لن يؤدى إلا أن يتهموا بأنهم تركوا الساحة؟

أجاب تاج زاده: من الممكن أن نتهم لكن هذا ذنب الذين لم يسمحوا بعقد انتخابات نزيهة وكان الإمام يعتبر أن المشاركة فى انتخابات عادلة واجب شرعى ووطنى وليس المشاركة فى انتخابات استعراضية ويعتقد هذا الناشط السياسى أن هذا الأمر سيكون إهانة للأمة الإيرانية التى تطلب من أمريكا عقد انتخابات حرة فى العراق وأفغانستان ولكن فى إيران وعلى مدى سبعة وعشرين عاماً بعد نجاح الثورة الإسلامية فإن قلقنا يكون إذا ما عقدنا انتخابات حرة فلأى شخص سيصوت الشعب ويدعى المحافظون بعد

الانتخابات الرئاسية التاسعة أن الإصلاحيين قد ماتوا ونحن نقول لهم أيضاً إن الميت لا يخاف واعملوا على عقد الانتخابات بشكل حر حتى يسجل عدد من المرشحين الأموات أسماءهم ليتضح من الذى هو على قيد الحياة ومن الذى هو فى عداد الأموات لكن سلوكهم يكشف أنهم يرون أنفسهم على طريق الموت وبالمنطق لو أن الإصلاحات قد ماتت فلا يجب أن يقلقوا وقال تاج زاده عن ائتلاف الإصلاحيين بمحورية خاتمى وهاشمى وكروبى: هذه المحورية بسبب الأحزاب التى تنسب إلى هذين الجليلين "هاشمى وكروبى" أما خاتمى فنظراً لمكانته الشخصية فى ظروف إيران الحالية بل وفى كثير من دول العالم هو استثناء لا بديل له على سبيل المثال فى اليابان يريد رئيس وزرائها بعد أعوام أن يلتقى خاتمى لكن الإصلاحيين للأسف لم يستفيدوا بشكل كامل من هذه المكانة وعلى الرغم من أننى غير موافق على أن تستخدم هذه الإمكانية فى الانتخابات فقط على الرغم من أن المحليات مؤسسة مهمة للغاية لكن خاتمى مكانته أكبر وأسمى بمراحل من الإصلاحيين، ونحن الإصلاحيون قد أعلنا دائماً أن خطنا الأحمر هو خاتمى.

الظلال السياسية والمؤشرات الاقتصادية

■ **سيد على أصغر** ■ كزارش (التقرير)، العدد ١٧٦، سبتمبر ٢٠٠٦

اجتمع الرئيس محمود أحمدى نجاد فى يوليو الماضى مع وزراء حكومته والسادة المحافظين، من أجل تقييم أوضاع ارتفاع الأسعار والأجواء السياسية السائدة ومواقف الأجنحة المعارضة منها، فى إشارة إلى أن ارتفاع أسعار بعض السلع وانعكاس ذلك على بقيتها إنما هو أخطاء بعض الأشخاص واستغلال هذا الخطأ من قبل المعارضة.

ففى اليوم نفسه قام السيد داءد دانش جعفرى وزير الاقتصاد والمالية بنفى حالة الغلاء، وكذلك ادعى أن الدولة لم تقم بمواجهة حالة الغلاء فحسب ولكنها اجتمعت أيضاً لتقليص معدل التضخم إلى أدنى مستوياته، حتى أنها استطاعت خفض هذا المعدل إلى أقل ما كانت عليه فى السنة الأخيرة من حكومة خاتمى، يعنى ٢,٧٪.

وكذا وفى نفس اليوم أيضاً، أعلن ناصر عاشورى، عضو الهيئة الرئاسية للجنة الاقتصادية بالمجلس السابع عن كم التناقضات الموجودة فى تصريحات قيادات الحكومة، وحول هذا السياق قال: "إن الحكومة لم تخدع نفسها، وإنما موجة الغلاء المنتشرة مؤخراً فى المجتمع هى من صنع الأجنحة السياسية".

هذا وقد قام المجلس عقب حالة الجدل الناشئ فى المجتمع حول ظاهرة الغلاء باستدعاء وزير الاقتصاد فى تاريخ ٢٤ يوليو، واستجوابه حول الموضوع. وقد صرح السيد محمد شاهى عربلو رئيس اللجنة الاقتصادية بالمجلس السابع حول وقائع هذه الجلسة الغير ممكنة قائلاً: "كانت الأجوبة غير مقنعة، والواقع أن الإحصائيات الحكومية بها تناقضات، وبلا شك أن الموضوع لم يقتصر على الحكومة الحالية، فقد كانت الحكومات السابقة تعانى نفس الموضوع".

المؤشرات الخاطئة

وفى هذه الأثناء، لربما كانت تصريحات رئيس الجمهورية أصدق من تصريحات المسئولين الآخرين، نظراً لكونها لم تنكر وجود التضخم، وفقط لم تقبل بقصور حكومته. غير إن الواقع يشير إلى أن سياسات الحكومة المتناقضة فيما يتعلق بزيادة النفقات والاعتمادات البنكية الأمر الذى دعا إلى زيادة ضخ السيولة بمعدلات قابلة للملاحظة، ولعل أهم أبرز تداعيات ذلك، ارتفاع سقف الأسعار والتضخم، ومع الأسف راح مسئولو الدولة يستغلون قلة الضعف فى الوعى لدى الناس وبدأوا فى بث أرقام خاطئة، وللأسف أيضاً فإن طريق الإعلان عن هذه الأرقام قد تم بطريقة من قبل مسئولين رفيعى المستوى يصعب التأكد من صحتها، إلا أن هؤلاء المسئولين قد غفلوا عن أن خبراء الاقتصاد بمقدورهم كشف التلاعب والمغالطات، وأوضاع السفسطة.

ففى هذا السياق، يؤكد خبراء الاقتصاد إنه يمكن الالتفات إلى هذه المسألة وبكل سهولة، فنظرة إلى الإحصائيات المنتشرة من قبل البنك المركزى نجد أنها خالية من الصحة، وذلك نظر لتصاعد مؤشرات التضخم. ففى نفس السياق، يكفى أن تقارن معدلات التضخم، زيادة حجم السيولة، إجمالى الناتج المحلى وتكاليف (نفقات) الأسر مع بعضها البعض لتحديد إلى أى مدى صدق معلومات البنك المركزى. والخطوة الأولى هى مقارنة معدلات التضخم مع زيادة حجم

السيولة، والإحصاءات المتعلقة بالتضخم ومعدلات السيولة المنتشرة من قبل البنك المركزى خلال السنوات الماضية.

فالمؤشرات المعلنة من قبل البنك المركزى خلال السنوات الممتدة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤، تشير إلى أن حجم السيولة ينمو بين ٢٦,١ و ٣٠,٢٪. وكذا كانت مستويات الأسعار العامة تتذبذب بين رقمين ١١,٤ حتى ١٥,٨٪. إلا إنه وفجأة تضاعفت مؤشرات السيولة فى عام ٢٠٠٥، إلى ٣٤,٤٪، وبالطبع مع هذه الحالة يفترض أن تضاعف أيضاً معدلات التضخم تبعاً، لكن إحصائيات البنك المعلنة تشير إلى انخفاض التضخم إلى ١٢,١٪ فقط. وهذا بدوره يخالف الواقع الاقتصادى.

ومن ناحية أخرى، فإنه وفقاً لنظرية ميلتون فريدمن عالم الاقتصاد الأمريكى الشهير أن زيادة حجم السيولة الوحيد دون حدوث الزيادة فى التضخم تحدث فقط فى حالة أن تكون هذه الزيادة متناسبة مع زيادة إجمالى الناتج المحلى بمعنى آخر فلو أن حجم السيولة تلك يتناسب مع النمو الاقتصادى بالدولة ففى هذه الحالة لن يكون هناك تضخم.

وأما مع دراسة الملف الاقتصادى بالدولة خلال السنوات الأخيرة يتضح أن السيولة لم تكن تتناسب مع النمو الاقتصادى الجارى.

عادة قديمة

وفى إطار السياق نفسه أشار رئيس اللجنة الاقتصادية بالمجلس إلى التناقضات الواضحة بإحصاءات الحكومة الاقتصادية، مؤكداً أنه بشكل عام فإن معدل التضخم الذى يحسب وفقاً لمؤشرات القيمة الاستهلاكية (CPI)، يكشف عن السقف العام للأسعار عبر سلة السلع المستهلكة للأسر.

وهذا يتضح من خلال البيانات الإحصائية أن صافى إجمالى الناتج المحلى دائماً أكبر من معدل التضخم، إلا أن هذا نفسه يختلف مع ما جاء فى السابق من مؤشرات اقتصادية، كما أنه يختلف مع واقع الغلاء الموجود بالمجتمع، وبذلك يؤكد خبراء الاقتصاد أن المسألة لا تتعلق بسلة الاستهلاك والحسابات العلمية لمعدلات التضخم بقدر ما تتضمنه من جوانب سياسية.

وإلا من أين تأتى التناقضات فى الأرقام الاقتصادية المعلنة!

الموضوع أن المسئول الجالس على الكرسى، لا يرغب فى إغضاب المسئول الأعلى فيما فوق، ومن ثم يقوم بتزييف الأرقام، إذن الموضوع موضوع سفسطة. والمطلوب إصلاح النظام القائم.

وعلى سبيل المثال، فالبنك المركزى من ضمن الوظائف الاقتصادية فى الدولة أخذ على مسئوليته تثبيت الأسعار. ولكن حينما يحدث ارتفاع سقف أسعار بالدولة عن الحد المسموح به، قطعاً يحاول الإنكار، لأنه لا يرغب فى كشف ضعف أدائه أمام العيان.

والواقع أن حل هذه المسألة يكمن فى استقلالية البنك المركزى، وهذه الاستقلالية فى شخص رئيس البنك المركزى ذاته، ففى هذه الحالة سيكون بمقدور البنك المركزى الإعلان عن الأرقام الحقيقية والتصدى لسياسات الحكومة الخاطئة، لكن هذا حال كثير من دول العالم الثالث.

فى مقابل حال بعض الدولة المتقدمة، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التى تخضع المؤسسات الإحصائية بها لإشراف الكونجرس.

أما الأمر فى إيران مختلف [illegible] إن البنك المركزى هو المتولى مسئولية العمل الاقتصادى، وإصدار البيانات والمؤشرات الاقتصادية، وفى الوقت نفسه، هو القائم بعملية الرقابة وبعد كل هذا ألا ينتظر حدوث تناقضات، ونفى الغلاء!؟..

التأثير السلبى للغلاء على الانتخابات القادمة

■ همبستكى (التضامن) ٢٠٠٦/٩/٢٠

يمثل التضخم والغلاء فى الوقت الحالى الشغل الشاغل للإيرانيين خاصة بعد تولى حكومة أحمدى نجاد السلطة لأنه مع زيادة الأسعار تختل الأوضاع المعيشية للناس حيث لم تعد دخولهم ومرتباتهم قادرة على تحمل الغلاء الذى خرج عن حدود المعقول.

هذا فى حين أن الحكومة التاسعة كانت قد وضعت شعار العدالة والتراحم على رأس جدول أعمالها منذ بداية توليها للسلطة، مما دفع الناس إلى الاعتقاد بأنه مجرد بداية الحكومة التاسعة عملها ستنعم حياتهم بميزات الرفاهية والراحة.

فى مطلع عام ٢٠٠٥، وعد رئيس مجلس الشورى الإسلامى بأنه بالتصديق على مشروع تثبيت الأسعار الذى سيؤدى إلى الرفاهية ورخص السلع يقدم عيداً جديداً للشعب الإيرانى، لكن الشعب الإيرانى على مدى

عامى ٢٠٠٥، ٢٠٠٦ شهد أمواجا متلاحقة من الغلاء وارتفاع الأسعار.

هذه المرة وقع الغلاء إلى الحد الذى أجبر حبيبى سكرتير عام جمعية المؤتلفة الإسلامية إلى أخذ موقف وصرح قائلاً بأن الغلاء يمكن أن يكون له أثر سلبى على معدل مشاركة الناخبين فى الانتخابات القادمة.

الحقيقية أن السخط الشعبى من موضوع الغلاء يبدأ قبل أى موضوع آخر وبناء على هذا فمهمة الحكومة من أجل إرضاء المواطنين وخلق الدافع لديهم للاشتراك فى الانتخابات، أن تقوم بدور من خلال سياساتها العامة لتحقيق الرفاهية والرخاء للمجتمع الإيرانى.

يعتقد بعض الخبراء أن الغلاء لن يؤثر على معدل مشاركة المواطنين فى الانتخابات والأفضل استمراره وإظهار عدم قدرة الدولة على تحجيمه، مما يلحق ضربة قاصمة بمكانة الأصوليين فى مجلس الشورى الإسلامى والحكومة. بالمقدمة السابقة تناول خطاب محمد حبيبى: صرح سكرتير عام حزب المؤتلفة الإسلامى فى إشارة إلى الخطاب الأخير لعسكر أولادى بأن ملحوظة عسكر أولادى تمثل تحذيراً إزاء دوافع طيبة كحكم عام ولم يقله يسبب حالة خاصة، وصرح محمد بن حبيبى فى حوار لوكالة أنباء إيلنا بأن ملحوظة عسكر أولادى لا تعنى أن الأجهزة الحكومية تنوى التدخل فى الانتخابات، وإنما قال ما قاله كحكم عامة دائم لجميع الحكومات فى كل الأوقات، وأضاف: نحن تعتقد أن الحكومة ليس لها دخل على الإطلاق بالمنافسات الانتخابية، ولا وجود لمثل هذا القرار، وبالتالى فإن عدم تدخل الحكومة فى الانتخابات موقف أصيل تتخذه الحكومة التاسعة، وفكرة تأثير الغلاء على المشاركة الانتخابية لم تكن فكرة عسكر أولادى وحده وإنما تناولتها بقية القوى السياسية بالبحث والنقاش، فضلاً عن أن جميع القوى السياسية تعتقد بضرورة عدم تدخل الحكومة فى قضايا الأحزاب والمنافسات الانتخابية.

وصرح سكرتير عام حزب المؤتلفة الإسلامية فيما يتعلق بتعبير بعض التيارات السياسية عن مخاوفها بشأن سلامة العملية الانتخابية قائلاً: "إن حزب المؤتلفة الإسلامى ليس لديه أدله على تدخل الحكومة فى الانتخابات لكن الأشخاص الذين يقولون بهذا الموضوع، يمكنهم أن يقدموا أدلتهم".

لاشك فى أن السخط الشعبى بسبب الغلاء سيكون له أثر سلبى على المشاركة الانتخابية، لكن إرضاء الشعب وامتصاص غضبه ليس هدفا مرحلياً أو موسمياً يرتبط بفترة الانتخابات، وجميع رجال الدولة مكلفون بتهيئة سبل إرضاء الشعب وتلبية احتياجات المجتمع، والأمر المؤكد كذلك أن الحكومة التاسعة لديها إرادة آكيدة لتحجيم موجة الغلاء وقد تمت إجراءات ملائمة بهذا الصدد لأن شخص رئيس الجمهورية ذاق شظف العيش ومصاعبه وهذا الموضوع من أولى اهتماماته، وعلى أية حال ينبغى قبول حقيقة لا يمكن إنكارها وهى أن الغلاء قد وقع على مستوى إيران فى بعض السلع وقد أكد رئيس الجمهورية بذل الوزراء جهداً أكبر لمعالجة الأمر فى الختام أعلن حبيبى أن حزب المؤتلفة الإسلامى ليس فى الموقع الذى يسمح له بالإدلاء بتصريحات فيما يتعلق بالتغييرات الحادثة فى وزارة الداخلية وينبغى على ثمرة هاشمى أن يبدأ فى ممارسة عمله، وفى حالة الضرورة سيدلى الحزب برأيه لأن العزل والتولية من صلاحيات مسئولى الدولة، ووزير الداخلية قد استخدم صلاحياته القانونية فى هذا الأمر.

نظرة على مفهوم القومية

■ مينزا عظيمى ■ www.news.gooya.com 25/5/2006

مما لا شك فيه أن عالم اليوم هو عالم "تعدد القوميات" أو هو عالم القوميات واللغات المتعددة التى تحفظ مكانتها فى أرجاء هذا العالم سواء كان ذلك داخل الدول المتقدمة أو داخل الدول النامية، لدرجة أننا أصبحنا بصدد (١٦٠) دولة متعددة القوميات والثقافات من جملة ٢٢٢ دولة فى عالمنا المعاصر.

وتعد إيران من هذه الدول الـ ١٦٠ وهو ما يعنى أنها لا تعد "حالة استثنائية" فيما يخص تنوع أو تعدد العرقيات والقوميات والثقافات، فهى دون شك دولة - مجتمع متعدد القوميات وربما جاز لنا أن نقول إنها دولة كثيرة القوميات.

إن كل واحدة من القوميات التى تقطن فى إيران سواء الفرس أو الأكراد أو البلوش أو الآذريين أو العرب أو اللوريين أو التركمان و ... الخ، قد شاركت بنصيب ما فى استمرار المدنية والحضارة الإيرانية، وذلك فى إطار بناء وهيكل واحد من الجغرافيا السياسية الموحدة،

وعلى الرغم من وجود محطات صعود وهبوط فى حالة الاستقرار الداخلى إلا أن هذه القوميات استطاعت أن تحفظ وتحمى الكيان السياسى لهذه الحدود الجغرافية الوطنية التى شكلتها الجغرافيا تحت مسمى "إيران".

فإلى جانب المسيرة الطويلة من التعايش السلمى الذى سيطر على طبيعة العلاقات بين القوميات الإيرانية، فإن هناك بعض الفترات التى شهدت ظهوراً أو صعوداً للصراع والنزاع فيما بين هذه القوميات أو لنقل سيطرة الصراع على العلاقات التى كانت قائمة بين القوميات الإيرانية المختلفة. فى هذا الصدد يمكننا رصد بعض المحطات أو الفترات الحساسة والبارزة التى شهدت صراعاً بين القوميات فى إيران على مدار المائة عام الماضية، وهى كالتالى:

المحطة الأولى ... سنوات ما بعد انتصار الثورة الدستورية فى إيران (×)

المحطة الثانية .. أواسط العقد الثالث من القرن الهجرى الشمسى أى منتصف الأربعينات من القرن العشرين.

المحطة الثالثة .. السنوات الأولى التى أعقبت انتصار الثورة الإسلامية.

فى هذا الصدد نؤكد أن عمق وشدة الأزمة وحجم الخسائر الضخمة التى أصابت الدولة فى هذه المراحل أو المحطات الثلاث .. مثل تقسيم الدولة فى المحطة الأولى، الاحتلال العسكرى لإيران من جانب الدول الكبرى الثلاث: بريطانيا، الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وسيطرة الفقر الشديد على إيران فى المحطة الثانية ومثل طرح وتقديم مطالبات تعويقية للقوميات المختلفة فى المحطة الثالثة، مثل هذه الخسائر كان من شأنها أن صارت إيران أمام "مناخ" سياسى تساوت فيه نظرية "القومية" باعتبارها نظرية ذات جذور اجتماعية مع نظرية "القومية السياسية" بوصفها أيديولوجية سياسية تحكم أو تتحكم فى عملية صنع القرار السياسى فى منطقة أو إقليم ما.

لقد بلغ الأمر لدرجة أن صار طرح "القومية" للبحث والدراسة كانت تعطى، للوهلة الأولى، إشارات أو تلميحات لأزمات سياسية ومشكلات اقتصادية.

بعبارة أخرى صارت الأزمات والمشكلات السياسية والاقتصادية بمثابة مترادفات أو مؤشرات ذات دلالات سلبية لمفهوم "القومية" بمجرد طرحها على الأذهان ومن الوهلة الأولى.

هذا فى حين أن هناك اختلافات أساسية بين "القومية" و"القومية السياسية" وأنه لا يجب على الإطلاق أن نضع المصطلحين فى تصنيف أو توصيف واحد. من هنا يكون من اللازم أن نضع مفهوماً أكثر دقة لمصطلح "القومية".

فى تعريف مفهوم القومية

تعد "القومية" من جملة المصطلحات الغامضة والمبهمة فى البحوث الاجتماعية نظراً للتعقيدات، والإشكاليات الكثيرة المحيطة بهذا المفهوم أو المصطلح وغيره من المصطلحات الأخرى المترادفة مثل "الهوية القومية"، "الجماعة القومية".

تشتق جذور كلمة "القومية" من الكلمة اليونانية "Ethnos" وهى تختلف كثيراً عن كلمة "الشعب" فى كثير من السمات والخصائص المتميزة.

ويستخدم مصطلح القومية Ethnicity فى مجالات ودوائر علمية تخصصية متعددة مثل علم الاجتماع، العلوم السياسية، الانثروبولوجيا و... الخ، ونظرا لهذا التنوع والاتساع العلمى والوظيفى الذى يستخدم فيه هذا المصطلح فلا يوجد حتى الآن تعريف محدد وواضح وجامع له.

إن التعريفات الأولية التى أخذت ووضعت عن الكلمة اليونانية Ethnicity قامت على القول بالاختلافات العرقية.

لكن مع انتشار الدراسات والبحوث فقد استطعنا إدراك "العامل الثقافى" بكل أبعاده فى تعريف هذا المصطلح أى "القومية"، حتى أن هذه الكلمة باتت تستخدم بشأن الأفراد الذين تميزهم مجموعة من الاختلافات الثقافية (العادات والتقاليد) الفنون، الآداب، الرقص، الموسيقى وأنواع الزى والملابس عن غيرهم من المجموعات البشرية الأخرى.

هنا تجدر الإشارة إلى أن التعريف الذى وضعه "انتونى ثميث" بشأن القومية Ethnicity يعد من أكثر التعريفات شمولية فهو يقول: إن القومية تعنى مجموعة بشرية محددة، ذات أساطير موروثة عن الأجداد، يحيط بهم مخاطر مشتركة وتجمعهم عناصر ثقافية تربطهم فى الوقت نفسه بمنطقة - أرض - ما تشكل لهم "الوطن" وتحقق لهم قدراً من المصالح ويشعرون تجاهها بالمسئولية.

بشكل عام يمكن القول بأنه من جملة التعريفات الخاصة بمفهوم القومية فإن ثمة صورة محددة الملامح يمكن استنتاج ملامحها لهذا المفهوم وهى كالتالى:

يتضح لنا أن المقصود بالقومية هو جماعة قومية، تجمع مجموعة صغيرة من الناس داخل مجتمع أكبر، يربط بين أفراد هذه الجماعة شعور بالأصل الواحد والنسب المشترك، التاريخ والذكريات المشتركة، الماضى التاريخى الواحد والثقافة المشتركة، كما تتمتع هذه

الجماعة بوجود عدد من العناصر الرمزية مثل صلة القرابة، المذهب، الدين، اللغة، الأرض، فضلاً عن السمات الشكلية والفيزيقية المشتركة والتى تجعل من هويتهم هوية متميزة عن سائر الجماعات الأخرى وتخلق داخل أعضائها وأفرادها إدراكاً حقيقياً تجاه الروابط الـ "عرقية - قومية".

ثمة ثلاثة توجهات أو رؤى بخصوص تعريف مصطلح - مفهوم - القومية.

الأول .. يعتبر أن "الهوية القومية" أمراً باطنياً وقديماً ومتأثراً بذكريات النشأة تجاه جماعة أو ثقافة ما.

الثانى .. يعتبر القومية أداة سياسية يعمل الزعماء السياسيون على توظيفها التوظيف الجيد لتحقيق مصالحهم.

الثالث .. يعتبر أن القومية عملاً بحتاً أى تقوم على المصادفة ويمكن أن تتغير أى أنها عمل قابل للتغيير وأنه إلى جانب تشكلها فى حضن - عباءة التاريخ- فإنها تستمد استحقاقاتها وأهليتها واستمرارها من العناصر والأدوات السياسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية.

وانطلاقاً من المفاهيم الثلاثة السابق ذكرها يمكن القول بأنه يمكن البحث عن أهم معايير التمايز العرقى - القومى فى عناصر ومكونات العامل الثقافى السابق ذكرها. ذلك أن الجماعة القومية تتشكل على أساس الميراث والمقومات الثقافية مثل اللغة، المذهب - الدين، العادات والتقاليد، التاريخ المشترك و... الخ.

أيضاً تبدو "القومية" بوصفها مراقبا على إدراك الهوية القومية وهى تخبرنا أو تكشف لنا عن حقيقة الارتباط والتعلق الوجدانى تجاه جماعة قومية ما دون غيرها.

أخيراً يرتبط "نمو القومية" بعدد من العناصر أو العوامل والتجارب المشتركة مثل الحرمان المادى، الظروف المعيشية غير الصحية والتهميش الاجتماعى - السياسى المتعمد.

من هنا فإن "القومية" تعنى ذلك الكيان المشكل من مجموعة عناصر - تبدو قديمة - مثل أرض الأجداد، التاريخ، الأساطير المشتركة، اللغة، العرق - الجنس، الثقافة والدين. وهى بذلك تختلف تماماً عن "القومية السياسية" التى تقوم وتهدف فى الأساس إلى الاستفادة من مجموعة المشاعر والأحاسيس ذات الجذور القومية بهدف تحقيق مصالح سياسية واقتصادية و.. الخ.

(×) المقصود بالثورة الدستورية تلك الثورة التى سادت إيران فى مطلع القرن العشرين خاصة فى عامى ١٩٠٥ - ١٩٠٦ وذلك بهدف المطالبة بوضع "دستور" للنظام السياسى الإيرانى يحد من سلطة الملك ويفسح السبيل أمام قيام حياة نيابية - برلمانية فى إيران وهو ما تحقق بالفعل فى عام ١٩٠٦. "المترجم"

ما هى آلام الأقوام الإيرانية؟

■ اميرى فرشاد إبراهيمى ■ www.news.gooya.com
25/5/2006

تعد مجلة "إيران الجمعة" من المجلات الأسبوعية التابعة لمؤسسة إيران الثقافية التى تصدر "جريدة إيران". وقد قامت هذه المجلة فى أواسط شهر ارديبهشت من العام الحالى ١٣٨٥ هـ. ش/ مايو ٢٠٠٦ بنشر موضوع عنوانه: "ماذا نفعل عندما لا تتعامل الصراصير مع صرصارنا؟"، وفى نفس العدد قام الصحفى مانا نيستانى أبرز رسامى الكاريكاتير فى إيران برسم كاريكاتير لهذا الموضوع ولم يكتب أى تعليق مع هذا الكاريكاتير سوى كلمة "نمنه" وقد كتبت بالحروف اللاتينية، وهذه الكلمة هى كلمة من اللغة الآذرية ومعناها "شئ للتنكير والتحقير". وهو ما أحدث موجة واسعة من البلبلة والغضب لدى الناس سواء فى اذربيجان وتبريز أو فى فارس مما طرح الأمر على الرأى العام كله وصار صاحب ذلك الموضوع ومعه صاحب الكاريكاتير "الرمزى" فى موضع الاتهام وأخذ الكل يطالب بالإدانة والاعتذار بل والتعامل الحاسم مع كلا الشخصين وجريدة إيران بل وكل مؤسسة إيران الثقافية واستفحل الأمر لدرجة خلق حالة من المناقشات الصحفية الساخنة، وعلى الرغم من أن هذه الخطوة تعد غير دقيقة وعملاً صحفياً غير رشيد وغير عابئ أو مبال بل ويجب الحيلولة دون تكراره والتصدى لأى محاولة لتكراره من جانب الصحيفة أو غيرها من الصحف الأخرى إلا ان الأمر قد يبدو مختلفاً تماماً إذا ما نظرنا إلى الموضوع والكاريكاتير.

من زاوية العمل الصحفي فإن الأمر قد يبدو مختلفاً إلى حد كبير. فنحن على سبيل المثال نجد أن مثل هذه الأعمال الصحفية أمرا عاديا في بريطانيا وإيرلندا بل وحتى في الهند وفي الدول الأخرى التي فيها مهاجرين من أصل إنجليزي بل وحتى في أمريكا ذاتها. سواء فيما يخص السود الزنوج أو الهنود الحمر. لكن في إيران فإن الوضع مختلف. ففي إيران التي سمحوا فيها - بعد مرور ٢٧ سنة من الانتصار - لربيع الحرية الصحفية أن يبدأ، فإنهم يرسمون رئيس الجمهورية داخل - أو عبر - الرسوم الكاريكاتيرية ولكن بحذر!! نعم لابد أن يكون الوضع مختلفاً بين "هناك" و"هنا". فالدولة التي مازالت تعاني من "حالة فوبياما" نتيجة لرسم كاريكاتير ما والتي تتمتع فقط بنصف رؤية أو نظرة في عالم السياسة، والتي تنظر إلى الفوارق الطبقية وتهندسها، والتي تعاني الاضطرابات والأمرين لأبسط الأسباب لابد أن يكون الأمر فيها مختلفاً، ففي مثل هذه الدولة لم يكن واجباً على "مانانى نيستانى" أن يتجرأ ويعمل مثل هذا الكاريكاتير وسواء كان كاريكاتير "مانانى ستانى" مهيناً فعلاً أم لا فنحن الآن نعاني من نتائج ذلك ونحصد تداعيات مختلفة ومتباينة بسببه. حتى أن الجميع، كل الجميع بما فيهم العاملون والمحررون في جريدة إيران يعلنون إدانتهم الصريحة لهذا الكاريكاتير. ثم فجأة وبعد كل هذه الإدانات تنفجر القنبلة فنجد الآذريين الإيرانيين الناطقين باللغة الآذرية يخرجون جميعاً إلى الشوارع فتسود إيران- كل إيران - حالة من الفوضى والاضطراب حيث اشعلوا النيران في جميع مكاتب الجريدة في كل المحافظات فيتم إلقاء القبض على مرتكبي تلك الأعمال والجرائم من جانب رجال الأمن الداخلي و... وتستمر باقي فصول القصة!!

لقد تملكت الحكومة حالة من الخوف والقلق من تكرار تجربة ما حدث في تير ١٣٧٨ هـ ش. / يوليو ١٩٩٩ عندما اندلعت أعمال العنف من جانب الطلاب في جامعة طهران. لهذا قامت مستندة على - أو إلى - ما نشر في ذات الجريدة، قامت بوقف جريدة إيران عن الصدور وكذلك مطبوعتان آخريان كما تم القبض على الصحفي وزميله وتحول الملف كله - أي ملف الصحيفة - من وزير الداخلية إلى وزيري الاستخبارات والعدل و... وقام الجميع - كل الجميع - بإدانة ما صدر من إهانات بحق الآذريين الإيرانيين بأقوى الألفاظ وأغلظ الكلمات وطلب الجميع من الشعب الالتزام الهدوء وحفظ الأمن.

وسواء كان كاريكاتير "مانانى ستانى" مهيناً حقاً أم لا فإن الشئ الذي اعتقد فيه أن هذه الاضطرابات والمظاهرات والقلاقل التي قام بها الآذريون الإيرانيون إنما تكشف عن "بغض مكتوم" وهو "البغض" الذي بلغ "الحلقوم" ليس فقط بالنسبة للآذريين ولكن أيضاً بالنسبة للأكراد والبلوتش واللور والعرب والتركمان في وطننا الكبير، لقد بلغ الأمر لدرجة أن بلغت القلوب الحناجر كما يقولون، كما أنني اعتقد أن هذا الكاريكاتير إن هو إلا كما القشة التي قصمت ظهر البعير!! حيث كشف عن ظلم وحرمان وتهميش يبلغ عمرهم ٢٧ سنة في إيران. ثمة حقيقة لم تعد خافية للعيان وهي أن تحملنا أو قدرتنا على التحمل على عتبة الانهيار سواء كان هذا التحمل مرتبطاً أو خاصاً برجال الحكومة أو غيرهم وسواء كان مرتبطاً بالطهرانيين أو غيرهم في تبريز واصفهان.. نعم لقد وصل تحملنا إلى أضعف مستوى له ما من شك في هذا ويؤيد ذلك تلك الاعتراضات والاضطرابات العمياء الأخيرة التي شهدتها مدن تبريز وأروميه وسائر مدن أذربيجان الأخرى حيث تعد دليلاً على ما نذهب إليه من جهة كاشفة عن حالة عدم الرضا القائمة بقوة لدى كثير من أفراد أمتنا من جهة أخر هو الأمر الذي كشفت عنه حالة التعجل أو الاستعجال الحكومي التي سيطرت على كل مؤسسات الدولة في تعاملها مع الأزمة بهدف إخمادها في أسرع وقت تلك الأزمة التي فجرتها الرسوم الكاريكاتيرية التي نشرت - بلا شك - على سبيل الخطأ وفي غفلة من الإدراك الصحيح لروح المجتمع، ولكي نفهم ما حدث خلال أيام التوتر التي سادت المحافظات التي يقطنها الآذريون الايرانيون يجب علينا أن نسترجع تاريخ ٢٧ سنة من أعمال المقاطعة والقمع التي تمارس بحق الأقوام والأقليات المختلفة التي تعيش في مجتمعنا تحت حجج وذرائع مختلفة وهي الأعمال التي طاولت جوانب حياتية كثيرة جنباً إلى جنب مع حالة الحرمان الاقتصادي التي تعيشها تلك الأقوام والأقليات والتي تتجلى مظاهرها بقوة في - وعلى - كفوف الشوارع في المحافظات التي تقطنها تلك القوميات كما هو الحال بالنسبة لشوارع أذربيجان بمدنها وقراها.

الواقع أن شكاوى الآذريين وغضبهم هي نفسها نفس شكاوى وآلام الأكراد والبلوتش بل ونفس شكاوى وآلام الأقوام الإيرانية المظلومة. إنهم يريدون حقهم المسلوب منذ سبعة وعشرين سنة، الحق الذي لم يعط لهم مطلقاً والذي هو "حق بديهي". فمن البديهي أن يتكلم الناس بلغتهم الأم وأن يعيشوا بثقافتهم الخاصة وأن يكبروا بها وأن يضعوا لأنفسهم شكل وطبيعة هويتهم الثقافية وألا يقبلوا تلك الثقافة التي يسعى حكام مجتمعاتهم لفرضها عليهم. إن هذا الأمر لا يعد حقاً

مقتصراً على أقوامنا فى إيران بل هو حق إنسانى متاح لكل "قوم" لكى يستفيدوا من لغتهم القومية ومن جنسهم وعنصرهم ومن ثرواتهم المتاحة لهم لكى يتمكنوا من تحقيق التقدم الحياتى والمعيشى المنشود.

على سبيل المثال يقول الناطقون باللغة الآذرية: لماذا لا نمتلك تليفزيوناً قومياً خاصاً بنا وناطقاً بلغتنا؟ وللأكراد الحق أيضاً فى أن يسألوا أنفسهم السؤال التالى:

لماذا لم نمتلك طوال السنوات السبع والعشرين الماضية مسئولاً كبيراً واحداً أو وزيراً كردياً واحداً فى هيكل السلطة والدولة؟ نفس الشئ يطرحه البلوتشيون إذ يسألون عن السبب فى عدم تخصيص حصة لهم فى الهيكل السياسى للدولة؟ ولماذا الإصرار على أن يهبط عليهم حاكم إقليمهم - محافظتهم - من مكان آخر منذ سبع وعشرين سنة؟ وهذا هو نفس السبب الذى يقود إلى الاضطرابات العمياء فتتهيأ الأسباب لأعمال القمع بأسرع شكل ممكن. فجأة تصل أخبار مفادها اشتعال النيران فى البنوك، وفجأة تشتعل النيران أيضاً فى المبانى القديمة وفى دور السينما فى "أروميه" فى نفس الوقت الذى تشتعل النيران فى عدد من مناطق تجمع واعتراضات المواطنين هناك.

ثم بعد ذلك يتم بث رسالة اعتذار إعلامية من جانب صحيفة "إيران" فى المحافظات التى يقطنها الآذريون الناطقون باللغة الآذرية. ثم يقوم أولو الأمر الحكوميون بإدانة هذه الأفعال والممارسات مرات كثيرة وكما هو الشأن مع الصحف المخالفة يتم توقيف صحيفة إيران وكذلك الصحفى "مانانى ستانى" وزميله "مهرداد قاسم" أصحاب الكاريكاتير الذى كان قد نشر يوم الجمعة ثم يتم التجديد لقرار وقف الصحيفة ويتم توقيف عشرات المعترضين الآخرين، وبشكل تلقائى نعيش فى نفس المناخ العام الذى كان قد ساد فى شهر "تير" لعام ١٣٧٨ هـ ش/ يوليو ١٩٩٩ عندما قامت جامعة تبريز فى جو من التوتر والألم والحمى الأمنية بعد الأحداث الطلابية الأليمة فى جامعة طهران، فيعلن طلاب جامعة تبريز بالكشف عن شكواهم وإظهار روح الثورة فيقابل ذلك بسعى من الحكومة لاحتواء الموقف حتى لا تزداد الاعتراضات وحتى لا يصبح الطريق ممهداً للإعلان الكامل عن مطالب المتظاهرين فندخل بعد ذلك فى صراعات بينية عمياء!! لا لشئ سوى لأن الحكومة تصر دائماً على صم وإغلاق أذنها عن حقائق الأمور. وهو ما يدفعنا لطرح السؤال التالى: لماذا لا يريد رجال الدولة لنا أن نسمع صوت المسجونين السياسيين سواء فى طهران أو فى تبريز أو فى سنندج؟ لماذا لا يريدون لنا أن نسمع صوت أعمال القمع والسحق التى تمارس فى حق العمال الترك والفرس والكرد والجيلانيين والعرب والبلوتش؟

أعود لأكرر ثانية إن كاريكاتير "مانانى ستانى" لم يكن واجباً نشره ولا يجب نشر أمثاله ليس لأنه مهينا ومحقرا ولكن لأننا نعتبره الإهانة ذاتها ولأننا لا نستطيع أن ننطق كلمة اعتراض واحدة. لكن يجب معرفة العلل والآلام فى هذه القضية يجب أن تعالج آلام الترك وآلام اللور وآلام العرب وآلام البلوتش. يجب الحديث عن ذلك الشئ وتلك الأسباب التى تفجر الأمور فى كل مرة تتيسر السبل إلى ذلك مرة بسبب كاريكاتير منشور ومرة بسبب أو بحجة مسلسل تليفزيونى وثالثة بحجة مقالة رمزية فى الغمز واللمز، يجب الحديث عن التحقير والإهانة والقمع والمقاطعة والتحريم وهى أمور موجودة ومسكوت عنها منذ سبع وعشرين سنة. إن علاج هذه الاعتراضات ليس فى توقيف واعتقال بل وحتى وإعدام هذين الصحفيين ولكن يجب التفكير فى الإجابة على السؤال التالى:

لماذا تقوم الأقوام والأقليات فى إيران بالخروج إلى الشوارع؟ بل لماذا هم فى سعى دائم لإيجاد أى ذريعة أو أى حجة أو سبب لكى يخرجوا إلى الشارع؟

أنشطة حزبية

١- مجلس التنسيق تحت مسمى جديد

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

التقى بعض أعضاء جبهة أنصار خط الإمام والزعامة برئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام هاشمى رفسنجانى وسائر أعضاء جمعية روحانيت مبارز(جمعية علماء الدين المناضلين) للوقوف على استراتيجيتهم حتى يقوموا بتنظيم الآلية الانتخابية للجبهة وفقاً لهذه الاستراتيجية ويتحركوا فى إطارها. وصرح غلام حسين أميرى رئيس اللجنة السياسية لجبهة أنصار خط الإمام والزعامة قائلاً: "طالبت جبهة أنصار خط الإمام والزعامة فى رسالة أعضاء جمعية مدرسى الحوزة العلمية بقم عقد لقاء معهم والوقوف على رؤاهم ووجهات نظرهم فيما يخص انتخابات الخبراء وتأمل فى أن تتم هذه اللقاءات بأسرع ما يمكن، من الممكن أن تلتقى هذه الجلسة أيضاً بالسيد مصباح يزدى باعتباره أحد أعضاء مدرسى الحوزة العلمية لكننا لا نرى ضرورة للالتقاء بقائمة الجمعيتين فى انتخابات مجلس الخبراء فرداً فرداً". وقال أميرى حول احتمالية تفعيل مجالس تنسيق الأصوليين فى المستقبل القريب: "يؤمن الأصوليون بالائتلاف إلى أقصى درجة ممكنة والتوصل إلى قائمة واحدة ومن المحتمل إلى حد كبير أنه سيتم بتقديم مجلس التنسيق باسم جديد وبتركيبة أكثر شمولاً"، وأضاف رئيس اللجنة السياسية لجبهة أنصار خط الإمام والزعامة: "إننا نعمل على حشد كافة الأصوليين تحت مظلة "ائتلاف الأصوليين الكبير" أو تحت أى مسمى آخر تتطلبه مقتضيات العصر وقال اميرى بشأن طريقة إدارة هذا الائتلاف: "إننا نؤمن بالزعامة الشورية لكن الأفضل والأكثر عقلانية أن يعمل هذا المجلس تحت إشراف زعيم واحد من المحتمل على حد كبير أنه سيتم اختيار شخص من الكوادر الموجودة فى جبهة الأصوليين كمنسق لكل الأصوليين".

٢- انتخابات المثقفين الأصوليين

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

تحدث أبو القاسم رؤفيان الأمين العام لجمعية المثقفين الإسلامية عن اختيار أعضاء المجلس المركزى للدورة السادسة لهذا التنظيم فى مؤتمره الأخير والذى عقد بحضور أغلبية قائلاً: "من بين وحد وأربعين شخصاً تتوافر فيهم مواصفات الترشيح لعضوية المجلس المركزى تم اختيار عشرين شخصاً كأعضاء أساسيين وثلاثة سيتم تغييرهم بعد عامين لعضوية المجلس المركزى لهذه الجمعية فى دورته الثالثة"، وأضاف: "من بين العشرين شخصاً المنتخبين هناك ١٢ وجهاً جديداً بناء على هذا من حيث التركيبة حدث تطور فى المجلس المركزى وكذلك أيضاً فإن ١٢ شخصاً من أعضاء المجلس المركزى فى هذه الدورة هم متطوعون مقيمون فى المدن انضموا لعضوية هذا المجلس".

٣- تبلور ائتلاف الإصلاحيين حول خاتمي

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

صرح مصدر مطلع بين الإصلاحيين للمراسل السياسي لجريدة آفتاب أن عبد الواحد موسوى لارى العضو البارز لمجتمع روحانيون مبارز سيعلن وبسرعة التشكيل الرسمى لائتلاف الإصلاحيين لدخول انتخابات الخبراء والمحليات حول محور محمد خاتمى، وطبقاً لتقرير آفتاب فإن معظم الجماعات والأحزاب السياسية الإصلاحية ماعدا حزب الاعتماد الوطنى قد أعلنت عن استعدادها للدخول فى هذا الائتلاف وأوضح هذا المصدر المطلع الذى هو نفسه من الوجوه الفاعلة والمسئولة فى هذا الائتلاف: "إن مجلس قيادة هذا الائتلاف يشمل ممثلين عن مختلف الأحزاب والجماعات السياسية الإصلاحية من بينها حزب المشاركة وحزب كوادر البناء ومنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية وحزب العمل الإسلامى وسيتولى قيادته أحد وزراء حكومة خاتمى"، وقد عقدت المجموعة الأساسية "النواة" لهذا الائتلاف لقاءات عديدة على مدى الأسابيع الأخيرة مع قادة الأحزاب والجماعات السياسية بخصوص هذا الموضوع كان آخرها مع نواب حزب كوادر البناء وفى هذا اللقاء أشاد محمد هاشمى أمين لجنة السياسات بحزب كوادر البناء بتكوين هذا الائتلاف ومن الواضح أن حزب الاعتماد الوطنى على الرغم من عدم دخوله هذا الائتلاف إلا أنه وعد بالتعاطى مع ائتلاف الإصلاحيين وقد تبلور هذا الائتلاف حتى الآن فى تسع مدن كبرى على مستوى البلاد فى حين أنه لم يتخذ حتى الآن قراراً هل سيعمل هذا الائتلاف فى المدن الكبرى تحت أسم واحد أم تحت أسماء متعددة.

٤- قصة خلافات حزب التضامن فيما بعد عصر الإصلاحات

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

يتجه حزب التضامن الآن نحو التفكك والانفصال وهذا هو أول حزب عضو فى جبهة الثانى من خرداد يتمسك بفكرة "النهاية" فيما بعد عصر الإصلاحات هذا هو حديث الحزب لكنه على مدى العدة أعوام الماضية كان لديه حديث آخر حديث الصبر والاحتضار حديث السياسيين الذين كانوا فى منطقة وسطى بين "التضامن وعدم التضامن" كانوا يصنعون قدماً داخل حزبهم بينما قدمهم الأخرى فى موضع آخر هذه هى القصة لكن يجب التركيز والتحليل لقصة فشل حزب التضامن فهو صورة لقصة جبهة الثانى من خرداد أيضاً الجبهة التى من أدائها وكأنها قد آلت إلى الزوال.

ونبدأ القصة من النهاية من الانتخابات الرئاسية التاسعة وهى تأخذ فى اعتبارها حزب التضامن فى جانب وجبهة الثانى من خرداد فى الجانب الثانى والقصة فى جبهة الثانى من خرداد واضحة فقد كانت جبهة للتحالف لكن لها ثلاثة رؤوس كروبى ومعين وهاشمى وكان إصلاحيو الثانى من خرداد يدورون فى فلك واحد من الثلاثة وهكذا لم يحدث إطلاقاً إجماع فى هذه الجبهة ولم يقم اجماع واحد تحت سقف الائتلاف أما على الجانب الآخر فقد كان حديث حزب التضامن أكثر جاذبية فقد كان إبراهيم أصغر زاده أمين عام الحزب مرشحا فى الانتخابات وعلى الرغم من رفض صلاحيته إلا أن خطوط المأساة ارتسمت منذ ذلك الوقت فقد قام أعضاء حزب التضامن بحوارات منفردة وشخصية مع مرشحى رئاسة الجمهورية حيث عقدت جلسة فى الحزب لهذا الغرض ولم يكن موقف المكتب السياسى مهماً ولا موقف الأمين العام وكأن كل عضو هو فى نفسه مكتب سياسي وأمين عام، وكان عدد من أعضاء الحزب يديرون حواراتهم مع مهدى كروبى وعدد آخر مع هاشمى رفسنجانى أما الباقون فكانوا مع مصطفى معين وهناك مجموعة فى هذا الحزب قد توصلت إلى عقد ائتلاف مع مرشحين أو ثلاثة وكانوا قد قسموا دعمهم على عدد من المرشحين لنيل منصب واحد سمته الأساسية أنه فردى وهو منصب رئاسة الجمهورية وبهذا الشكل فإن حزب التضامن على الرغم من غيابه عن الانتخابات السابقة إلا أنه كان له حضور واسع النطاق فقد كان للحزب وأعضاؤه أثر فى كل مركز انتخابى.

٥- منظمة مجاهدى الثورة الإسلامية الإيرانية: مشروع اللجنة الاقتصادية

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

تنتهى اللجنة الاقتصادية فى منظمة مجاهدى الثورة الإسلامية الإيرانية وهى على أعتاب العام الثالث من بداية عملها من المراحل النهائية لوضع وثيقة ويرأس هذه اللجنة بهزاد نبوى وسبعة من أعضاء المنظمة لهم تاريخهم الإدارى فى المجالات الاقتصادية بالإضافة إلى أربعة من علماء المنظمة لهم تاريخهم الإدارى فى المجالات الاقتصادية بالإضافة إلى أربعة من علماء الاقتصاد فى إيران وقد وصلت إلى وثيقة فى هذه الدورة إلى مرحلة التصديق بعد عام انتهى بالمؤتمر العاشر الذى يزيد على ٤٠ جلسة مدة كل جلسة ساعتين وبناء على ذلك العمل وصلت عملية تدوين المواقف مع ضم البنود الجديدة وتغيير البنية وتحديث الإحصائيات وتحليلات الوثيقة والاقتصاد السياسى الإيرانى المعاصر والمواقف الاقتصادية إلى مرحلة تصديق المجلس السياسى وعلى هذا الأساس شملت المقدمة المفاهيم الأساسية مثل تعريف الاقتصاد وعلم الاقتصاد والنظام والمدرسة الاقتصادية وشرح ضرورة تدوين مواقف اقتصادية للمنظمة بشكل نهائى. وفى الفصل الأول وضمن تقديم تعريفات للمفاهيم الأساسية قدمت المنظمة وجهة نظرها حول أهمية ودور الاقتصاد فى عالم اليوم وأوضحت أهمية ودور الاقتصاد بالنسبة للثورة وعلاقتها بسائر قضايا الثورة وفى الفصل الثانى وصل الأسلوب المقترح للدراسة بنظرة تأخذ فى اعتبارها أضرار الاقتصاد السياسى وأسباب اختياره إلى مرحلة تصديق اللجنة وكان هناك اهتمام بالمبادئ الأربعة الحاكمة للمواقف الاقتصادية للمنظمة تشمل الملكية والعمل والسعى أساس الانتفاع والتوزيع العادل للإمكانيات الاقتصادية والتوفيق بين الأخلاق والاقتصاد كل ذلك كان موضع الاهتمام فى الفصل الثالث. وفى الفصل الرابع ومن وثيقة المواقف الاقتصادية للمنظمة كان هناك تحديد لثلاثة أهداف أساسية هى الاستقلال والعدالة والتنمية وشمل الفصل الخامس مباحث إحصاء المؤشرات الكمية لتحقيق أهداف المنظمة الثلاثة ونماذجها؟

٦- مجمع روحانيون مبارز: تحديد الصلاحية وفقا للقانون

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

قال آية الله محمد موسوى بجنوردى عضو مجمع روحانيون مبارز: إن مشاركة أفراد من مختلف الأطياف فى مجلس الخبراء سيعود بالنفع على البلاد ويوضح إنها مؤيدة للنظام وأضاف إن مشاركة كل الأطياف سيخلق انتخابات أكثر حرارة وإقبال جماهيرى واسعاً وكلما كانت مشاركة الشعب أكبر كلما قويت قوة النظام فى الداخل والخارج وأكد أنه بناء على توصية كبار الشخصيات فى النظام والتى تؤكد مشاركة كل الأفراد والذين تتوافر فيهم الشروط فى الانتخابات يجب على مجلس صيانة الدستور أن يعمل بالشكل الذى يحث الجميع على المشاركة وفى إشارة إلى الشروط المحددة للعضوية فى مجلس الخبراء طبقاً لما ورد فى الدستور أعرب بجنوردى عن أمله فى ألا يعول مجلس صيانة الدستور على قضايا أخرى غير التى جاءت فى القانون ولا يرفض بالفعل شخصاً تتوافر فيه الشروط المنصوص عليها وكذلك أيضا قال عضو مجمع روحانيون مبارز مشيرا إلى المنشور المهين الذى نشر أخيراً ضد محمد خاتمى: أننى أتعجب منه لأن السيد خاتمى فى زيارته لأمريكا كان يؤكد مواقف النظام والتى تخلى عنها بسهولة الأشخاص المعادون للنظام القائم وبناء على هذا ليس من الصحة فى شئ أن نشوه ونضعف أشخاصاً يعملون من أجل النظام وآمل ألا تتكرر مثل هذه الأعمال.

٧- مجمع محققى ومدرسى الحوزة: العقبة السياسية أعمال التشويه

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

صرح محمد تقى فاضل ميبدى عضو المجلس المركزى لمجمع محققى ومدرسى الحوزة العلمية بقم قائلا: " إن الكلمات التى تصدر من جانب بعض المحافل بشكل متسلسل عن خاتمى وهاشمى وأعمال التشويه التى تتم بحقهما هى عقبة أساسية خلقت اليوم قدرة على الدوران وقال: إن المجموعة التى تسعى اليوم وراء مصالح تشعر بالخطر من أمثال خاتمى وهاشمى والمكانة التى يحظى بها تيارهما فى المجتمع ولهذا أقدموا على تشويههما وقد شاهدنا نماذج هذا التشويه فى الانتخابات الرئاسية التاسعة. وأضاف: " إن خاتمى هو مثار فخرنا فى أنحاء العالم وتعتبر قيمة بالنسبة للإسلام فى العالم ولم يشوه بتهم عدد من الأقزام قصيرى النظر"، وذكر ميبدى: "هذا التيار الفكرى يرى أن خاتمى يتمتع بشخصية محبوبة بين الشعب واليوم يلتف حوله كل المثقفين وأفراد النخبة وهذا هو سبب ضغينة هذا التيار لدرجة أنه لم يتورع عن كافة أشكال التشويه له".

٨- حزب الاعتدال والتنمية: إيرانى، مسلم، تنموى

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

صرح غلام على دهقان أن الحزب سوف يعقد مؤتمره العام الثالث قريباً وحول هوية وتعريف الحزب صرح دهقان قائلا: "بداية نحن إيرانيون ولا ننسى التاريخ الحضارى لإيران الذى هو مثار فخر للإيرانيين فى أنحاء العالم واستقلال إيران السياسى يصل إلى ألف عام وهو أمر عظيم القيمة لا يجب أن يغيب على الوجدان، وفى هذه الفترة لم يصتبغ الإيرانيون بالصبغة اليونانية بل إن اليونانيين هم الذين تآرينوا وكذلك أيضاً كانت مقاومة الإيرانيين لهجمة الإمبراطورية الرومانية يعد دليلاً آخر على عزمهم لحماية الهوية الإيرانية. ثانياً، نحن مسلمون نفخر بالدين والفكر الإسلامى ونعتبر اعتناق الإيرانيين للإسلام روحاً جديدة فى جسد الحضارة الإيرانية ومن المؤكد أن الإسلام كان موضع قبول من جانب الإيرانيين وقد بذل الإيرانيون مع طرد النزعة العربية روح من أجل الإسلام المحمدى وواصل مشاركته فى الحضارة الإسلامية وأقبل على التشيع العلوى. ثالثاً: نحن نؤمن بآمال الثورة الإسلامية الكبار ونؤمن باستقلال وحرية الجمهورية الإسلامية و الثورة الإسلامية هى التى أعادت الاستقلال السياسى للبلاد بعد مائتى عام من نفوذ وهيمنة الأجانب وفى ظل الظروف الحساسة والخطيرة الحالية وفى بداية الألفية الثالثة وفى عصر المنافسات السياسية والاقتصادية والثقافية نعتبر أن أولوية الحزب هى حماية الهوية الإيرانية الإسلامية والحفاظ على الجمهورية الإسلامية والترسيخ لمقولة التنمية المقصود بالتنمية التنمية الشاملة على كافة الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والتنمية التى تؤدى إلى إتاحة الفرص للمواطن الإيرانى فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وهى مقولة ليست كمية فقط بل هى كيفية أكثر منها ويكون من نتيجتها إتاحة الفرصة بقدر أكبر. وفى العام الأخير ساد هناك نوعان من الخطاب. خطاب الحرية وخطاب العدالة وأننا نعتقد أنه يمكن تحقيقهما عن طريق خطاب التنمية فقط التنمية الشاملة التى تهتم بدورها الاقتصادى والإنتاج الوطنى وتأخذ فى اعتبارها أيضاً الحريات السياسية.

٩- جمعية روحانيت مبارز: توجيه دعوة مهدوى كنى لهاشمى

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

صرح رضا أكرمى عضو جمعية روحانيت مبارز قائلا: " وجه مهدوى كنى الأمين العام لجمعية روحانيت مبارز أثناء وجوده فى مكتب رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام الدعوة بشكل رسمى لهاشمى رفسنجانى للمشاركة فى مجلس خبراء الزعامة"، وأضاف سيد أكرمى مشيراً إلى لقاء لفيف من أعضاء جمعية روحانيت مبارز مع هاشمى رفسنجانى: "فى هذه الجلسة قال مهدوى كنى الأمين العام لجمعية روحانيت مبارز أننى جئت اليوم لأوجه لسيادتكم الدعوة بشكل رسمى للمشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء وأحصل على موافقتكم على وضع اسمكم على قائمة جمعية روحانيت مبارز"، ورد هاشمى رفسنجانى قائلاً: "إننى أكن لكم كل احترام وتقدير وسأعلن قرارى النهائى بأسرع ما يمكن". وأضاف: "وفى هذه الجملة تم الاستفسار بخصوص لقاء رفسنجانى ومصباح يزدى فى مجلس الخبراء فرد قائلاً يوجد فى مجلس الخبراء حوالى ثمانين عضواً وهم يتصافحون ويسألون عن أحوال بعضهم البعض وعندما دخلت القاعة سلمت على أشخاص عديدين وسألت عن أحوالهم كان من بينهم آية الله مصباح وهذا أمر تقليدى".

١٠- حزب المؤتلفة الإسلامى: المؤتلفة وحركة الحرية

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

صرح أسد الله بادامجيان وكيل الأمين العام لحزب المؤتلفة الإسلامى عن علاقة تنظيمه بأعضاء حركة الحرية قائلا: "جاء هذا الحزب فى عهد الإمام ودخل فى ائتلاف مع حزب المؤتلفة ونحن أيضاً كنا قد تشاورنا مع الإمام فقال ليس من الضرورى أن نقوم بهذا الأمر فلم نشترك بعد ذلك فى جلسات حركة الحرية. وقال مشيراً إلى لقائه قادة المشاركة أنهم كانوا قد جاءوا ليتحدثو عن مخاوفهم بخصوص وضع المحادثات النووية والمقاطعة الاقتصادية والحرب المحتملة وكان ردنا عليهم أن النظام قد فكر فى كل هذه الخيارات وفكر فى حلولها أيضاً".

١١- أنصار حزب الله: يجب أن يراقب المسئولون

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

قال الدكتور تلورى الذى كان يتحدث فى الجلسة الأسبوعية لأنصار حزب الله مشيراً إلى واجبات الشيعة إزاء إمام العصر بخصوص ضرورة تكوين الحكم الإسلامى: كان الإمام الخمينى المرجع الذى على عكس كل مراجع عصره وضع على جدول أعماله تكوين الحكم الإسلامى لكن للأسف مازال هناك بعض المراجع لا يرون ضرورة لتكوين الحكم وكذلك أيضاً أعرب الدكتور تلورى وهو مدرس بالجامعة عن رأيه منتقداً الوضع الراهن للمجتمع إن أوضاع المجتمع تعمل بشكل ما على تهيئة مجال المعصية ويتكسب كثير من الشباب بشكل غير واع الذنوب ومن المؤكد أنهم ليسوا المقصر الأساسى فى هذا الأمر.

وأضاف تلورى: إن النظام يجب أن يخطط بالشكل الذى لا يدع مجالاً للمعصية وحينئذ لو ارتكب شخص ما ذنباً نعاقبه به وكذلك أيضاً أشار إلى عدم وجود روح تقبل النقد فى كثير من المسئولين وقال عندما لا نستطيع أن نتقبل النقد فى الدولة التى كل شعبها من الشيعة فكيف نريد أن نعيش فى جوار شعوب الدول

الأخرى التى لها أديان مختلفة. وقال تلورى مواصلاً خطابه للمسئولين عن نظام التعليم فى البلاد إننى بالنظر إلى الوضع الثقافى والاجتماعى فى البلاد لا أعرف ماذا يفعل مستشارو المدرسة والمعلمون الدينيون والنظام التعليمى وصرح بعض الأشخاص الذين شاركوا فى الحرب أو كانوا أثناء الثورة مستعدين للتعذيب أو عذبوا خسروا أنفسهم بعد الثورة وللأسف تبنوا طريقاً آخر. وأضاف هذا المدرس بالجامعة على الرغم من مرور سبعة وعشرين عاماً على الثورة ووجود العديد من الفرص لإقامة دولة ما زال هناك كثير من الأعمال لم تتم ولم يعمل كثير من المسئولين مثل شهدائنا وكذلك أيضاً قال مشيراً إلى وضع الحوزات العلمية الكثير أبدى المقاومة إزاء التغيرات التى تحدث فى الحوزة من المؤكد أنه لحسن الحظ حدثت تغيرات لكن كم كانت هذه التغيرات مؤلمة ومرهقة.

١٢- جمعية أوفياء الثورة الإسلامية: الجلسة الفصلية

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

عقدت الجلسة الفصلية لجمعية أوفياء الثورة الإسلامية بمحورية موضوع انتخابات مجلس الخبراء والمحليات فى ٢٠٠٦/٩/٢١ وقال لطيف الله فروزنده وكيل جمعية أوفياء الثورة الإسلامية مشيراً إلى استراتيجية الجمعية "فى هذه الانتخابات إننا عقدنا عدة لقاءات مع حزب المؤتلفة الإسلامى وأنصار التعمير الشبان وبعض أعضاء الهيئات الانتخابية للسيد أحمدى نجاد وستتواصل هذه اللقاءات وقال: فى هذا اللقاء لن نتحدث مع التنظيمات والأحزاب الأصولية عن المسلمات وركزنا فقط على ضرورة الانسجام والوحدة بين الأصوليين واتجاهات الوصول إلى هذه الوحدة وقال فروزنده عن اختيار حسين فدائى الأمين العام لجمعية الأوفياء كممثل مراقب عن المجلس فى الانتخابات المحلية بأن ذلك يعد مؤشراً على ثقة نواب المجلس الكبيرة فيه وأنه بالنظر إلى تجاربه من الممكن أن تكون له خطوات جيدة فى مجال الإشراف على الانتخابات المحلية.

١٣- انتقاد مرعشى لأصحاب النفوذ

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

أكد حسين مرعشى المتحدث باسم حزب كوادر البناء أن بعض أصحاب النفوذ فى النظام يسعون لأن يجعلوا العملية الانتخابية مقيدة وبالتالى يقيدون حرية الأمة وهو يعتقد أنه لا يتضح فى النظام بشكل عام أن هناك قطاعا كبيرا يسعى لأن يحول وبشكل رسمى الجمهورية الإسلامية إلى حكومة إسلامية ويواصل كلامه قائلا: "لكن ما هو جاد وخطير هو أن بعض أصحاب النفوذ فى النظام يسعون لتقييد حرية الشعب وفرض القيود على الانتخابات".

١٤- بادامجيان: تلاميذ مصباح ليسوا سواء

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

صرح أسد الله بادامجيان نائب رئيس حزب المؤتلفة الإسلامى أن جماهير الشعب لن تتعامل فى الانتخابات مع مجموعة واحدة من تلاميذ آية الله مصباح يزدى أو قطاع واحد من أنصار هاشمى رفسنجانى، إلا أننى أرى هذه الموضوعات من لوازم مناخ سياسى منفتح بشرط أن تتم مراعاة الآداب والأخلاق الإيرانية والإسلامية. وبخصوص وجود بعض تلاميذ آية الله مصباح يزدى فى انتخابات مجلس الخبراء قال: "بعض تلاميذ آية الله يزدى يتبنون وجهات نظر متشددة لكن البعض الآخر ممن تربوا على يد هذا الأستاذ الكبير يتبنون فكراً آخر ولا يجب اعتبار كل تلاميذه سواء، لكن وكما قلت فإن عامة الشعب يتبعون الاستراتيجية العامة للنظام التى تجعلها معظم الجماعات فى البلاد أساساً لها.

١٥- مصباح يزدى: قائمة تلاميذ مصباح مجرد وهم

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/١١

قال آية الله مصباح يزدى: حتى الآن لم اتخذ قرارا بالترشيح لمجلس الخبراء وفى الدورات السابقة كنت أقبل تكليف الكبار لى بهذا الأمر ولو أنهم كلفونى هذه المرة ربما أقبل وحول بعض التصريحات القائمة على مشاركته هو وتلاميذه فى المؤسسة فى انتخابات مجلس الخبراء أكد يزدى "أنا نفسى فقط ليس معى شخص آخر ولا أتحمل مسئولية أحد وكل شخص يتخذ قراره بنفسه" وحول احتمالية إعداد قائمة فى الانتخابات مع شيعته قال إنها مجرد أوهام.



مناورة ضربة ذو الفقار.. إيران تصنع طائرة مقاتلة

شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٩/٧



مع مرور ما يقرب من عشرين يوماً على بداية مناورة ضربة ذو الفقار التى ينفذها الجيش الإيرانى على مستوى الأراضى الإيرانية بأكملها، انضمت الطائرة المقاتلة (الصاعقة) رسمياً إلى أسطول الطائرات المقاتلة الاعتراضية بالقوات الجوية للجيش الإيرانى، وقد أعلن المشير مصطفى محمد نجار وزير الدفاع الإيرانى عن إنتاج قنبلة موجهة زنة ألفين رطل باسم (قاصد) وذلك بالتعاون بين كوادر وزارة الدفاع وعناصر القوات الجوية بالجيش، وسوف تختبر هذه القنبلة أثناء البيان الجوى بمناورة ضربة ذو الفقار، ومع تأكيد وزير الدفاع لهذا الخبر، تنضم إيران إلى عدد محدود من الدول التى تمتلك تكنولوجيا الأسلحة الذكية الموجهة.

المقاتلة الصاعقة تماثل أف ١٨

وقد نجحت المقاتلة الصاعقة التى اختبرت عشرات المرات على مدار العام الماضى فى التحليق فى منطقة شمال غرب إيران فى تحليق تكتيكى باستخدام سائر أنواع المهمات الحربية وأثبتت قدرتها على حمل وقصف مختلف أنواع القنابل والصواريخ باستخدام رادار متقدم، على نحو جعل العقيد طيار جواد محمد بان المتحدث الرسمى باسم المناورة يؤكد نجاح هذه المرحلة من المناورة وأعلن الفريق أول عطاء الله صالحى القائد العام للجيش أن هذا النجاح نتيجة الإيمان بالله والاعتماد على القدرات المحلية.

وصرح القائد العام للجيش بأن المقاتلة الصاعقة تماثل الطائرة إف ١٨ ولكنها أكثر قوة وأنها قد وصلت إلى مرحلة القصف وإطلاق النيران بعد نجاح تجارب التحليق، وأضاف أن تكنولوجيا إنتاج مثل هذه الطائرات تملكها الولايات المتحدة وروسيا والصين والهند بشكل مشترك وكذلك بعض الدول الأوروبية. أما الصاعقة فهى إنتاج إيرانى محلى بالكامل ولها قدرات أعلى من إف ١٨ .

وعلى هذا الأساس أكد القائد العام للجيش أنه لم تتعاون أى دولة مع إيران فى إنتاج هذه المقاتلة، وأن الجيش الإيرانى ملتزم بأداء جميع العمليات التخصصية بالاعتماد على الخبرات والإمكانات الموجودة وتحدث صالحى عن تقبل طيارى القوات الجوية لمخاطرة التحليق بالطائرة فى مراحل اختبارها وقال: إن مهندسى كلية الشهيدستارى بالقوات الجوية قد تولوا وضع التصميمات الأولية وتعديلات الهيكل وبناء هذه المقاتلة وتدعيمها.

وقد وجه القائد العام للجيش رسالة للدول المجاورة لإيران قائلاً: إننا نشعر بمنتهى المحبة والود حيال الدول

المجـاورة، ولم تكن على الإطلاق تمثل تهـديداً للدول الصديقة المجاورة لنا وإذا تحدثنا عن تهديد، فما نعنيه هو التهديد من خارج المنطقة والذى اقترب منا بالفعل، ونحن متأكدون من أنه إذا كان لدينا حالة دفاع شاملة فتتعاون الدول المجاورة معنا.

شروط عقد مناورات جديدة

صرح الفريق السيد حسن فيروز رئيس أركان القوات المسلحة الإيرانية فى معرض تحدثه عن مناورة ضربة ذو الفقار كأحد الابتكارات التكتيكية فى استخدام الأسلحة الجديدة والتقنيات الحديثة قائلاً: بإجراء مثل هذه المناورات الشاملة تزداد القدرات القتالية لقواتنا، وتهيئ أرضية الاستعداد للرد على أى تهديد يوجه لنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وبينما تجرى مناورة ضربة ذو الفقار فى الوقت الحالى نذكر بأنه فى شهر إبريل الماضى أجرت قوات الحرس النووى مناورة النبى الأعظم، وفى هذه المناورة قام الجيش بدور قوات الدعم والإمداد حتى يعرض الحرس الثورى خططه التكتيكية وما يحوزه من تقنيات عسكرية.

وقال الفريق فيروزأبادى أن الهدف من إجراء هاتين المناورتين الكبيرتين إظهار مدى قدرات القوات المسلحة الإيرانية حتى يهنأ الشعب الإيرانى ويعلم الأعداء أن ساحة المعركة فى الدفاع عن الحدود الإيرانية والثورة الإسلامية ستكون محرقة لأى عدو متجرئ، كما شبه القوات المسلحة فى المناورات بالتلميذ عندما يذهب للفصل ويمنحه الأستاذ تقييماً لمدى استعداده وقال: على الدوام سنمارس تقييم معدل استعداداتنا، كما أعلن الفريق فيروزأبادى عن احتمالية إجراء مناورة كبرى أخرى، لكن وضع لذلك شرطاً هو ضرورة أن تكون متعددة المراحل ويختبر فيها أسلحة جديدة وتكتيكات مبتكرة وقال: إن القوات المسلحة الإيرانية فى وضع مناورة دائمة وتجرى المناورات فى المراحل الأولية على مستوى الكتائب تحت أمرة قوادها الميدانيين وبعد ذلك يرتقى مستوى المناورة إلى مستوى الألوية ثم الفرق ثم الجيوش وإجراء مناورة كبرى يستلزم المرور بتلك المراحل التى قيلت.

اختبار الصاروخ هاج

بينما تجرى المرحلة الخامسة من مناورة ضربة ذو الفقار، اختتمت المرحلة الرابعة باتخاذ تكتيكات خاصة من قبل القوات البرية وبدعم خاص من مقاتلات القوات الجوية، فى هذه المرحلة نفذت عمليات مواجهة وصد لاختراق العدو لفرق العمليات الخاصة باستخدام تكتيكات الحرب غير النظامية بنصب الكمائن، وفى تلك المرحلة التى أجريت بحضور القائد العام للجيش استخدمت صواريخ هاج المطورة فى مصانع قوات الدفاع الجوى التابعة للقوات الجوية بالجيش للتعامل مع الطائرات المضادة للرادارات.

وقام متخصصو قوات الدفاع الجوى بتحميل الصواريخ هاج على طائرات إف- ١٤، بما يجعل هذه الطائرات قادرة على زيادة مسافة الاشتباك وردع الطائرات المهاجمة بشكل مؤثر، وتدخل هذه المنتجات ساحة الخدمة فى الوقت الذى أعلن فيه قائد القوات الجوية بالجيش عن تصنيع القنابل الذكية التى تعمل بالليزر تحت اسم (رعد) وهى ذات قدرات عالية فى دقة التصويب وسعة حيز التفجير وبعيدة المدى، كما تم فى المراحل السابقة للمناورة استعراض الطائرة (إف- ٥٠) المطورة ذات المعدات الرادارية المتطورة وقدرات المناورة العالية والتى تم تزويدها بأسلحة جديدة.

أجريت أولى مراحل البيان الجوى بمناورة ضربة ذو الفقار صباح يوم السبت بقصف القوات الجوية للأهداف المحددة باستخدام المقاتلات القاذفة. وقد نفذت هذه المرحلة بعد إجراء مراحل القوات البرية والبحرية.

تميزت مناورة ذو الفقار باتساع منطقة العمليات وضخامة حجم القوات المشاركة واستخدام الأسلحة الجديدة وتكونت مناورة ضربة ذو الفقار البحرية من خمس مراحل هى إطلاق صواريخ سطح بحر، إطلاق صواريخ سطح- سطح وجو- سطح تدريبات الغواصات الجديدة المنضمة للبحرية، بيان خاص لقوات الانتشار السريع ومشاة البحرية، ومرحلة القيادة والتحكم.

وفى هذه المناورة تم إطلاق الصاروخ الذكى (ثاقب) وهو بعيد المدى ويتميز بدقة التصويب ومداه البعيد وسرعته الفائقة، ويمكن إطلاقه من على جميع الوحدات البحرية، وتم تصميم وتصنيع هذا الصاروخ بالتعاون بين القوات البحرية بالجيش والجامعات الصناعية الإيرانية باستخدام الموارد المحلية.

ويدور سيناريو المناورة حول عمليات هجوم جوى بعد اكتشاف طائرات بدون طيار قادمة من منطقة تمركز العدو ثم قصف قواعد القوات الجوية، مع النقل السريع للمعدات والقوات فى إطار عمليات الرد السريع.

فى تلك المرحلة تم إطلاق الصاروخ الصاعقة أرض أرض الذى تم تطويره على يد عناصر مركز الصناعات الدفاعية.

واختتمت أعمال مناورة ضربة ذو الفقار بإعلان الفريق فيروزأبادى نجاح المناورة بقوله أن استعداد القوات المسلحة مثل جريان الماء فى النهر بمعنى أنه مثلما أن جريان الماء أمر حتمى فمن الحتمى أيضاً أن يكون المقاتلون على استعداد دائم.

فصل طهران ودمشق: مشروع إقليمي جديد

■ كزارش (التقرير)، العدد ١٧٦، سبتمبر ٢٠٠٦

الهجوم الواسع والشامل الذى قامت به إسرائيل خلال الأسابيع الماضية على قطاع غزة فى فلسطين وفى الجنوب اللبنانى، والمقاومة الباسلة لحزب الله، كلها تطورات أبرزت أبعاداً جديدة فى لعبة الشطرنج فى الشرق الأوسط، وأظهرت أحداثاً وواضعاً جديداً فى المنطقة وقد أكدت هذه الحرب حقائق عديدة كان أهمها أن إسرائيل القوة التى لا تقهر مقولة خاطئة، فقد عجزت (تل أبيب) بكل أسلحتها وترسانتها العسكرية أن تصد صواريخ الكاتيوشا لحزب الله. وفشلت أمام ميلشيا مسلحة وليس جيشاً كاملاً.

كما أكدت الحرب فشل المنظمات الدولية وثبت للجميع مدى عجز واستسلام هذه المنظمات للقوى العظمى.

أيضاً كان أهم نتائج هذه الحرب، فشل النظرية الأمنية والاستراتيجية لإسرائيل، ولم يكن أمام هذا النظام حل سوى إنهاء الحرب والانسحاب وتدوين سياساته على أسس الواقع الأمنى والاستراتيجى الجديد الذى اتضح بعد هذه الحرب.

ولا شك أن هذه الحرب قد أكدت أيضاً أن أحداً لا يمكنه نزع سلاح حزب الله مادام هناك احتلال.

السلام فى الشرق الأوسط

يرى بعض الخبراء أن الحرب الأخيرة فى الجنوب اللبنانى كانت بهدف تدمير القدرة العسكرية لحزب الله. ولكن المحللين فى إسرائيل وفى الولايات المتحدة يرون أن لهذا الإجراء هدفاً آخر وهو تنفيذ مرحلة أخرى من مشروع الشرق الأوسط الكبير الذى تريده الولايات المتحدة.

وتأكيد المسئولين الأمريكيين ضرورة استمرار الحرب حتى نزع سلاح حزب الله يمكن أن يكون مقدمة من أجل إكمال مشروع الشرق الأوسط الكبير، وهو المشروع الذى طبقاً له يتم إضعاف الجماعات الإسلامية فى لبنان وفلسطين والضغط على كل من سوريا وإيران وإيجاد نظم جديدة مهيمنة على المنطقة.

وكان الهجوم على العراق والإطاحة بنظام البعث العراقى وتطهير أفغانستان من جماعة طالبان تغييراً من المراحل الابتدائية للخريطة الجديدة للشرق الأوسط.

وقد بدأت المرحلة الثانية بحرب لبنان والسعى للقضاء على حزب الله فى لبنان وحماس فى فلسطين. أو الضغط عليهما من أجل الانضمام لمسيرة السلام، ولكن نجد فى الوقت ذاته أن سوريا وإيران كلتيهما تدعمان مواقف هذه الجماعات فى حقها للمقاومة، ومن هنا نجد أن المسئولين فى الولايات المتحدة وإسرائيل يتبعون الآن استراتيجية (فصل طهران ودمشق) حتى يمكنهم تحقيق أهدافهم والمرحلة الثانية من مشروع الشرق الأوسط الكبير.

أسباب الهجوم على لبنان

كما أشير فإن مشروع الشرق الأوسط الكبير يعتبر من أهم المفاتيح الاستراتيجية للولايات المتحدة لإقرار مسيرة السلام فى المنطقة حسب وجهة النظر الأمريكية.

ولاشك ان الهجوم الأخير لإسرائيل على لبنان يجب أن يقيم فى نفس الإطار، ويرى رجال الحكومة الأمريكية أنه من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط يجب إزالة كل العوائق الموجودة. وبناء عليه فى ملف التحكم فى هذه المنطقة فيجب وضع سوريا وإيران وحزب الله تحت الضغط أو إزالتهم من ساحة اللعب فى المنطقة.

وفى الخريطة الجديدة للشرق الأوسط التى تسعى الولايات المتحدة لتنفيذها فإن حزب الله وسوريا بمثابة عوائق ستواجه تنفيذ مشروعها الكبير.

ويمكن القول أن الاغتيال المشبوه لرفيق الحريرى ومحاولة إلصاق التهمة بسوريا من أجل الضغط عليها لإخراجها من لبنان تمثل الخطوة الأولى لتنفيذ هذه الخريطة. وبعدها كان إدخال (خدام) فى دائرة المعارضين للحكومة فى دمشق، بهدف مضاعفة الضغط على سوريا حتى تنفصل هذه الدولة نوعا ما عن حزب الله وإيران. وقد نجحت الولايات المتحدة تماماً فى تنفيذ هذه الخطوة والآن الخطوة الثانية، وهى وضع حزب الله تحت الضغط أو نزع سلاحه، ولكن فى هذه الحالة فإن أمريكا ستواجه عقبات كثيرة.

ولذا فإن الهجوم الإسرائيلى المفاجئ على الجنوب اللبنانى كان محاولة للقضاء على هذا الحزب أو تقليل شعبيته ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فقد انتصرت المقاومة وزادت شعبية حزب الله بين الشعب اللبنانى وصار رمزاً للمقاومة فى المنطقة كلها.

مستقبل خطير للشيعة فى العراق

■ رسول جعفريان ■ بازتاب (الصدى) ٢٠٠٦/١٠/١٥

لقرون طويلة كان العراق منطقة نزاع كبير بين القوتين الأكبر فى العالم الإسلامى وهما الإمبراطورية العثمانية وهى القوة العالمية الأولى والدولة الصفوية وهى القوة الإقليمية الأولى فى وقتها. وعلى الرغم من تمتع الإمبراطورية العثمانية بشبكة علاقات دولية واسعة إلا أنها لم تكن قادرة على إلغاء الدولة الصفوية من الخريطة الجغرافية للعالم الإسلامى.

لقد تعلق الصفويون ببغداد والعتبات المقدسة الموجودة فى العراق لسببين هما: التشيع الميراث التقليدى (التاريخى) الذى كان يربط العراق بقلب إيران طوال القرون من السابع وحتى العاشر الميلادى (أى فى زمن الخلافة العباسية). فى العصر الصفوى نجح الصفويون فى السيطرة على بغداد مرتين الأولى فى الفترة من ١٥٠٨ إلى ١٥٣٣ والثانية فى الفترة من ١٦٢٢ وحتى ١٦٣٨ وذلك أثناء عملية الصراع التاريخى المستمر والذى كان قائماً بين القوة العظمى آنذاك أى الإمبراطورية العثمانية وبين القوة الإقليمية الأولى فى المنطقة أى الدولة الصفوية. لكن هذا الصراع انتهى لصالح الإمبراطورية العثمانية التى تمكنت من تحقيق السيطرة المطلقة على بغداد والعراق.

وكان العراقيون فى ذلك الوقت ومعهم المذهب الشيعى يميلون باتجاه إيران حيث عرفت بوصفها قبلة "التشيع" مقابل قبلة التسنن المتمثلة فى الدولة العثمانية. كان الشيعة جواسيس لإيران هكذا كانت تعتبرهم الدولة العثمانية ولهذا كانت تبذل قصارى جهدها للجمهم وقمعهم. من هنا ولهذا السبب وضعت أسس التفرقة بين الفريقين فى تلك الفترة ذاتها.

بعد سقوط الدولة الصفوية وعندما تولى آل قاجار الحكم فى إيران (القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين)، لم يكن العثمانيون على نفس القدر من القوة التى كانت لهم من قبل ومن هنا عمدوا إلى الاستعواض عنها بالتخطيط لنشر الثقافة السنية - التركية. فى هذا الصدد، حدث فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى أن تحولت العتبات المقدسة فى العراق إلى مراكز علمية للشيعة بسبب ضغوط نادر شاه أفشار على علماء الشيعة(×)، وقد استمرت هذه الحالة قائمة أيضاً فى العصر القاجارى (أى حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين) من هنا نشأ سبب جديد لدى الإيرانيين يدفعهم للهجرة أو للانتقال إلى العراق فأصبحنا بصدد سببين أو دافعين هما: زيادة العتبات المقدسة، وانتقال مركز العلوم الدينية إلى النجف بشكل خاص والعراق بشكل عام من هنا زاد عدد الإيرانيين الذين صاروا يقيمون فى العراق فصاروا يشكلون جزءاً مهماً من سكان كاظمين، كربلاء والنجف.

طوال قرن كامل تقريباً - القرن التاسع عشر - اعتنقت العشائر والقبائل فى جنوب العراق - والتى كان كثيراً من أفرادها شيعة منذ قرون طويلة - اعتنقت جميعها المذهب الشيعى فتحول جنوب العراق إلى "مركز شيعى" وهذه كانت واحداً من أهم الإنجازات التى حققها الشيعة فى العراق.

فى هذا الوقت أى فى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن الرابع عشر الهجرى/ أوائل القرن العشرين الميلادى أصبح للمجتهدين والعلماء فى النجف والذين كانت غالبيتهم من إيران وبعضهم عرباً، أصبح لهم مكانة دولية وكانوا يشاركون فى التطورات السياسية الخاصة بالعالم الإسلامى فى ذلك الوقت سواء فى إيران أو العراق أو ليبيا فضلاً عن الكثير من المناطق الأخرى فى العالم الإسلامى، بل لقد دافعوا أيضاً عن نظرية "الوحدة الإسلامية العثمانية" على الرغم من أنهم لم يكن لهم أى نصيب فى إدارة شئون العراق.

بعد مجئ البريطانيين إلى العراق، شارك شيعة العراق بقيادة المراجع الدينية فى ثورة ١٩١٩-١٩٢٠ ضد الاحتلال الإنجليزى، هذا بينما كان السُنة على وفاق تام مع الإنجليز، وفى النهاية تم تشكيل "حكومة ملكية" فى العراق فى عام ١٩٢١ كان نصيب الشيعة فيها ضئيلاً للغاية. لم يكن لدى الإنجليز أى راحة أو اطمئنان وانشراح تجاه الشيعة ولهذا كانوا يبذلون أقصى جهودهم غير المباشرة لتقييد حرية الشيعة فى التحرك أو الحركة فأصبح الشيعة فى هذا العصر يعيشون فى وضع أكثر ظلماً عما كان عليه الأمر فى العصر العثمانى.

طوال العصر الملكى فى العراق كانت التفرقة المذهبية قائمة على أشدها حيث دعم مُطلق للسنة وتهميش مُطبق للشيعة بل وعزلهم عن المراكز الحساسة فى الدولة والتى كان الجيش من بينها بوصفهم مواطنين من الدرجة الثانية بل والثالثة أيضاً. فمنذ عام ١٩٢١ وحتى عصر صدام حسين لم يتول الشيعة رئاسة الوزارة فى العراق

سوى خمس مرات من جملة ٣١ وزارة تم تشكيلها طوال تلك الفترة على الرغم من أن إحصاءات السكان فى العراق والتى جرت فى أعوام ١٩١٩، ١٩٣٢و ١٩٤٧ كانت جميعها تؤكد على غلبة الشيعة من حيث حصتهم فى إجمالى عدد السكان فى العراق.

خمسة أشخاص فقط من الشيعة تولوا رئاسة الوزارة من جملة ٣١ رئيساً للوزراء. هذا الحال لا يختلف كثيراً إذا ما نظرنا إلى تركيبة الحكومات من جهة وإلى تشكيلة وتركيبة القيادات العليا للجيش من جهة أخرى حيث الوضع هو هو دون تغيير يُذكر.

لقد استمر هذا الوضع قائماً فى عصر عبد الكريم قاسم ثم اشتدت وطأته فى عصر البعثيين، فالبعثيون كانوا أسرى للعروبة بمفهوم أعمى وتعصب ظالم طائفى ولهذا كانوا يعادون كل من هو دونهم ولا يخفى على أى شخص تلك الجرائم التى ارتكبت - فى عصر البعثيين - فى حق الشيعة وفى حق مراجع النجف وكربلاء. فى ذلك العصر كان مصطلح "الشيعة" مرادفاً وسارياً لمصطلح "العجم"، وكل يوم كان يُعقد سينمار أو منتدى حول التشيع وضد إيران.

لقد أقام البعثيون - الذين كانوا يخافون من حدوث ثورة شيعية ثانية فى جنوب العراق أثناء انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية - أقاموا استراتيجيتهم الأساسية بهدف القضاء على الشيعة وكانوا يمارسون هذا العمل تحت "راية الدفاع عن العروبة" ولهذا السبب أيضاً بدأوا الحرب المفروضة على إيران تحت "راية القومية العربية".

لقد كان الرأى العام فى ذلك الوقت يقوم على أساس فكرة مفادها أن الشيعة ليسوا عرباً وهى الفكرة التى مازلت رائجة ومنتشرة الآن. من هنا لم يتبق فى النجف وكربلاء - اللتين تتمتعان بعظمة ومهابة لأمد طويل - لم يتبق فيهما أكثر من ٥٠٠ طالب بالإضافة إلى المراجع التى كانت مقيمة بها باعتبارهم أحفاداً لمراجع كبار رحلوا، ولم يكن لأى من الفئتين - الطلاب والمراجع - سوى القدر الضئيل من حرية التنقل والحركة.

هذه الضغوط الطويلة كانت سبباً لانتفاضة الشيعة فى عام ١٩٩١ بعد هجوم القوات الأمريكية على الجيش العراقى أثناء احتلال الكويت. فى بداية الانتفاضة نجح الشيعة فى تحرير الجنوب وطرد البعثيين خارج المدن. لكن بسبب انعدام الخبرة العسكرية لدى الشيعة وبسبب خيانة القوات الأمريكية التى تركت الشيعة وحدهم شنت القوات البعثية هجوماً ضارياً وأشاعت القتل العام فى كل الجنوب الشيعى. فى هذه المرة قتِلَ أيضاً عشرات الآلاف من الشيعة بالإضافة إلى عدد كبير من رجال الدين الذين كانوا مقيمين فى النجف ودُفن عدد ضخم جداً فى مقابر جماعية.

والآن فقد صار لدى الشيعة تجربة ثمانين سنة من الهزائم المتعاقبة وصارت لديهم فرصة للقضاء على بقايا وفلول النظام البعثى الذى لم يخرب العراق وحده بل كان سبباً للقضاء على جزء مهم من قدرات العالم الإسلامى.

لقد كان "سيد محمد بحر العلوم" - من أعضاء مجلس الحكم العراقى - كان يقول: لقد بلغ الأمر بنا لدرجة أننا كنا على استعداد لعدم الإعراض عن الشيطان لو كان سيساعدنا من أجل إسقاط صدام حسين". فى هذا نقول لو أن شخصاً ما رأى ظلم صدام والبعثيين أو حتى سمع بصدق عن هذا الظلم أو قرأ عنه فإنه سوف يدرك بكل تأكيد ما الذى يعنيه كلام بحر العلوم. طوال القرون الماضية كان الشيعة - ومازالوا - يمثلون التيار الثورى فى العالم الإسلامى. لكن ثمة قاعدة وضعها "ابن طاوس" كانت تشكل مبدأ مهماً للشيعة، هذه القاعدة تقول: إن "حكومة كافرة عادلة" أفضل من "حكومة مسلمة ظالمة". ولهذا فإنه بعد ثمانين سنة من الهزائم ما الذى كان يمكن للشيعة أن يفعلوه بخلاف أن يكونوا مجبرين على الخضوع للشروط والأوضاع القائمة الآن من أجل الحفاظ على حياتهم وحماية حقوقهم من الضياع؟

المصيبة الكبرى أن الدول العربية عادت مرة أخرى للاتحاد مع بعضها البعض لا لشئ إلا عدم السماح لشيعة العراق أن يحفظوا حصتهم الطبيعية بوصفهم الأكثرية فى العراق. وفى المقابل فإن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على الحيلولة دون استمرار ذلك الوضع فحسب ولكنها لم تعد قادرة أيضاً على فهم الوضع الصحيح فى العراق.

من هنا نقول إن هزيمة الحكومة العراقية الحالية ستكون هزيمة كبرى للشيعة سواء تم ذلك عن طريق تحول الولايات المتحدة نحو الدول العربية أو عن طريق تأييدها ظهور حكومة انقلابية على شاكلة البعثيين وأمثالهم أو سواء عجزت الولايات المتحدة عن عمل أى شئ فى العراق وأصبحت مجبرة على الخروج من العراق دون حل للمشكلات الإرهابية والاختلافات المذهبية.

من هنا فنحن نعتبر أنه ليس لزاماً علينا التمسك بشعارات جوفاء بلا أساس فى ظل الأوضاع الحالية وألا نترك العراق للأحداث تتلاعب به كيفما تشاء لسبب بسيط وهو أن قضية العراق تنعكس آثارها ونتائجها وتداعياتها على ديننا ومذهبنا وأمننا السياسى.

(×) بعد سقوط الدولة الصفوية تولى حكم إيران "كريم خان زند" فحكمها هو وأسرته طوال (٥٥)سنة تقريباً ثم نجح "نادر شاه أفشار" فى الإطاحة بحكم الدولة الذندية وتولى حكم إيران فى منتصف القرن الـ ١٢ الهجرى. ثم نجح القاجاريون فى نهاية القرن الـ ١٢

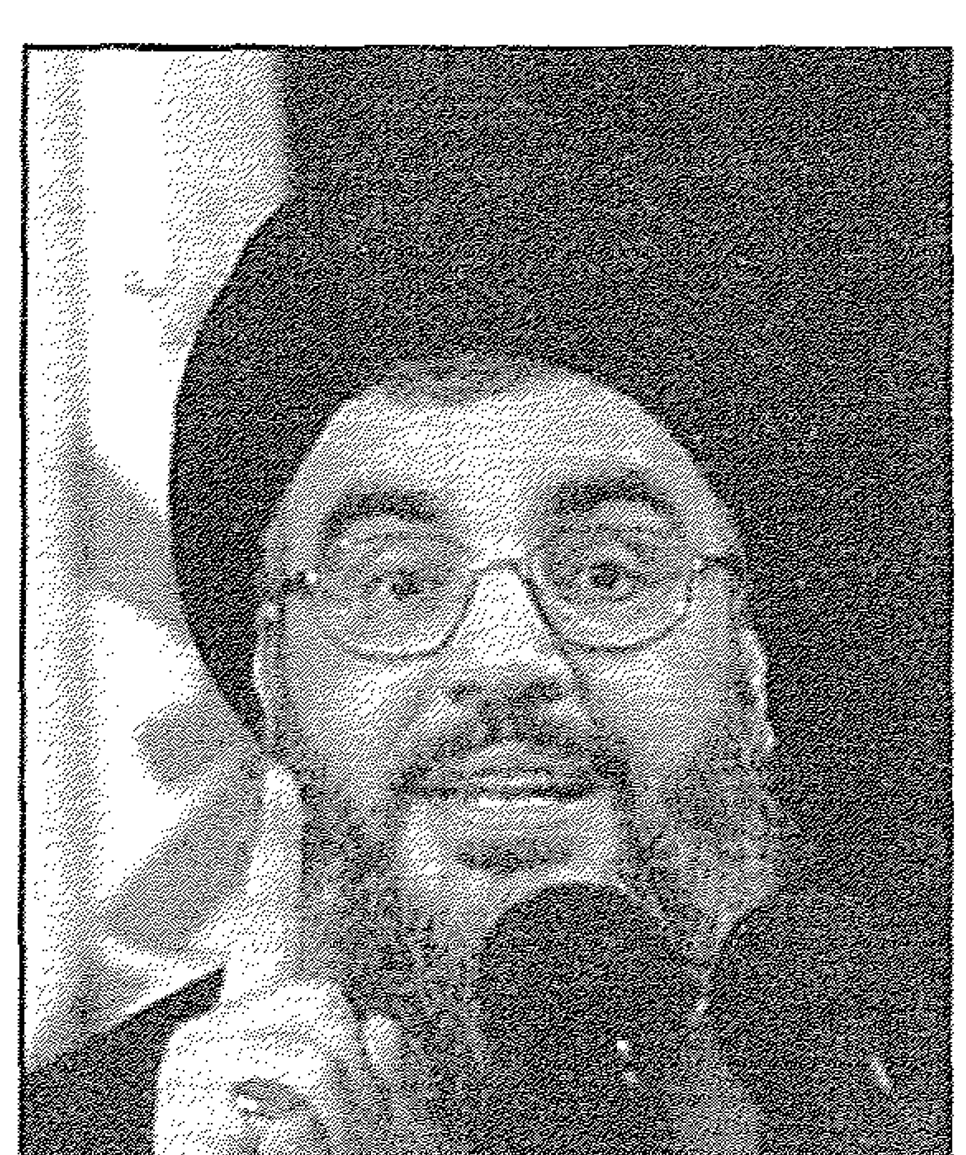
الهجرى فى الإطاحة بأسرة نادرشاه أفشار وحكموا إيران حتى الربع الأول من القرن العشرين عندما نجح "رضاشاه" فى القضاء على حكم الأسرة القاجارية لإيران وذلك حتى ١٩٧٩ وهو العام الذى نجح فيه الخمينى فى الإطاحة بالحكم البهلوى مقيماً الجمهورية الإسلامية فى إيران. ومنذ العصر الصفوى وحتى وقتنا هذا كان المذهب الشيعى هو المذهب الرسمى لإيران باستثناء فترة واحدة فقط هى التى حكم إيران فيها نادرشاه وأبناؤه حيث كان نادرشاه قد نجح فى إعادة المذهب السنى كمذهب رسمى لإيران الأمر الذى غير من الخريطة الدينية والمذهبية داخل إيران ولهذا كان خروج العلماء الشيعة إلى العراق (المترجم).

اختيار المستقبل لحزب الله: إيران أم حكومة السنيورة؟

■ بازتاب (الصدى) ٦ / ٩ / ٢٠٠٦

لا شك أن المساعى الدبلوماسية التى ساهمت فى إنهاء الحرب لم تكن مسيرة سهلة، خاصة أن هذه المسيرة صاحبتها انتقادات كثيرة لحزب الله من ناحية وإيران وسوريا من ناحية أخرى باعتبارهما الداعمتين لحزب الله.

وكانت إيران تطالب بوقف فورى للحرب فى لبنان وتعارض كل قرار سياسى يؤدى إلى نزع سلاح حزب الله وكان لسوريا أيضاً مواقف مشابهة لموقف إيران إلا أنها بعد توقف إطلاق النار لم تكن تتحدث بصراحة مثل إيران.



أما حزب الله فقد اتخذ موقفاً مبهما بشأن مستقبله فقد أكد السيد حسن نصر الله فى حديثه الأخير فقط إرادة حزب الله فى هزيمة إسرائيل، إلا أنه لم يوضح وجهة نظره فى شأن الحلول السياسية المقترحة لإنهاء الحرب فى دولته. وحزب الله باعتباره السبب فى الأزمة والحرب لا يمكنه بسهولة مواجهة قرار مجلس الأمن بشأن لبنان.

ويأتى مشروع السنيورة القائم على الوقف الفورى لإطلاق النار وانسحاب إسرائيل من كل الأراضى اللبنانية بمثابة خطوة أولى من أجل بسط السيطرة والحاكمية اللبنانية على أنحاء هذه الدولة والتأكيد على استقرار الجيش اللبنانى فى الجنوب.

خروج حزب الله من جنوب لبنان؟

إن استقرار الجيش اللبنانى فى الجنوب ليس له مفهوم سوى إنهاء الوجود العسكرى لحزب الله فى الجنوب، وإنهاء سيادة حزب الله وحسن نصر الله فى هذه المنطقة.

والواقع أن السنيورة لم يكن راضياً فى أى وقت عن وجود ميلشيا حزب الله فى جنوب لبنان. وانتقد كثيراً هذا الأمر واعتبره دولة داخل دولة. وحكومة السنيورة على الرغم من معارضتها الشديدة للهجوم الإسرائيلى على الأراضى اللبنانية، فقد سعت كثيراً حتى تتمكن نتيجة لهذه الحرب من بسط سيادتها على كل الأراضى اللبنانية.

وقد نظم السنيورة اقتراحه على هذا الأساس والسؤال هنا هل كانت موافقة الوزراء التابعين لحزب الله على مشروع السنيورة يعنى قبول الحزب باستقرار الجيش اللبنانى فى المناطق الجنوبية لهذه الدولة؟

هذه النقطة لم تكن واضحة وبالنظر لما سبق فإن حزب الله لرغبته فى عدم إفساد العلاقة مع حكومة السنيورة لم يعلن معارضته مع هذا المشروع. هذا فى حين أن (منوتشهر متكى) وزير خارجية إيران قد رفض بشكل ضمنى مشروع اقتراح السنيورة. وهو الإجراء الذى بدوره ووجه برد فعل من رئيس وزراء لبنان.

ومما سبق فإن حكومة إيران ستكون أول من يرفض أى قرار يشير إلى نزع سلاح حزب الله. ولن تساعد فى تنفيذه، ومثل هذا الموقف لإيران البعيدة عن موقع الأزمة لن يوجد مشكلة مباشرة لها إلا أنه سيزيد من عزلة إيران السياسية فى المنطقة وفى العالم.

قراءة فى لقاء أحمدى نجاد بمجلس العلاقات الخارجية الأمريكى

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

فى خضم توتر العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية بسبب الملف النووى الإيراني، ومع ارتفاع موجة النقد المتبادل بين قيادات البلدين، ومع محاولات الإثارة عن طريق طلب المناظرة العلنية بين الرئيسين الإيرانى والأمريكي، يأتى لقاء الرئيس محمود أحمدى نجاد مع مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، على هامش حضوره اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقيام وزارة الخارجية الأمريكية بتوفير الحماية الكاملة له. لاشك أن اللقاء فى حد ذاته يحمل معان كثيرة، كما أن الحوار الذى دار فى هذا اللقاء يثير تساؤلات عريضة. ورغم أن أحمدى نجاد يؤكد أن هذا اللقاء لا يمثل لقاء رسميا وإنما هو لقاء مع مجلس مستقل وغير حكومي، ويسهم فى تعريف المستوى الفكرى للنخبة والمؤثرين على السياسة الأمريكية لشعوب العالم، إلا أن الأسئلة المتخصصة لم تطرح فيه على عكس ما كان متوقعا، مما أسهم فى كشف عدم معرفة الأمريكيين بالواقع العالمى المعاصر، وتقوقع صانعى القرار الأمريكى داخل إطار دعاياتهم السياسية غير الواقعية.

لقد أكد أحمدى نجاد فى هذا اللقاء أن الأدبيات التى تمارسها القوى الكبرى هى أدبيات التهديد، وهى استمرار لأدبيات العلاقات التى استمرت منذ الحرب العالمية الثانية، على الرغم من التطورات التى حدثت فى العالم، مما أوجد مناخا من القلق والتوتر فى العالم، وتدخلا متزايدا من الدول الكبرى فى شئون الدول الأخرى، وحاول أحمدى نجاد أن يحلل أسباب وتداعيات ذلك بأن حذف الأخلاق من أدبيات العلاقات الدولية كان بمثابة ضربة مهلكة للعلاقات بين الشعوب، وأن أحداث فلسطين ولبنان خير شاهد على ذلك.

وقد طالب أحمدى نجاد القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة النظر فى سلوكها السياسى، على أساس تغيير نظرتها إلى العالم خلال الستين سنة الماضية، فقد مضى جيلين على الامتيازات التى حصلت عليها فى إدارة العالم كنتيجة للانتصار فى الحرب العالمية الثانية، وأن تعترف بأن العالم اليوم فى حاجة إلى التعامل الأخلاقى واحترام الإنسان والعدالة.

كان التركيز عاليا من جانب مجلس العلاقات الخارجية الأمريكى حول مناقشة الرئيس الإيرانى فى موضوع إنكاره لمحرقة اليهود فى الحرب العالمية الثانية، وقد أكد أحمدى نجاد أنه لم ينكر الحادث، ولكنه طرح عدة تساؤلات حول أهمية التركيز على قتل عدد من اليهود، يعتبر قليلا بالنسبة لستين مليون شخص قتلوا فى هذه الحرب، فضلا عن أنه يطالب بعرض المستندات المتعلقة بهذه الحادثة لإثبات حجمها، كما أنه يتساءل لماذا يتحمل الشعب الفلسطينى ذنب هذه الواقعة رغم أنه لم يكن له أدنى صلة بها، وما معنى الإبادة التى يتعرض لها شعب فلسطين الآن؟!، وأن الدفاع الشديد عن موضوع المحرقة هدفه قطف الثمار فى فلسطين!

ويحتد أحمدى نجاد عندما يشير بعض أعضاء المجلس إلى أن إيران مع ادعائها التعاطف مع الفلسطينيين لا تحرك ساكنا من أجل تقدم عملية السلام فى الشرق الأوسط، فيؤكد أحمدى نجاد أن القضية ليست قضية إيران وحدها بل هى قضية مليار مسلم، وأصبحت قضية الإنسانية جمعاء، فإن ما تمارسه إسرائيل بدعم من الغرب ضد شعب فلسطين، واعتقال قياداته وتخريب مدنه وقراه، وقتل أطفاله وشبابه وشيوخه، لا يمثل إشارة للرغبة فى السلام، ولا رغبة فى الإصلاح، أليس من الديمقراطية أن يقرر الشعب فى هذه الأراضى مصيره بنفسه، وأن يعود

اللاجئين إلى ديارهم، وأن يتم الاستفتاء على تقرير المصير بين كل السكان من عرب ويهود ومسيحيين؟ وطالب أحمدى نجاد الأمريكيين أن يتركوا الشعب الفلسطينى نفسه يقرر مصيره، وأن يقيموا علاقات حسنة مع شعوب المنطقة، لأنهم إذا أرسلوا وفدا للتحقيق لأدركوا أن شعوب المنطقة تكرههم، حتى فى الدول التى حكوماتها صديقة لهم فى مصر والسعودية والأردن والعراق ودول الخليج واليمن والسودان.

لقد اشتد الحوار حماسة عندما وصل الحديث إلى موضوع الملف النووى الإيراني، حيث أكد أعضاء مجلس العلاقات الخارجية الأمريكى أن إيران بإصرارها على تخصيب اليورانيوم الذى يؤدى إلى إنتاج السلاح النووي، تشجع على التوتر فى المنطقة، وتدعم محاولة الدول الأخرى الحصول على السلاح النووي، وهو عكس ما تطالب به إيران من إخلاء المنطقة من السلاح النووي. فى حين أكد أحمدى نجاد أن إيران عضو فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ووقعت على البروتوكول الإضافي، فماذا عليها لو عملت فى إطاره للحصول على حقها فى الاستفادة من الطاقة النووية فى الأغراض السلمية، وأن إيران واثقة من شفافية المشروع النووى الإيراني، وفتحت أبوابها للمفتشين والصحفيين، ووجدوا أن التجهيزات فى خدمة الطب والطاقة والزراعة، فما الذى يدعو إيران إلى الانحراف عن هذا الخط؟ وأن إيران مازالت فى بداية طريق التخصيب، وهذا يثير بعض القلق الذى لا يستوجب كل هذه الضجة، فى حين أن الولايات المتحدة تسلح دولة فى المنطقة بالأسلحة النووية، وأن إيران تعتقد أن عصر السلاح النووى قد انتهى، وأن الاستثمار فيه خطأ، لأنه لم يعد يحقق تفوقا، فى حين أن استخدام الطاقة النووية فى الأغراض السلمية ضرورى فى هذا الوقت، لأن احتياطى النفط يتناقص مع تزايد الطلب على الطاقة، وأنه يجب أن يحصل الجميع على الطاقة النووية، وأن تقوم الدول القوية بالتفتيش. لم لا تنتج إيران الوقود النووى مادامت قادرة على ذلك؟ وكيف تضمن أنها إن لم تنتجه أن تحصل عليه من الدول التى تفرض عليها حصارا ولا تنفذ عقودها معها حتى فى قطع غيار الطائرات المدنية ومفاعلات إنتاج الكهرباء. فى حين أن النظام فى إيران نظام دينى متقيد بالقوانين الإسلامية التى لا تبيح استخدام أسلحة الدمار الشامل أو صنعها أو الإتجار بها.

كان للوضع فى العراق نصيب من نقاش أحمدى نجاد مع مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، فقد جرى تبادل الاتهامات حول سبب ضياع الأمن فى العراق، حيث يرى المجلس أن إيران تتبع سياسة فى العراق تساعد على التوتر، إلا أن أحمدى نجاد نفى ذلك تماما، بل اتهم الولايات المتحدة بأنها جاءت إلى العراق لكى تبقى فقد بلغت قواتها ١٦٠ ألفا، وهو السبب فى التوتر الموجود فى العراق، لأنها تتبع سياسة الوقيعة بين السنة والشيعة، وتساعد على وقوع الأعمال الإرهابية، فى حين أنه لا توجد لإيران قوات هناك، كما أنها ترتبط بالشعب العراقى بروابط متينة مذهبية وتاريخية، فضلا عن صلات القربى والنسب، ولاشك أن انعدام الأمن فى العراق يؤثر سلبيا على الأمن فى إيران، وأن أحداث الأهواز والتفجيرات التى سمعتم عنها هى ناتج عدم الأمن فى العراق. يضاف إلى ذلك أن الشعب العراقى غير راض عن وجود القوات الأمريكية فى العراق، فبدلا من أن توجه الولايات المتحدة التهم للآخرين، عليها أن تدرك جيدا الظروف والملابسات، وأقول بصدق أن سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة ليست فى صالحها، وهى تحصل على معلومات خاطئة من بريطانيا باعتبار أن لها خبرة فى المنطقة، لكن الظروف والأوضاع تغيرت وأصبحت أكثر تعقيدا.

وتطرق النقاش إلى العلاقات بين إيران والولايات المتحدة، فأكد أحمدى نجاد على أن إيران أعلنت مرارا وتكرارا أنها على استعداد لإقامة علاقات طيبة مع كل دول العالم، باستثناء إسرائيل لأنها تعتبرها دولة غير شرعية، لكن الولايات المتحدة لم تقدر حق إيران فى اختيار الطريق الذى تريده لنفسها، ولم تقدر زعامة الإمام الخميني، فبدلا من أن تمد يد الصداقة سعت إلى إسقاط النظام الإسلامي، ودعمت صدام فى حربه ضدنا، كما عمدت الولايات المتحدة إلى دعم وحماية من قاموا باغتيال قياداتنا وشعبنا، إذنى أرى أن تعيد الولايات المتحدة النظر فى سلوكها بدلا من أن تتهم إيران بإفشال جهودها، ولسنا سعداء بسوء العلاقات مع الولايات المتحدة، ولكن على من أفسد أن يصلح، وهى تستطيع ذلك.

كان لقاء الرئيس الإيرانى بمجلس العلاقات الخارجية الأمريكى الذى حضره تسعة عشر عضوا، وأقيم فى فندق انتركونتيننتال فى نيويورك صاخبا، ولكنه لم يسفر عن أية نتائج إيجابية، إلا أنه كان فرصة للمصارحة بين الإيرانيين والأمريكيين، وقال ريتشارد هاس مدير المجلس الأمريكى بعد اللقاء إنه ليس واثقا من أنه حصل على شيء جديد من هذا اللقاء، ولكنه تعلم أمورا جديدة عن الميول الأمريكية، كما يعتقد كثير من الحاضرين أن أحمدى نجاد كرر ما سبق أن قاله.

ويعتقد بعض المحللين أن الرئيس أحمدى نجاد أراد فى لقائه مع أعضاء مجلس العلاقات الخارجية الأمريكى أن يخفف من أثر الخطاب الحاد الذى ألقاه

فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهاجم فيه الولايات المتحدة الأمريكية بأنها بسلوكها غير المنطقى فى العالم تساعد على إيجاد المشاكل فى مختلف أنحاء العالم، كما أنها تستغل الحق الذى أكسبته لنفسها من عشرات السنين فى منظمة الأمم المتحدة وخاصة فى مجلس الأمن فى فرض سياستها على العالم. وكان أحمدى نجاد قد طالب بإصلاح لائحة المنظمة الدولية من أجل دعم المساواة فى الحقوق، وبسط العدالة فى العلاقات الدولية، ونشر المحبة والسلام. كما هاجم الاحتلال الأمريكى البريطانى للعراق، مؤكدا أنه لم يحقق الأمن للعراقيين بل ساعد على زيادة العنف والإرهاب، ونهب ثروات العراق، كما اتهم الولايات المتحدة بدعم الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين، مشيرا إلى أنها تسعى لتقويض السلطة من الحكومة المنتخبة مباشرة من الشعب من خلال عملية انتخابية ديمقراطية سليمة دارت تحت إشراف الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية نفسها، من خلال اعتقال وزراء السلطة وتهديدهم وقتل معاونيهم وهدم منازلهم ومؤسساتهم، وحصارهم ماليا واقتصاديا. كما اتهم الولايات المتحدة بالاستجابة للضغط الإسرائيلى من أجل ضياع حقوق اللبنانيين، وانتهاك حر يتهم واستقلالهم والتدخل فى شئونهم، وتضغط على مجلس الأمن لتحقيق أهدافها من خلال الاعتداء المسلح والغزو العسكري. فضلا عن اتهام الولايات المتحدة بتعبئة دولية لمنع حصول إيران على حقوقها التى كفلتها لها المعاهدات الدولية التى وقعت عليها، بمنع حصولها على التقنية النووية تحت إشراف وتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وأكد أنه لايوجد فى ميثاق الأمم المتحدة ما يضمن منع الولايات المتحدة وبريطانيا من استغلال عضويتها الدائمة فى مجلس الأمن لفرض سيطرتها أو تحقيق مصالحها على حساب الدول الأخر ى الأعضاء، أو قامت بالعدوان أو احتلال أراضى الغير أو نقض ميثاق الأمم المتحدة.

وفى إطار ذلك يؤكد المحللون الأمريكيون أن الرئيس أحمدى نجاد إنما يسعى لتحسين صورته لدى الرأى العام الأمريكى ولدى الرأى العام العالمي، وينفى الصورة التى رسمت عنه كعدو لليهود وحام للإرهاب، وأن سلوك أحمدى نجاد مناسب، وإن كان أسلوبه خشن، وهو وإن كان قد نجح فى تحسين صورته كشخص متعصب، إلا أن آراءه ومشاعره ضد الولايات المتحدة مختلفة، كما انتقدوه فى كثرة حديثه عن آرائه ومعتقداته وفكره واعتداده بنفسه، دون أن يتيح مساحة معقولة لسماع وجهات نظر الآخرين.

ومن خلال نظرة أشمل يرى بعض المحللين أن هذا اللقاء يأتى مكملا للقاء ختامى مع الجمعيات الأمريكية خلال زيارته للولايات المتحدة فى محاولة لمزيد من التعرف من المسئولين الأمريكيين على الفكر الإيرانى الجديد بجناحيه الإصلاحى والأصولى.

لقد وضعت أجهزة الإعلام الأمريكية الرئيس الإيرانى تحت المجهر، فقامت بتحليل كلماته، وتفحص آرائه، وأسلوب خطابه، بل ذهبت أبعد من ذلك عندما قامت بتحليل سلوكه وحركاته وطريقة ارتدائه ملابسه ومعنى انتقائه لألوانه، فهل سيفيد ذلك فى تقريب وجهات النظر بين الولايات المتحدة وإيران؟

علاقات دولية

المحادثات هى السبيل الوحيد للتفاهم والتوافق فى العلاقات الدولية

■ عيسى على بناه ■ كزارش (التقرير) العدد ١٧٧، أكتوبر ٢٠٠٦

بعد نجاح الثورة عام ١٩٧٩، تعرضت العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية للتعقد بحيث صار من المتعذر التوصل إلى حل لها. والواقع أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتى صارت الولايات المتحدة هى القوة العظمى الوحيدة فى العالم بلا منازع، حيث تتمتع بالتفوق على مستوى العلاقات الدولية بما لها من قدرات عسكرية واقتصادية تفوق كافة الدول الكبرى. فعسكريا تدخلت الولايات المتحدة فى السنوات القليلة الماضية فى مناطق مختلفة من العالم ومن أبرز أمثلة هذا التدخل العسكرى منطقة الشرق الأوسط والعراق وأفغانستان. وتثير الأوضاع فى أفغانستان والعراق القلق لدى كل إيرانى محب لوطنه من تعرض إيران لمصير مشابه، فقد تم تدمير البنية الأساسية الاقتصادية والاجتماعية فى هذين البلدين مما يجعلهما فى حاجة إلى سنوات عديدة لإصلاح هذا التدمير حتى فى حالة توفر المصادر المالية. واقتصاديا تضم الولايات المتحدة مائتى مليون نسمة ومعدل استهلاك يفوق متوسط معدل الاستهلاك العالمى بعدة أضعاف مما يجعل منها سوقا جذابة لا يمكن لأى دولة فى العالم أن تغفل أهميتها.

ومن جهة أخرى كانت إيران دائما تتمتع بنفوذ اجتماعى كبير فى منطقة الشرق الأوسط وكافة الدول الإسلامية كما تمثل قوة إقليمية ذات قدرة مؤثرة كبيرة وخاصة فى تطورات الشرق الأوسط. فمن الوجهة التاريخية كانت إيران هى القوة المحركة للإمكانيات الاجتماعية فى الدول الإسلامية نظرا لأنها كانت مهدا لأولى الحركات الشعبية فى المنطقة. ومن الوجهة الجيوبوليتيكية احتفظت بأهميتها الاستراتيجية خلال السنوات الأخيرة لأسباب مختلفة. فعلى مدار فترة طويلة كانت إيران تتمتع بموقع جغرافى متميز بسبب مجاورتها للاتحاد السوفيتى وتحكمها فى مضيق هرمز. وفى الوقت الحالى عملت الاحتياطيات الضخمة من النفط والغاز الطبيعى بالإضافة إلى أهمية موقعها الجغرافى على مضاعفة أهمية إيران. وكانت هذه العوامل سببا فى عدم ميل المجتمع الدولى إلى التعامل مع إيران كما يتعامل مع كوريا الشمالية. فلم يقدم المجتمع الدولى على عزل إيران وقتلها تاريخيا.

ولذلك فعند إجراء المباحثات مع الولايات المتحدة يجب الوضع فى الاعتبار عوامل النظام الدولى وكذلك عامل موقع إيران فى المجتمع الدولى وموقع الولايات المتحدة أيضا وتقدير كل من هذه العوامل تقديرا صحيحا.

فإذا أقدم السياسيون الإيرانيون على تضخيم قيمة الامتيازات التى تتمتع بها إيران لأى سبب وكذلك إذا بالغوا فى تقدير موقف الولايات المتحدة فى العراق وأفغانستان فإن ذلك سيؤدى إلى تحمل الشعب الإيرانى بل وبقاء السلطة فى إيران ثمنا جزافيا وهو ما لا يمكن اغتفاره لدى الضمير الجماعي. ولا شك فى أن التيارات الموالية لإسرائيل فى الولايات المتحدة وكذلك المنتديات المؤيدة للغرب والتيارات العسكرية الأمريكية التى يرتبط ازدهارها الاقتصادى بوجود الأزمات العسكرية فى العالم لا ترغب فى عودة العلاقات الدبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة. ويبدو أنه فى إيران أيضا هناك البعض ممن لا يرغبون فى التوصل إلى حل دبلوماسى لمشكلة العلاقات بين إيران والولايات المتحدة. وفى هذا المجال يجدر تأمل الحديث الأخير للسيد روحانى الأمين العام السابق لمجلس الأمن القومى والذى اعترف بأخطاء المسئولين فى التعامل مع أزمات السنوات الأولى للثورة. فقد انتهت كل من أزمة الرهائن والحرب مع العراق عن طريق الحوار. ولكن الشعارات غير المنطقية وإثارة الجماهير بهذه الشعارات حملت الشعب الإيرانى خسائر باهظة وهو ما اعترف به السيد روحاني. فقد تكبد الشعب الإيرانى فى السنوات الأولى للثورة خسائر مادية وبشرية كبيرة وفقد كثيرا من إمكانياته

المعنوية والاجتماعية ثمنا لكى يكتسب المسئولون المبتدئون الخبرة إلى أن تمكنت الحكومة الإيرانية من التعرف على النظام المسيطر على العلاقات الدولية وإدراك حدود وقدر إيران فى هذه العلاقات. وفى الوقت الحالى يبدو أن تغيير المسئولين كليا سوف يكون سببا فى أن اكتساب المسئولين الجدد الخبرة سوف يكون على حساب الشعب الإيراني. ويمكن أن تكون الدعوة إلى إجراء مباحثات مع الولايات المتحدة عقب خطاب السيد أحمدى نجاد فرصة سانحة لتلطيف الأجواء بين البلدين وسببا فى تهيئة الظروف لحل المشكلات دبلوماسيا. كما أن إعلان استعداد الولايات المتحدة لإجراء مباحثات مع إيران يعكس تحولا استراتيجيا فى الموقف الأمريكى من القضاء على النظام الإيرانى إلى قبول السلطة الإيرانية والدخول فى حوار معها. وهو ما يعد امتيازا من جانب المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة لصالح السلطة الإيرانية، فقد كانت الولايات المتحدة تدعم المعارضة الهدامة طوال السنوات التالية لنجاح الثورة الإيرانية وهى الآن بإعلان استعدادها للتباحث مع إيران تتخلى عن جميع الأفكار القائمة على القضاء على النظام الإيراني. كما أن إيران من جانبها قد أعلنت مرارا استعدادها للقبول بالقيود المفروضة على برنامجها النووى كخطوة لإثبات سلمية هذا البرنامج.

وقد ركزت إيران على هذه القيود فى مباحثاتها مع الأوروبيين وفى الجولة الأخيرة من المباحثات طولبت باستخدام عدد محدود من أجهزة الطرد المركزى للأغراض البحثية بما يعنى أن وجه الخلاف الوحيد بين البلدين هو تخفيض عدد أجهزة الطرد المركزى المستخدمة فى الأغراض البحثية. هناك دائما مبدأ يتحكم فى العلاقات الدولية وهو مبدأ الأرباح والخسائر ففى حالة تقديم مقترحات مقبولة من جانب الغرب واستمرار المباحثات مع الولايات المتحدة لحل المشكلات بين البلدين، فإن المسئولين الإيرانيين لن يترددوا فى قبول هذه المقترحات. ويستلزم حل المشكلات القائمة بين البلدين بدءا من الإفراج عن الأرصدة الإيرانية المجمدة فى الولايات المتحدة إلى تسليم قطع الغيار العسكرية التى اشترتها إيران من الولايات المتحدة فى عهد الشاه وإلغاء العقوبات المختلفة المفروضة على إيران وآلاف الإمكانيات والمصالح الاقتصادية لكلا الطرفين، يستلزم حل هذه المشكلات العمل على حلها بالطرق الدبلوماسية. ويبدو من الضرورى الانتباه إلى أن وقف استخدام عدد معين من أجهزة الطرد المركزى لفترة معينة سوف يكون فى مقابل الحصول على الامتيازات السابقة.

أثبتت التجربة أن المشكلات القائمة فى العلاقات الدولية تحل فى النهاية حول موائد المباحثات. كما حدث فى مشكلة الرهائن ومشكلة الحرب مع العراق. ففى الحالات السابقة عندما كان المسئولون الإيرانيون يبدون استعدادا للمباحثات كانت كل الطرق تسد أمامهم ويستسلمون للموافقة من موقف الضعف.

والأمل ألا تتكرر تجربة الماضى فى هذه المرة وتعلن الحكومة استعدادها للحوار مع الحكومة الأمريكية فى ظروف مناسبة قبل أن يتحمل الشعب التكاليف الباهظة ماديا وبشريا ثمنا لكبرياء المسئولين الكاذب.

النشاط النووى الإيرانى والشقاق الأمريكى - الأوروبى

■ همبستكى (التضامن) ٢٠٠٦/٩/٢٧

أدت المواقف الأمريكية بخصوص الأنشطة النووية السلمية الإيرانية والغرور المفرط من جانبها لفرض سياسات معادية لإيران إلى أن يقوم الاتحاد الأوروبى والدول الحليفة لواشنطن برفض هذه المواقف وتبنى خطاً أكثر اعتدالاً تجاه إيران. فزعماء الدول الأوروبية وحلفاء أمريكا مع الاعتراف بالنتائج السيئة لأى ضغوط اقتصادية وفرض مقاطعات على إيران قد اقترحوا على أمريكا عدم ممارسة أى ضغط على إيران مع إعادة النظر فى سياساتها العدائية وتدخل فى حوار حقيقى مع طهران. وطبقاً لرأى المحللين السياسيين فإن رد فعل الدول الأوروبية وحلفاء أمريكا إزاء سياساتها تجاه إيران هو من المحتمل إلى حد كبير محاولة لإنقاذ أمريكا من طريقها السياسى المسدود. وتعمل أمريكا التى تواجه نقداً واعتراضاً على سياساتها فى منطقة الشرق الأوسط والساحات الدولة على أن تحشد بادعاءات كاذبة عن طريق إضفاء الصبغة غير السلمية على الأنشطة النووية الإيرانية إجماعاً لتنفيذ سياساتها ضد إيران وقد تزايد الاعتراض على السياسات الأمريكية المعادية لإيران داخل أمريكا وخارجها لدرجة أنه طبقاً لرأى المحللين السياسيين ووسائل الإعلام

الإخبارية ستكون وحيدة فى حالة تنفيذها هذه السياسات ضد إيران، وقد قال كولن باول مؤخراً منتقداً سياسات جورج بوش أننا فى الوقت الراهن نواجه مشكلة مع كل العالم ولكن يعتقد بأن مشاكل أمريكا فى الشرق الأوسط يمكن حلها بمساعدة إيران الدولة الكبيرة والقوية وأنه يجب على أمريكا أن تعيد النظر فى سياساتها تجاه إيران وتكتب معظم وسائل الإعلام الدولية والإقليمية أنه يتعين على أمريكا أن تفهم وجهة نظرها، وتحد من غلواء غرورها، وتدخل فى حوار حقيقى مع إيران ويعتقد معظم زعماء دول العالم أن العقوبات الاقتصادية على إيران ستكون آثارها وخيمة بالنسبة لأمريكا وسيؤدى هذا الأمر إلى دعم الروح المعنوية للشعب وحفز مشاعره القومية وقد أعلن مؤخراً جاك شيراك والتى تعد بلاده عضواً دائماً فى مجلس الأمن أنه لا جدوى من فرض المقاطعات على إيران وطلب من القوى العالمية وأمريكا التخلى عن إحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن، وأضاف شيراك فى حواره مع شبكات الأخبار الأوروبية أن الحوار هو السبيل الوحيد الذى يجب أن تكون له الأولوية، وأوصى أمريكا بأن تدخل فى محادثات حتى تصل إلى النتيجة المرجوة ويعد هذا الموقف من جانب الرئيس الفرنسى حيال السياسات الأمريكية العدائية الخاصة بالأنشطة السلمية النووية الإيرانية مؤشراً على نشوب خلاف بين أمريكا والاتحاد الأوروبى. ومع أن الصين وروسيا قد عارضتا فى الماضى عدة مرات باعتبارهما من الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن المواقف الأمريكية حيال إيران وفى الوقت الحالى يعتبران المشاورات والمباحثات الدبلوماسية هى السبيل الوحيد لحل المسألة النووية الإيرانية، فإن هاتين الدولتين صاحبتى النفوذ على الساحة العالمية قد أعلنتا أنهما يعارضان بشكل ثابت فرض عقوبات على إيران. وتطالبان أمريكا بإصرار أن تتخلى عن كافة أشكال التهديد لإيران، ولم تكن معارضة هذه السياسات الأمريكية المعادية لإيران مقصورة على دول الاتحاد الأوروبى وحلفاء أمريكا بل امتد الأمر إلى أن الدول الأعضاء فى حركة عدم الانحياز قد أصدروا فى جلستهم الأخيرة فى كوبا قراراً بتأييد مواقف إيران من الاستفادة السلمية من الطاقة النووية!

وعلى الرغم من المعارضة العالمية لمواقف أمريكا تجاه إيران فإن المحافظين الأمريكيين الجدد يقدمون أنفسهم كمدافعين عن حقوق الإنسان وتطبيق الديمقراطية ويتهمون إيران كذبا وبهتاناً بالخداع والمراوغة وفى حركة مخادعة يعترف جورج بوش بحق إيران فى الاستفادة من الطاقة النووية وفى ذات الوقت يقول يجب على إيران أن توقف أنشطتها هذا فى حين أن محمود أحمدى نجاد على الرغم أنه قد أكد عدة مرات سلمية الأنشطة النووية الإيرانية، فإنه أعلن هذه المرة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة أن هذه الأنشطة سلمية وتتسم بالشفافية وأن أمريكا تتبنى سياسة عدائية مغرضة حيال إيران وأن مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية قد قاموا على مدى العامين الأخيرين بزيارة المنشآت النووية عدة مرات وقدموا تقارير متعددة عن شفافية ما تقوم به هذه المنشآت وبالموقف الإيجابى لزعماء الصين وروسيا وفرنسا ضد السياسات المعادية لإيران ورد الفعل الإيجابى لدول حركة عدم الانحياز بخصوص الأنشطة النووية السلمية الإيرانية، يتضح أن أمريكا تواجه طريقاً مسدوداً فى هذه العملية السياسية وهى تعمل على إنقاذ نفسها من العزلة الدولية والرأى العام العالمى.

تأثير قطع العلاقات بين النظام المالى الأمريكى وبنك صادرات إيران

■ إيران امروز (إيران اليوم) ٢٠٠٦/٩/٢٠

فى إطار السعى الأمريكى لمنع إيران من التقدم على طريق امتلاك التكنولوجيا النووية تقوم العديد من المؤسسات الأمريكية الآن بفرض حظر مالى على بعض البنوك والمؤسسات المالية الإيرانية، فقد أعلنت وزارة الخزانة الأمريكية أنه تم حظر أى اتفاق أو علاقة بين بنك صادرات إيران مع النظام المالى الأمريكى.

وقد اتهم مساعد وزير الخزانة الأمريكى بنك صادرات إيران بنقل الأموال إلى حزب الله اللبنانى وحماس والجهاد الفلسطينيين، وأكد أن كل الأشخاص الذين ترتبط أنشطتهم بالإرهاب والأسلحة النووية لا يجب أن يوفقوا فى مساعيهم. كما أكد أن برنامجه يتضمن الذهاب لأوروبا من أجل تحجيم الوضع المالى للحكومة الإيرانية فى العالم. لأن هذه الدولة تستفيد من هذه الإمكانيات فى تنفيذ سياسات خطيرة، وتعتبر وزارة الخارجية الأمريكية أن تحديد ارتباطات وعلاقات بنك صادرات إيران جزء من المساعى الكبيرة ضد السياسات النووية الإيرانية.

جدير بالذكر أن قانون مقاطعة إيران صدر عقب

أزمة الرهائن الأمريكيين فى طهران عام ١٩٧٩ وقد قطعت العلاقات بين المؤسسات المالية والبنكية الإيرانية مع النظم البنكية الأمريكية.

ولكن بطريقة غير مباشرة وعن طريق بنك دولة ثالثة، استطاعوا أن يستفيدوا من هذه الخدمات. وتقول وزارة الخزانة الأمريكية أن هذا الطريق غير المباشر قد أغلق أيضاً.

تهديد إيران بتحويل الاحتياطى النقدى من الدولار لليورو

رداً على قرار وزارة الخزانة الأمريكية، قام رئيس بنك صادرات إيران بتوجيه انتقادات كبيرة لهذا القرار، مؤكدا أن دولته تحت الضغط الأمريكى يمكن أن تضطر إلى تحويل جزء من احتياطيها النقدى من الدولار لليورو.

وقال فى الاجتماع المشترك للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى: "إننا قررنا أن نتخذ كل الإجراءات القانونية فى هذا الشأن، وأنا مطمئن إلى أن الدول الأخرى ستهتم بنا، ونحن حتى الآن نستفيد ونستخدم العملات الأخرى وهذا الأمر يشجعنا أكثر على الانفصال عن الدولار الأمريكى وخلال الأسابيع الأخيرة اشتدت الحرب المالية بين الغرب وإيران بعد تحجيم علاقة بنك الصادرات مع القطاع المالى الغربى. ويؤكد الخبراء أن تهديد إيران بتحويل احتياطيها من الدولار لليورو يعتبر مبادرة عملية حققتها إيران فى هذا الصراع".

تركيبة الاحتياطى النقدى الإيرانى

عقب إعلان رواج العملة الأوروبية الموحدة (اليورو) فى عام ٢٠٠٠، وخاصة بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ قرر البنك المركزى الإيرانى أن يقلل اعتماد النقد الإيرانى على الدولار.

ويقول مهرزاد عمادى المستشار الاقتصادى للاتحاد الأوروبى فى بريطانيا أن معدل الأموال باليورو يشكل ١٨٪ من الاحتياطى النقدى لهذه الدولة.

وتحويل الاحتياطى النقدى من الدولار لليورو يمكن أن يحدث تحولاً مالياً مقبولاً فى إيران، خصوصاً أن الملف النووى هو الذى سيحدد مصير هذه الدولة الآن. ويؤكد الخبراء أنه فى حالة وقوع إيران تحت وطأة المقاطعة الأمريكية أحادية الجانب فإن ذلك سيسهل على إيران تحقيق أهدافها القائمة على اليورو.

كذلك فإن التحسن الاقتصادى للاتحاد الأوروبى فى الظروف الحالية سيكون لصالح إيران، ففى فرنسا فإن عجز الموازنة للحكومة فى شهر سابق قد انخفض ١٨٪، وفى إيطاليا ارتفع معدل الاحتياطى الخارجى ٥,٥٪، ونتيجة لذلك فقد ثبت اليورو أكثر من ذى قبل، وخلال الأشهر الستة الأخيرة ارتفعت القيمة المضاعفة لليورو مقابل الدولار حوالى ٢٢٪ كذلك فإن الخروج المفاجئ والكبير للأموال القائمة على الدولار يستطيع أن يقلل من قيمة العملة الأمريكية ويضعف اقتصاد هذه الدولة.

حدود تأثير التهديد الإيرانى

لا شك فى أن الخطر سيحيط بإيران فى حالة موافقة أوروبا مع مطلب الولايات المتحدة بشأن المقاطعة الاقتصادية مع إيران وتهديد إيران خلال الاجتماع المشترك للبنك الدولى مع صندوق النقد بتحويل احتياطيها من الدولار لليورو لم يكن له رد فعل شديد. وقد قال (إليكس وبر) رئيس البنك المركزى الألمانى أنه لا يجب أن نأخذ التهديد الإيرانى مأخذ الجد من ناحية أخرى فإن الخبراء يؤكدون أن تهديد رئيس البنك المركزى الإيرانى مستبعد.

ويؤكد الدكتور نجفى علمى أستاذ الاقتصاد بشأن النتائج المحتملة عن المقاطعة البنكية الواسعة أن النظام البنكى للدولة الآن يواجه تهديداً جدياً.

فغلق الحسابات البنكية ومقاطعة التبادل تستطيع أن تسبب أضراراً جدية للنظام البنكى ثم لاقتصاد الدولة وتعتبر الولايات المتحدة أن السبب فى هذه المقاطعة هو المساعدات المالية للإرهابيين التى تقدم عن طريق بنك الصادرات. والتى من الممكن أن تعمم على باقى المؤسسات الإيرانية، وعقب إعلان هذه المقاطعة أعلنت ثلاثة بنوك يابانية المقاطعة التجارية مع البنوك الإيرانية ومن بينها بنك الصادرات.

ولا شك أن إتمام هذا العمل بصورة واسعة يمكن أن يترك آثاراً سلبية على التجارة الخارجية لإيران، وفى هذا الشأن فإن قطاع الصادرات والواردات فى الدولة هو الأكثر تأثراً بهذه المقاطعة.

ويؤكد الدكتور نجفى فى هذا الشأن أن فى كل شكل من أشكال المقاطعة لابد من ظهور مشاكل فى النظم الاقتصادية والبنكية للدولة، ولكن على كل حال فإن البنك المركزى يفكر فى حل لهذا الموضوع. كما أن تحويل المبادلات النقدية الإيرانية فى قطاع البترول سيكون له تأثير متعدد الجوانب على الاقتصاد الأمريكى وقد يمثل صدمة كبيرة لهذا الاقتصاد. لأن تحويل المبادلات العالمية من الدولار إلى باقى العملات الأخرى سيقلل الطلب على الدولار وهو الأمر الذى سيكون سبباً فى أن تدفع الولايات المتحدة قروضها للدول فى شكل استثمارات مشتركة، وفى الوقت الحاضر فإن تقييم الدخل القومى بالدولار الذى قلت قيمته تدريجياً، وتزايدت نسبة إنفاق النقد والبديهى أن تغيير قاعدة النقد للدولة من الدولار لليورو لن يسبب ضرراً لاقتصاد الدولة، ولكن الأمر يتطلب فقط أن يتم تخطيط دقيق

ومنسجم ومحسوب حتى يستطيعوا العبور من مرحلة الدولار لليورو.

على الجانب الآخر فإن قطاعات اقتصادية أخرى فى ألمانيا تعارض مقاطعة إيران. وفى هذا الشأن يقول انتون برنر رئيس اتحاد التجاريين: إن المقاطعة التجارية ضد إيران سيكون لها تأثير سلبى كبير على الشركات الألمانية المعتمدة على السلع والتجارة الإيرانية. كذلك فإن الغرفة التجارية الألمانية تطالب بضرورة حل أزمة الملف النووى عن طريق التفاوض وأن المقاطعة الاقتصادية لن تحل المشاكل السياسية. وسيكون لها تأثير ملحوظ على قطاع التجارة الألمانية، وطبقاً لتقرير الغرفة التجارية الألمانية فإن السوق الإيرانية فى سنة ٢٠٠٥ من أكبر الأسواق المستوردة للسلع الألمانية فى الشرق الأوسط، وأن خلال العام الماضى صدرت ألمانيا إلى إيران بقيمة ما يزيد على ٤.٥ مليار يورو سلع وبضائع خاصة السيارات والمواد الكيماوية. كل هذا يؤكد أن الخطوات التى تقوم بها الولايات المتحدة ضد إيران على المستوى الاقتصادى ستواجه فى أغلب الأحيان بقدر كبير من المعارضة على المستوى الأوروبى وذلك لارتباط هذه الدول مع إيران فى العديد من الاتفاقيات والمصالح الاقتصادية.

توضيح السياسة الخارجية لبوش

■ **ولى الله ميلادى** ■ جمهورى اسلامى (الجمهورية الإسلامية) ١، ٤/١٠/٢٠٠٦

تشكلت السياسة الخارجية الأمريكية وفقا لمدارس عدة، وكانت أفكار ونظريات واستراتيجيات جميع الرؤساء الأمريكيين معتمدة فى الأساس على هذه المدارس. ولا يمكن فهم السياسة الخارجية الأمريكية دون التعرف على هذه المدارس. ونسعى فى هذا المقال إلى دراسة السياسة الخارجية لبوش وفقا لهذا المدارس وبيان أى مدرسة يمكن أن تعبر عن سياسة بوش أكثر من غيرها.

١- مدرسة هاميلتون

ظهرت هذه المدرسة فى الفترة الأولى لرئاسة جورج واشنطن للولايات المتحدة. وكان الهاميلتونيون واقعيين يهتمون بالقضايا القومية والمصالح الداخلية. وكانت هذه المدرسة تطالب بالاهتمام بالقطاع الاقتصادى فى البلاد لتحقيق المصالح الاقتصادية الأمريكية فى العالم. وتقوم هذه المدرسة على مبدأين هما "المحافظة على المحورية" عن طريق توازن القوى و"نشر الثقافة الأمريكية" عن طريق تقديم نماذج عدة لهذه الثقافة. وبناءً على هذا فإن مبادئ هذه المدرسة هى :

أ- الإيمان بمبدأ توازن القوى والتمسك به

طبقا لمدرسة هاميلتون كان الخوف من الهجوم على نصف الكرة الأرضية الغربى من الهواجس الرئيسية فى السياسة الخارجية وكان الأمريكيون يعملون جاهدين على إيجاد توازن بين القوتين العظميين فى ذلك الوقت وهما بريطانيا وفرنسا.

ب- ترسيخ القيم الأمريكية فى الخارج

كانت هذه المدرسة قائمة على تكريس القيم الأمريكية وكانت ترفض خوض معارك خارج البلاد لتحقيق المصالح وكانت بدلا من ذلك تؤكد نشر القيم والأفكار الأمريكية فى العالم. وكانت هذه المدرسة ترى أن نشر القيم الأمريكية فى العالم لا يتأتى عن طريق التحرك الخارجى ولكن عن طريق تقديم نموذج ناجح يقبله العالم عن اقتناع. ووفقا لهذا فإن القيم الأمريكية لا تنتقل إلى الآخرين عن طريق الأمريكيين وإنما تقبل المجتمعات والبلاد الأخرى هذه القيم عندما ترى مدينة متلألئة بالأنوار فوق التلال فتتخذها نموذجا لها.

جـ- تعتبر هذه المدرسة الولايات المتحدة بمثابة المنقذ، وتعتقد أن الولايات المتحدة يجب أن ترسخ هذا الأمر من الداخل وتنشر قيمها حتى تصير قدوة ونموذجا لكافة الدول وبهذا تحافظ على القيم الأمريكية.

٢- المدرسة الجاكسونية

تقوم المدرسة الجاكسونية على مبدأ حماية المصالح القومية للولايات المتحدة فى الخارج، ومؤسسى هذه المدرسة هم من الجمهوريين الذين يؤكدون على النظرة الذاتية للأمور. ويتمثل جوهر هذه المدرسة فى الواقعية القائمة على مبدأ القوة. وهذا الجوهر يختلف تماما عن شعارات "المنقذ" والأهداف المثالية التى تنادى بها مدرسة هاميلتون، ومن ثم تقف أسسها تقريبا على النقيض من أسس المدرسة السابقة. ومن أهم مبادئ هذه المدرسة:

أ- المصالح القومية هى محرك السياسة الخارجية الأمريكية

يؤيد هذا المبدأ تدخل الولايات المتحدة فى أى مكان بالعالم ولكن هذا التدخل لا يرجع إلى أسباب إنسانية أو أسس أخلاقية وإنما يرجع إلى المحافظة على المصالح الأمريكية ضد أى خطر من أى نوع. ووفقا لهذا المبدأ فإن

الولايات المتحدة ليس لها أصدقاء دائمون وإنما لها مصالح دائمة ومن الممكن أن تتغاضى عن أية إجراءات ظالمة فى البلاد الأخرى فى بعض الأوقات والأماكن.

ب- المحافظة على موقع الولايات المتحدة كقوة عظمى

وفى هذا الإطار تكون للقوة أهمية كبيرة. فهذه المدرسة ترى أن محورية القوة ومزاوجتها بمبدأ المصلحة هما المحركات القوية التى تدفع الولايات المتحدة إلى التدخل فى مختلف مناطق العالم. وقد كانت معظم التدخلات الأمريكية فى العالم منطلقة من هذه المدرسة.

جـ- الأمن والقيم الأمريكية

لا يمكن القبول بأى شكل من أشكال الاعتداء المباشر من جانب الدول والمجتمعات الخارجية على الأمن والقيم الأمريكية وفى حالة حدوث أى اعتداء من هذا القبيل فمن الضرورى الرد على هذا الاعتداء ردا سريعا وشاملا.

٣- المدرسة الويلسونية

تشكلت هذه المدرسة على يد الرئيس الأمريكى ويلسون. وهى تتشابه مع مدرسة هاميلتون فيما يتعلق بنشر القيم الأمريكية فى العالم وتولى اهتماما كبيرا بأمركة العالم. ولكنها خلافا لمدرسة هاميلتون لا تعمل على تحقيق هذا الهدف عن طريق تقوية المؤسسات الداخلية وزيادة الكفاءة وإنما عن طريق متابعة المغامرات الخارجية فى العالم. وهى مدرسة تؤمن بالقيم وتطالب بشيوع الأمن فى العالم ونشر الديمقراطية وتتبع سياسة خارجية نشطة تهدف إلى زيادة الديمقراطية فى العالم. وأهم مبادئ هذه المدرسة هي:

أ- إعادة بناء العالم وفقا للنموذج الأمريكى

يرفض الويلسونيون فكرة المصالح القومية كعنوان معيارى للذاتية القومية من أجل التدخل فى العالم ويرون أن التدخل فى أى مكان بالعالم لا يكون من أجل تحقيق المصالح القومية. أى أن هذه المدرسة ترى أن الحرب تهدف إلى إعادة بناء العالم وفقا للنموذج الأمريكي.

ب- تغيير النظام العالمى

لا تؤمن هذه المدرسة بأن مبدأ التوازن فى العالم هو مبدأ معقول أو مناسب فى السياسة الخارجية وهى تؤمن بالتدخل وتغيير العالم وفقا للنموذج الأمريكي. كما يرى أتباعها أن السلام لا يجب أن يتحقق عن طريق التوازن وإنما عن طريق الإجماع الإخلاقي.

جـ- مبدأ القيم الأمريكية

ترى هذه المدرسة أن التدخل فى العالم يهدف إلى نشر النماذج والقيم الأمريكية وأمركة العالم لا إلى تحقيق المصالح العاجلة. ومن جهة أخرى يمكن أن يكون تدخل الولايات المتحدة فى بعض المناطق متفقا مع المصالح الأمريكية ولكن بشرط أن يكون التدخل العسكرى قادرا على المساعدة على ترسيخ القيم الأمريكية.

٤- مدرسة جيفرسون

ذكر راسل ميد هذه المدرسة بوصفها رابع مدارس فى السياسة الخارجية الأمريكية ويصف أتباعها بأنهم المصباح المضئ للإرشاد. وهم كما يقول جون آدمز يستخدمون أساليب واضحة بدلا من تدمير الأشباح والأوهام (يقصد الأفكار غير الشفافة). وهم لا يهتمون كثيرا بنشر الديمقراطية فى العالم ويريدون اتساع رقعة الديمقراطية فى الولايات المتحدة. ويولون الحرية اهتماما كبيرا. ويؤيدون الديمقراطية فى مبادئها ويبدون تخوفهم من سيطرة أغلبية الظلم على أقلية الحق. وهم مرتبطون باتحاد الحريات المدنية. وهم يتشابهون مع الجاكسونية فى بعض الأوجه ويفضلون وجود بناء فيدرالى حر وأكثر قوة يمكن أن تحميه الحكومات المحلية. ويؤمنون بخروج الولايات المتحدة من العالم الخارجى حتى تتمكن بهذا من تقليل درجة الخطر التى تواجهها إلى أدنى حد.

- سياسة بوش الخارجية وفقا لمدارس السياسة الخارجية الأمريكية

ساعدت الظروف العالمية بعد الحادى عشر من سبتمبر جورج بوش والمحافظين الجدد على تنفيذ نظريته ومن أهم عناصرها تقسيم العالم إلى خير وشر، والنظام العالمى الليبرالى الجديد بأهدافه وتبنى الولايات المتحدة سياسة "من ليس معنا فهو ضدنا" واختيار استراتيجية الضربات العسكرية الوقائية والتأكيد على تفوق الولايات المتحدة على المستوى الدولى ومنع ظهور منافسين أقوياء سواء على المستوى العالمى أو على المستويات الإقليمية.

ووفقا لنظرية بوش فإن سيطرة القيم الأمريكية وأمركة العالم أمر مقبول تماما ولكن ليس وفقا للأهداف الإنسانية وإنما وفقا للمصالح الأمريكية. فالأمريكيون فى الغالب يميلون إلى العمل بمفردهم على الساحة الدولية وعدم طلب المشورة أو المساعدة من الآخرين ويميلون كذلك إلى السياسة الخارجية الهجومية. وهذا يعنى أن سياسة بوش الخارجية تعد مزيجا من أهم أفكار المدرسة الويلسونية والمدرسة الجاكسونية. رغم أنه يمكن إدراك سياسة بوش الخارجية بعد الحادى عشر من سبتمبر فى إطار المدرسة الجاكسونية وبعبارة أخرى يمكن القول إن سياسة بوش الخارجية هى سياسة جاكسونية مع التوجه إلى محورية المصالح ومحورية القوة وإن الويلسونية هى الاستراتيجية أو الأداة التى يمكن عن طريقها التوصل إلى الأهداف. كما يمكن وفقا لنظرية بوش القول إن نظرة بوش إلى النظام الدولى هى نظرة ويلسونية فبوش مثل ويلسون يريد إحداث تغيير فى الساحة الدولية كما هو واضح تماما فى استراتيجية الأمن القومي. أى أننا نشهد

نوعا من العودة إلى الويلسونية فى سياسة بوش الخارجية. وكما كان ويلسون يعتقد بأن الولايات المتحدة تتمتع بمكانة معنوية خاصة فى العالم فإن بوش أيضا له جمل مشابهة لجمل ويلسون ويرى أن نشر النظام الأمريكى هو واجب معنوى للزعماء الأمريكيين. وكما جاء فى استراتيجية بوش: إن إيجاد نظام عالمى جديد قائم على القيم الليبرالية المرغوبة هو أمر ضرورى وممكن أيضا ولكن هذا النظام الجديد سوف يوجد بواسطة القوة الأمريكية وخاصة القوة العسكرية ونحن نحارب من أجل السلام العادل. السلام الذى يحمى الحرية وسوف ننشر السلام عن طريق تشجيع المجتمعات الحرة وندافع عن السلام ضد التهديدات الإرهابية. ويرى البعض أن هذه السياسة هى سياسة ويلسونية ممزوجة بالانتقام. أى أن بوش يريد فرض القيم الويلسونية بالقوة العسكرية. وعلى هذا فإن المحافظين الجدد يرون أن القيم والشعارات والنماذج الأمريكية هى المصالح الأمريكية وأنه من الواجب الدفاع عن المصالح بأية وسيلة. وفيما يتعلق بالشرق الأوسط يجب القول إن الولايات المتحدة كانت تتبع أفكار مدرسة هاميلتون حيث كانت تهدف إلى التوصل إلى الاستقرار والسلام عن طريق تأييد الأوتوقراطية ولكن الأمر انتهى إلى ظهور الإسلاميين الراديكاليين. ولكن بعد الحادى عشر من سبتمبر دخلت مكافحة الإرهاب إلى مركز ثقل السياسة الخارجية الأمريكية ونهض الأمريكيون للمطالبة بإجراء إصلاحات جذرية فى المنطقة وسيطرت أفكار أتباع المدرسة الويلسونية على التعامل مع المنطقة. فالمحافظون الجدد الذين يطلق عليهم أيضا اسم الويلسونيين اليمينيين يريدون إجراء تغيير فى السياسة الخارجية، وهم يرون أنه بدون إجراء تحول ديموقراطى فى الشرق الأوسط (كالمناطق الأخرى) ستظل هذه المنطقة مضطربة وغير مستقرة. ومن هنا تأتى أهمية إقصاء صدام حسين وإيجاد تغيرات فى الشرق الأوسط بالنسبة لأتباع المدرسة الويلسونية. وقد انقسم أتباع المدرسة الويلسونية فى السنوات الأخيرة إلى شعبتين شعبة تؤيد الويلسونية القائمة على تنمية الديموقراطية وهى تولى أهمية كبيرة للمنظمات الدولية والشعبة الثانية هى المحافظون الجدد الذين انفصلوا عن الحزب الديموقراطى مؤكدين أهمية الديموقراطية ولكنهم أهملوا أفكار ويلسون المتمثلة فى الاهتمام بالمنظمات الدولية فهم لا يريدون أن يكونوا متأثرين بأساليب وسياسات الديموقراطيين عن طريق المنظمات الدولية لأنهم يرون أن الشرعية القائمة ناتجة من وجود الديموقراطية. وعلى أية حالة تقوم أفكار المحافظين الجدد على نوع من التحول فى الأوضاع الحالية وهم بهذا يريدون التعاون مع جميع التيارات ولكنهم يمتنعون عن التعاون مع التيارات الأخرى عندما تظهر الولايات المتحدة كقوة عالمية متفوقة. وقد كان لنظرية ارتباط تنظيم القاعدة بأحداث الحادى عشر من سبتمبر أهمية كبيرة لدى أتباع مدرسة جاكسون لأنهم عملوا على الانتقام واتباع أسلوب الردع. كما أن أتباع مدرسة جاكسون مثل وزير الدفاع رامسفيلد لا يولون أهمية للتعاون مع المنظمات الدولية بهدف إضفاء صفة الشرعية على القوة الأمريكية على الساحة الدولية. فرؤيتهم تتمثل فى معاقبة الدكتاتورية وبدلا من القيام ببناء الأمم فإنهم يرسلون القوات الأمريكية إلى الخارج دون الالتفات إلى العواقب. وفى هذا الصدد صرح رامسفيلد بشأن العراق بأنه يرى أن واجب الولايات المتحدة هو إعادة بناء العراق. ولكن هذا الإهمال للمنظمات الدولية قد أدى إلى ضياع الأهداف العامة للحكومة فنظرا لأن أحداث سبتمبر قد أدت إلى إضفاء صفة الأمنية على النظام الدولى فإن الأمن القومى صار هو الهاجس الأكبر بالنسبة لأتباع مدرسة جاكسون وهم يرون أن الأمن والقيم الأمريكية لهما أهمية كبيرة بحيث يكون الاعتداء على الأمن الأمريكى يجب أن يقابل برد سريع وشامل. وبناء على هذه الرؤية تم تقسيم العالم إلى خير وشر واعتبار الولايات المتحدة ممثلة للخير المطلق وليس هناك مساحات نسبية بين هذين الحدين ولذلك فإن مكافحة الإرهاب والحكومات المستبدة التى تهدد الأمن الأمريكى تعد أمرا ضروريا للمحافظة على المصالح الأمريكية. كما أن من أهم الأسس الفكرية لهذه المدرسة التركيز على تفوق الولايات المتحدة والعمل على منع ظهور أية قوة منافسة على المستوى العالمى أو الإقليمى ويمكن فهم الاستراتيجية الأمريكية العامة بعد الحادى عشر من سبتمبر فى إطار هذه المدرسة. ويرى أتباع هذه النظرية أن استراتيجية البيت الأبيض فى القرن الحادى والعشرين تقوم على ترسيخ التفوق الأمريكي. وقد كانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر حلقة الاتصال بين تطورات الشرق الأوسط والنظام الدولى مجالا مساعدا لترسيخ التفوق الأمريكى فى النظام الدولى وفى هذا المجال يمكن فهم الهجوم الأمريكى على العراق. فالعراق من وجهة نظر الساسة الأمريكيين كان بمثابة النموذج الذى يمكن من خلاله عرض التفوق الأمريكى على العالم ويمكن لبوش عن طريق إسقاط قوة العراق أن يثبت فكرة التفوق الأمريكى على المستوى الدولى ويحول دون ظهور أية قوة منافسة أخرى. وعلى هذا فإنه يمكن تفسير التدخل الأمريكى فى مختلف مناطق العالم (وخاصة الشرق الأوسط) عن طريق فكرة محورية القوة وتوافقا مع مبدأ المصالح وفقا للمدرسة الجاكسونية.

ظهور الطباعة وتأسيس دار الفنون خطوتان على طريق التقدم والتحديث فى إيران

■ أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

لم تكن الفترة التى حكمت فيها الأسرة القاجارية إيران تتسم بالمشاكل السياسية نظراً لتعرض إيران لأطماع الدول الأجنبية فحسب ، بل كانت من ناحية أخرى تتسم بالاستقرار والهدوء النسبيين فى بعض الأوقات والسعى وراء التقدم والأخذ بوسائل العصر الحديث حتى تكون إيران فى مصاف الدول المتقدمة .

والقاجاريون هم إحدى القبائل السبع التى ساعدت الشاه إسماعيل أول ملوك الصفويين ، وهم أنفسهم الذين قضوا على كل من الزنديين والصفويين بعد ذلك ، وتولى مؤسس هذه الأسرة آقا محمد خان حكم إيران بعد أن إستولى على طهران وأصبح أول ملوك الدولة القاجارية ولقب بلقب ملك إيران رسمياً فى عام ١٧٩٦م (١٢١١هـ) .

وتولى الحكم من بعده ابن أخيه فتحعليشاه الذى حكم من عام ١٧٩٧ إلى عام ١٨٣٤م (١٢١٢ - ١٢٥٠هـ) وكان حكمه فاتحة عهد تمتعت فيه إيران بمزيج من الهدوء والسلام النسبيين ، على الرغم من أن أيامه شهدت صراعاً دولياً بين كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا تحت قيادة نابليون بونابرت ، وكانت بلاده مسرحاً لهذا الصراع ، وعانت إيران من جراء هذا الصراع الكثير، وفقدت جزءاً كبيراً من شمالها الغربى وشمالها الشرقى كذلك وهو بلاد القوقاز وبلاد التركستان، وانفصلت عنها أفغانستان، وظلت البلاد نهباً لمطامع الأعداء واضطراب الحكام وعقد المعاهدات مع الدول الكبرى على غير إرادة الشعب ، حتى انفجرت غضبته فى الانقلاب الدستورى فى أوائل القرن العشرين.

ومع كل هذه الظروف التى مرت بها إيران فقد كان هناك اتجاه فى عهد فتحعليشاه للأخذ بالأساليب الحديثة ومحاولة تطوير البلاد ، ويكفى أن نذكر أن الطباعة ظهرت لأول مرة فى إيران فى عهد هذا الرجل ، ونحن نعلم تماماً قيمة هذا العمل فى نشر الثقافة والتعليم فى أى بلد من البلدان وأهمية ذلك فى تقدم الشعوب وازدهارها.

انتقل فن الطباعة من أوروبا إلى إيران بعد أن تعلم عدد من الإيرانيين هذا الفن فى أوروبا لأول مرة فى عهد سلطنة فتحعلى شاه قاجار وبمساعدة عباس ميرزا نائب السلطنة فأحضروا معهم آلات طباعة الحروف (الحروف الرصاص) والطباعة الحجرية من هناك إلى بلادهم.

وقد اختلفت الآراء حول أول من أدار مطبعة فى إيران وفى أى مدينة من المدن الإيرانية تم تشغيلها ، غير أنه أصبح من المسلم به الآن أن أول مرة استخدمت فيها آلات الطباعة بالحروف الرصاص كانت فى مدينة تبريز، وأن أول مطبعة فارسية اشتراها ميرزا صالح الشيرازى الذى كان قد أوفد من قبل عباس ميرزا نائب السلطنة للدراسة مع أربعة آخرين من الإيرانيين إلى أوروبا، فاشترى ميرزا صالح هذه المطبعة من إنجلترا وأحضرها معه إلى إيران واستخدمها فى مدينة تبريز.

والمعروف أن الكلمات الدالة على المطبعة كانت رائجة فى إيران فى ذلك الوقت مثل كلمات : "چاپخانة" و "مطبعة" و "بصمه خانه"، إلا أن كل لفظ من هذه الألفاظ الثلاثة يختلف فى أصله عن الآخر، فكلمة "مطبعة" عربية ، وكلمة "چاپخانة" أو "چاپ" مأخوذة من الكلمة "چاو" المغولية أو الصينية وكانت اسماً لعملة ورقية راجت فى عهد كيخاتوخان الملك المغولى فى إيران ، أما لفظ "بصمه" أو "باصمة" فهو تركى ، ويستخدم الآن على شكل اسم مصدر من الفعل "باصمق" العثمانى أو "باصماخ" فى اللغة التركية الشرقية ، ويقال لعملية الطباعة أيضاً فى اللغة التركية "باصماق". وقد شاع هذا اللفظ منذ العصر المغولى وكانوا يطلقون على صور ملوك المغول لفظ "بصمة" . ويبدو أن أول مطبعة جاءت إلى إيران عرفت باسم "بصمه خانه" . ومن نافلة القول أن نعرف أن فن الطباعة راج فى تركيا والهند ومصر قبل إيران .

كما أن أول ظهور للطباعة فى العالم كان فى بلاد الصين ، وقد وصلت الطباعة إلى أوج رقيها على عهد

سلسلة سلاطين "تانج" فى الصين ، أى فى الفترة التى تقع بين القرنين الأول والثالث الهجريين ، وكانت الطريقة المتبعة فى الطباعة هى كتابة الموضوعات على ألواح من الخشب ووضع الحبر عليها ثم طبع هذه الكتابات على الورق بواسطتها بعد ذلك .

ويطلق على الطباعة الحجرية فى الفارسية مصطلح "چاپ سنكى"، كما يطلق على الطباعة بالحروف المسبوكة من الرصاص اسم "چاپ سربى". أما المطبعى أو عامل الطباعة فيسمونه فى الفارسية "چاپچى" أو "مطبعة چى"، وتسمى المطبعة عندهم "چاپخانه" أو "باصمة خانة" كما ذكرنا من قبل .

وهناك رأى آخر يفيد بأن أول من أحضر آلة طباعة حروف إلى تبريز بتوصية من عباس ميرزا نائب السلطنة هو شخص يدعى زين العابدين التبريزى ، وهناك أسس مطبعة صغيرة طبع فيها كتاباً يسمى "فتح نامه"، وهو يعد أول كتاب يطبع فى إيران بالحروف العربية ، وهو من تأليف ميرزا أبى القاسم قائم مقام ، وقد تناول فيه مؤلفه الحرب التى وقعت عام ١٨١٢م (١٢٢٧هـ) بين دولتى روسيا وإيران وانتهت بعقد معاهدة "كلستان" المؤرخة فى ١٢ أكتوبر عام ١٨١٣م الموافق ١٦ من ذى القعدة عام ١٢٢٨ هـ . ثم طبع ميرزا زين العابدين بعد ذلك بفترة قصيرة القرآن الكريم وهو الذى عرف باسم "قرآن معتمدى" .

وبعد أن توفى عباس ميرزا نائب السلطنة الذى كان حاكماً لأذربيجان فى عام ١٨٣٣م (١٢٤٩ هـ) توقفت المطبعة الموجودة فى تبريز ، كما توقفت طباعة الحروف أيضاً فى طهران عام ١٨٤٥م (١٢٦١هـ) ، وفى عام ١٨٣٠م (١٢٤٦هـ) أحضر رجل روسى آلة صغيرة للطباعة الحجرية إلى تبريز إلا أنها لم تنتج شيئاً حتى عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ) ، ولكنها نشطت بعد ذلك التاريخ . وفى عام ١٨٤٣م (١٢٥٩هـ) أحضر شخص يدعى عبد العلى آلة طباعة حجرية إلى طهران وكان أول كتاب يطبع فيها هو كتاب "المعجم فى آثار ملوك العجم" تأليف ميرزا عبد الله بن فضل الله .

كما أسست مطبعة حجرية أيضاً فى شيراز ويقال إنها لم تطبع سوى القرآن الكريم ، وبدأت الطباعة الحجرية أيضاً فى أصفهان عام ١٨٤٤م (١٢٦٠هـ) تقريباً ، وهناك طبع كتاب "رسالة حسينية" .

وبعد أن تأسست مطابع فى تبريز وطهران وأصفهان ظهرت أول مطبعة فى مدينة أرومية حيث أسس الدعاة المسيحيون الأمريكيون هناك أول مطبعة بالحروف الرصاص عربية وسريانية وإنجليزية فى عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ)، وكان من أوائل ما طبع فى هذه المطبعة بعض الأدعية باللغة السريانية ، وكذلك تقويم عام ١٨٤١م (١٢٥٧هـ) .

ومع أن أول آلة طباعة دخلت إيران كانت للطباعة بالحروف الرصاص ، إلا أنها ألغيت بعد فترة وحلت محلها آلات الطباعة الحجرية ، وظل الأمر على هذا الحال إلى أن سافر ناصر الدين شاه (١٨٤٧ - ١٨٩٦م) إلى أوروبا عام ١٨٤٤م (١٢٦٠هـ) ، وخلال توقفه فى اسطنبول اشترى من هناك ماكينة طباعة مع الحروف العربية والإفرنجية بمبلغ خمسمائة ليرة عثمانية وأرسلها مع عامل لجمع الحروف إلى طهران ، وظلت مهملة لفترة طويلة إلى أن حصل شخص فرنسى يُدعى لويس دى نورمان على تصريح بإصدار صحيفة فرنسية تسمى "پاترى" أو الوطن ، فأصلح هذه الماكينة ونظف حروفها وقام بتشغيلها .

ومما لا شك فيه أن الطباعة بالحروف العربية ونشر الكتب العربية والفارسية كانت موجودة فى أوروبا قبل رواج الطباعة فى الشرق بفترة طويلة ، وقد طبعت المطابع الأوروبية كتباً كثيرة ومنها القرآن الكريم وكتب التفاسير والكتب العلمية التى ألفها العلماء المسلمون ، وقد طبعت مثل هذه الكتب بعد ذلك فى الشرق أخذا عن هذه الطبعات الأوروبية .

وعندما اعتلى ناصر الدين شاه ابن محمد شاه (حفيد فتحعليشاه) الحكم وهو فى سن السادسة عشرة من عمره فى عام ١٨٤٧م (١٢٦٤هـ) إهتم بزيارة أوروبا ، وعاد بعد كل زيارة من زياراته إليها مقتنعاً بأن إيران فى أمس الحاجة إلى الاقتباس من الفنون والأساليب الأوروبية حتى تستطيع أن تحتل مكانها فى العالم الحديث . وقد بذل الشاه محاولات جادة فى سبيل تحسين نظم القضاء والإدارة غير أن محاولاته هذه لم تكلل دائماً بالنجاح ، ودخلت الدولة تحت سيطرة رجال الدين المتزايدة وقتل ناصر الدين فى عام ١٨٩٦ م (١٣١٤هـ) بعد أن تكلفت رحلاته إلى أوروبا مبالغ طائلة وساءت الأحوال الاقتصادية مما أدى إلى اقتراض إيران من روسيا .

وكان من أهم نتائج الجهود التى بذلها ناصر الدين شاه تأسيس مدرسة دار الفنون فى طهران ، تلك المدرسة العليا التى اعتبرت بحق نواة للجامعة الحديثة فى إيران.

وكانت دار الفنون أول معهد علمى عال على النمط الأوروبى يقوم بتعليم الطلاب العلوم والمعارف السائدة فى العالم الحديث سواء كانت مدنية أم عسكرية ، وقد عرض برنامج الدراسة على ناصر الدين شاه الذى لم يكن قد بلغ من العمر أكثر من اثنين وعشرين سنة، وتم اختيار عليقلى ميرزا اعتماد السلطنة لرئاسة المدرسة ورضا قلى خان هدايت لإدارتها، وأقيم احتفال

افتتاحها فى يوم الأحد الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥١م) وبدأت الدراسة بها فى العلوم العسكرية والهندسية والطبية والصيدلة وغير ذلك ، كما تقرر تعيين مترجمين بالمدرسة أيضاً . وقد واجه المسئولون صعوبات فى اختيار المدرسين حيث كان من الصعب الحصول على مدرسين أجانب يقيمون فى إيران لفترة طويلة ، كما أن بعض من وقع عليهم الاختيار فى بداية الأمر لم يكونوا مؤهلين بالقدر الكافى فى أصول التربية والتعليم . وهناك بعض المواد كانت تدرس فى كل أقسام الدار وشعبها ومن ذلك اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا ، ثم أدخلوا بعد ذلك اللغتين الإنجليزية والروسية والرسم والموسيقى ضمن برنامجها .

ولم تكن الدراسة فى دار الفنون بالمجان فحسب ، بل كانت الحكومة تقدم للطلاب زياً موحداً وغداء فى المدرسة ، وكانوا يحصلون فى السنوات الأولى على مرتبات ، أما من يحصل منهم على درجات عالية فى الامتحانات فقد كانت تقدم لهم الجوائز والمكافآت الإضافية . وتعتبر هذه هى المرة الأولى التى تقدم فيها الحكومة الإيرانية على إنشاء معهد دراسى بهذا الشكل وتقوم بالإنفاق عليه وإدارته ، ومن هنا يمكن اعتبار عام ١٨٥١م (١٢٦٨هـ) نقطة تحول فى التعليم بإيران وبداية عهد جديد للتقدم الثقافى . وقد لعبت دار الفنون بمعلميها الأوروبيين دوراً كبيراً ومؤثراً فى التعريف بالحضارة الأوروبية وثقافة الغرب ، كما قام خريجوها بعد ذلك والذين تجاوز عددهم الألف خريج خلال أربع سنوات بنشر هذه الثقافة وما تعلموه فى مجتمعاتهم . ومن أهم ما قام به المعلمون والمترجمون هو ترجمة وتأليف بعض الكتب الدراسية التى طبعت فى مطبعة المدرسة ووزعت على الطلاب والراغبين فى الإطلاع عليها .

ومن أوائل المعلمين الذين وفدوا إلى دار الفنون وقاموا بالتدريس فيها خلال العشرين سنة الأولى من إنشائها نذكر كرشيش والدكتور بلاك اللذين قدما إلى إيران فى عام ١٨٥١م (١٢٦٨هـ) ، وكان أولهما معلماً للمدفعية والرياضيات ، أما ثانيهما فقد كان يدرس العلوم الطبية ، وكان فى نفس الوقت الطبيب الخاص للبلاط الملكى بعد وفاة الدكتور كلود الفرنسى ، وقد عاش فى إيران زمناً طويلاً وتعلم اللغة الفرنسية وألف كتاباً قيماً باللغة الألمانية حول سفره إلى إيران ، كما ألف كتاباً فى التشريح بمساعدة ميرزا محمد حسين أفشار ، اقتبس منه كثير من المصطلحات الطبية المستخدمة حتى الآن . وقد عاد كرشيش إلى أوروبا فى عام ١٨٥٩م (١٢٧٦هـ) ، كما عاد إليها أيضاً بلاك عام ١٨٦٠م (١٢٧٧هـ) .

وكان أغلب المعلمين الإيرانيين يتعاونون مع الأوروبيين بوصفهم مساعدين ومترجمين ، إلا أنه كانت هناك رغبة آنذاك فى الحصول على الألقاب ، ومن ذلك ما حدث بالنسبة لحاجى ميرزا عبد الغفار نجم الدولة المنجم المتوفى فى عام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) ، وكان يتولى تحديد ساعات السعد والنحس لأعمال الشاه ، عندما انضم إلى معلمى دار الفنون ولقب بلقب عظيم هو "المعلم العام للعلوم الرياضية" ، وألف كتباً متعددة فى فروع الرياضيات والطبيعة مثل : رسالة السماء فى الهيئة والنجوم ، وأصول الهندسة ، وغير ذلك .

وفى بداية إنشاء دار الفنون كان الشاه الشاب يحضر الامتحانات ويمنح الدارسين المتفوقين الجوائز والهبات ، إلا أن الاهتمام بها قل بعد ذلك نتيجة بعض تصرفات ملكم الذى كان يتولى منصب المعلم والمترجم فى هذه المدرسة، ومن هنا تدهورت الأمور ولم يعد ناصر الدين شاه يسمح لأحد من الإيرانيين بالسفر إلى البلاد الأوروبية ، ولم يبق فى المدرسة إلا القليل من المعلمين الأجانب .

ومع كل هذا فمما لا شك فيه أن دار الفنون قد ساهمت إسهاماً كبيراً فى تقدم العملية التعليمية فى إيران ونقل العلوم الحديثة من أوروبا إلى إيران، كما عرفت الجماهير العريضة بنمط الحياة الأوروبية التى لم يكن الإيرانيون يعلمون عنها شيئاً من قبل ، ومن ثم لم يمض وقت طويل على إنشائها إلا وظهرت طبقة من المثقفين والمتعلمين من الأطباء والمهندسين وعلماء الرياضيات والطبيعة فى إيران، وساهم هؤلاء جميعاً فى ترجمة وتأليف العديد من الكتب طبقاً للأساليب العلمية الحديثة ، مما أدى إلى بداية نهضة فى الثقافة الإيرانية ، ويمكننا القول بأن المطالبة بالتجديد والتحديث ومحاربة الخرافات والجهل ونشر الأفكار التى تنادى بالحرية فى العصر الناصرى كانت من ثمار جهود هذه الطبقة من الدارسين فى دار الفنون ، تلك المؤسسة التعليمية التى أثمرت بعد ذلك هؤلاء الذين نادوا بالثورة الدستورية وتولى بعضهم المسئولية فى إدارات حكومية عديدة.

عندما أنشئت دار الفنون لم تكن الكتب الدراسية فى إيران متوافرة حتى تقدم للطلاب بيسر وسهولة ، فاضطر القائمون على أمر هذه المؤسسة التعليمية إلى تأليف كتب تعليمية بأنفسهم أو قاموا بترجمة بعض الكتب عن اللغات الأجنبية حتى تكون بين أيدى الطلاب فى كافة التخصصات التى تدرس بها ، وتم طبع هذه الكتب الفارسية فى المطبعة الحجرية التى أقيمت فى دار الفنون خصيصاً لهذا الغرض ووضعت تحت تصرف الدارسين . ولم يقتصر أمر تأليف الكتب وترجمتها على

المنتسبين لدار الفنون ، بل تخطى الأمر ذلك إلى أناس لم تكن لهم صلة مباشرة بالجهاز التعليمى ، وظهرت رغبة عارمة لدى الكثير من الإيرانيين فى تأليف الكتب وترجمتها ، فقام العديد منهم بهذا العمل من أمثال حاجى ميرزا عبد الغفار نجم الدولة الأصفهانى ، والدكتور أبو الحسن خان والدكتور رضا خان والدكتور محمد الكرمانشاهى المعروف بـ "كفرى" ، وميرزا على خان مترجم السلطنة ، وميرزا محمد حسين ذكاء الملك وغيرهم ، وكان من ثمار جهود هؤلاء إخراج العديد من الأعمال والمؤلفات الهامة فى كافة المجالات العلمية والأدبية فى إيران .

وإذا تجاوزنا الكتب الدراسية أو التعليمية فى هذه الفترة ، نجد أن الإيرانيين قاموا بترجمة سلسلة من الكتب التاريخية إلى الفارسية منها مؤلفات ?ولتير مثل "شارل الثانى عشر" و"الإسكندر المقدونى" ، وكذلك "تاريخ إيران" تأليف السير جان ملكم الإنجليزى عن الترجمة الفرنسية ، ثم قاموا بترجمة الروايات التاريخية والعلمية وقصص الكسندر دوما الأب مثل "الكونت دى مونت كريستو" ، و"الملكة مارجو" و "لويس الرابع والخامس عشر" ، ثم ترجمت رواية "تلماك" لـ "فنلن" ، و"روبنسون كروزو" لـ "دفو" ، و "جيلبلاس" لـ "ساج" وغير ذلك، كما ترجموا بعض الروايات العلمية لـ "جول فرن" وأمثاله .

والغريب فى الأمر أن المترجمين الذين قاموا بترجمة هذه الأعمال زينوا ترجماتهم بالأشعار الفارسية على طريقة كتّاب القصة فى إيران ، ولم تقتصر ترجماتهم على الأعمال الشهيرة والنماذج الجيدة من الآداب الكلاسيكية ، بل ترجموا بعض الأعمال المبتذلة أو التافهة إلى الفارسية مثل "مذكرات مدام دومونت بانسيه" وقصة "روكامبول" وهما من تأليف پُنسن دوترای الروائى الفرنسى، والأعجب من ذلك أنهم كانوا يكتبون مقدمات لهذه الكتب المبتذلة يتحدثون فيها عن ضرورة نشر العلم واكتساب المعرفة والثقافة والفنون ، غير أنهم حاولوا ترجمة هذه الأعمال بأسلوب بسيط تجنبوا فيه السجع والتصنع الذى كان سمة من سمات النثر الأدبى ، ولو لم يقم هؤلاء بالكتابة بمثل هذا الأسلوب البسيط لما ظهرت الكتابة الأدبية اليوم التى صارت أقرب ما تكون إلى لغة الحوار بالإضافة إلى قربها من النثر الأدبى الأوروبى .

وإذا كنا قد ذكرنا بعض أساتذة دار الفنون الأجانب الذين بدأوا العمل فيها منذ إنشائها فلابد لنا أن نذكر بعض أسماء الأساتذة الإيرانيين الذين كان لهم دور فعال ومؤثر فى هذه المدرسة ، ونذكر من هؤلاء أمير الشعراء رضا قلى خان هدايت المعروف بـ "لله باشى" الذى شغل منصب المدير لهذه المؤسسة العلمية وأشرف عليها ، وكان هو نفسه كاتباً وشاعراً ومؤرخاً شهيراً (ولد فى ١٨٠٠م وتوفى ١٨٧١م) (١٢١٥هـ - ١٢٨٨هـ) ، ومن أهم مؤلفاته كتاب "مجمع الفصحى" واستكمال كتاب "روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء" الذى ألفه محمد بن خاوندشاه البلخى المعروف بـ "ميرخواند" ، ومن مدرسى دار الفنون الإيرانيين نذكر محمد حسن خان صنيع الدولة ، وقد حصل على لقب اعتماد السلطنة (ولد فى ١٨٤٣م وتوفى ١٨٩٥م = ١٢٥٩هـ - ١٣١٣هـ)، وقد درس هو نفسه اللغة الفرنسية والعسكرية وحصل على الميدالية الذهبية نظراً لتفوقه، وتولى عدة مناصب كان من أهمها تعيينه ملحقاً عسكرياً بسفارة إيران فى باريس، ورئاسته بعد ذلك لدار الطباعة الحكومية ودار الترجمة الملكية ووصوله إلى منصب وزير فى عام ١٨٨٢م (١٣٠٠هـ). ومن أهم مؤلفاته كتاب "مرآت البلدان ناصرى" وكتاب فى جغرافية وتاريخ مدن إيران فى أربعة مجلدات، وكتاب "تاريخ منتظم ناصرى" وهو كتاب فى التاريخ العام فى ثلاثة مجلدات تبدأ الحوادث فيه من بداية الهجرة وحتى عام ١٣٠٠هـ ، وكتاب "المآثر والآثار" وغير ذلك، كما ترجم بعض الكتب من اللغة الفرنسية ، وأعد بعض المعاجم ، وكتب رسالة مشهورة تسمى "خوابنامه" أو "خواب خلسه" (أى: رسالة النوم أو نوم الغفلة) فى عام ١٨٩٢م (١٣١٠هـ) وعقد فيها محاكمة لكل وزراء العصر القاجارى ونسب إليهم كل ما حل بإيران من خراب وتدهور.

ولا شك أن دار الفنون كانت هى وغيرها من المدارس العليا والمعاهد العلمية الموجودة فى إيران نواة للجامعة الحديثة ، حيث تأسست جامعة طهران بعد ذلك فى عام ١٣١٣هـ (١٩٣٤م) وضمت العديد من الكليات كالآداب والحقوق والصيدلة والطب البيطرى والأسنان والعلوم وكلية المعقول والمنقول والزراعة والفنون الجميلة ، كما أنشئت بعد ذلك جامعات أخرى فى عدة مدن إيرانية مثل أصفهان وشيراز وتبريز ومشهد وغير ذلك .

المراجع:

١- از صبا تانيما - يحيى آرين پور - جلد اول - تهران ٢٥٣٥ .
٢- ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر - ترجمة دكتور عبد النعيم حسنين - القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م .
٣- صفحات عن إيران - صادق نشأت ومصطفى حجازى - القاهرة ١٩٦٠م
٤- لغتنامه - على اكبر دهخدا .

الأقليات الدينية المعترف بها رسمياً فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية

■ د. يحيى داود عباس
أستاذ اللغة الفارسية بجامعة الأزهر

تحظى أربع أقليات دينية برعاية الحكومة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى الوقت الحاضر، وتؤكد الحكومة الإيرانية أنها مكلفة بالحفاظ على حقوق هذه الأقليات، وعلى حريتها الدينية، وعلى توفير الأمن لها. وهذه الأقليات تتمتع- فى إطار القوانين الإسلامية- بحريات ثقافية واجتماعية وسياسية، شأنها فى ذلك جميع أفراد وطبقات الشعب الإيرانى. وهذه الأقليات هى: الأقلية اليهودية، الأقلية المسيحية (أرمن وآشوريون)، والأقلية الزرادشتية.

وفى الدستور الإيرانى الحالى مادة كاملة (المادة الثالثة عشرة) عن هذه الأقليات، نصها: "الإيرانيون الزرادشت، واليهود، والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية فى أداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون، ولها أن تعمل وفق قواعدها فى الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية.

وطبقاً للمادة (٦٧) من الدستور فإن نواب الأقليات الدينية يؤدون اليمين الدستورية، مع ذكر كتابهم السماوى الخاص بهم. كما وافق مجلس الشورى الإسلامى مؤخراً على أن تكون فدية الأقليات هى نفس فدية المسلمين. هذا فضلا عن أن المادة التاسعة عشرة من الدستور الحالى تنص على تمتع أفراد الشعب الإيرانى- من أية قومية أو قبيلة- بالمساواة فى الحقوق، وعلى أن اللون أو العنصر أو اللغة أو ما شابه ذلك لا تعتبر سبباً للتفاضل والتمايز.

ولهذه الأقليات دور للعبادة خاصة بها، ومدارس ومعارض ونقابات ومؤسسات خيرية وكتب ومطبوعات (صحف ومجلات)، ودور لنشر وتوزيع الكتب الدينية.

أولاً: اليهود:

علاقات إيران باليهود قديمة، فالإمبراطور كوروش (٥٥٠- ٥٢٩ ق.م) مؤسس الإمبراطورية الأكمينية (الهخامنشية) (٥٥٠- ٣٣٠ ق.م)- قام بتحرير بنى إسرائيل من السبى البابلى، وبنى لهم مدينة خاصة بهم فى غرب إيران، واستفاد منهم فى بناء حضارة دولته. انصرفوا هم إلى التجارة والصناعات الأساسية وتحقيق الثراء عن طريقهما.

ويقول البعض ومنهم مؤرخو الفرس إن كوروش سمح لهم بالعودة إلى فلسطين مرة أخرى، وإنه أعاد اثنان وأربعون ألفاً من بنى إسرائيل. ومعهم سبعة آلاف من الغلمان والجوارى. وسمح لهم ببناء معبد فى بيت المقدس، كما أمر بإعادة الأوانى الذهبية والفضية إلى بيت المقدس، وكان "بختنصر" قد أحضرها معه.

إلا أن البعض الآخر ومنهم الدكتور "محمد خليفة حسن" يذكر أن اليهود لم يستجيبوا لدعوة كوروش لهم بالعودة، لأن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية كانت قد استقرت تماماً فى بلاد ما بين النهرين.

وقد أتاح لهم الحكم الفارسى الجديد التخلص من الحكم البابلى، وأصبحوا خاضعين مباشرة للفرس الذين انتهجوا سياسة متسامحة مع اليهود.

كما يذكر الدكتور خليفة أن العصر الفارسى من أهم عصور الازدهار فى الحياة اليهودية، وأن الحياة اليهودية زاد استقرارها فى بلاد الإمبراطورية الفارسية، وبخاصة فى منطقة ما بين النهرين وفى فارس ذاتها. وقد حقق اليهود مكانة اقتصادية كبيرة، وتقلدوا بعض المناصب الكبيرة وبخاصة فى البلاط الفارسى.

وقد اكتسب الملك كوروش محبة اليهود الذن نظروا إليه على أنه "مسيح مخلص". وقد سار معظم ملوك فارس على سياسة كوروش فى تعاملهم مع اليهود فى بلاد الإمبراطورية.

ومع ظهور الإسلام وانتشاره فى بلاد المشرق ومن بينها إيران واصلت الجماعة اليهودية حياتها المستقرة، وحقق اليهود فى إيران نجاحاً كبيراً، ووصل أحدهم إلى منصب الوزارة فى عهد الإيلخانيين (الأسرة المغولية التى أسسها هولاكوخان فى إيران وظلت تحكم من عام ٦٥٤ هـ إلى عام ٧٥٤ هـ) وهو "سعد الدولة اليهودى" طبيب ووزير أرغون (٦٨٣- ٦٩٠ هـ) الذى تميز حكمه بمحاباة اليهود. وقد شهدت الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر اعتناق أعداد كبيرة من يهود إيران للإسلام، وذلك لأسباب اجتماعية واقتصادية. كما شهدت الطائفة اليهودية فى إيران بداية من منتصف القرن التاسع عشر ظاهرة اعتناق بعض اليهود للبهائية.

ومع تزايد قوة الحركة الليبرالية فى إيران مع بدايات القرن العشرين طرأت تحولات عديدة على أوضاع اليهود فى إيران،

فقد تحسن الوضع الثقافى لليهود، وتنوعت أنشطة اليهود الاقتصادية، واشتغلت أعداد منهم بالجيش وفى كافة الأجهزة الحكومية، واحتل بعضهم مكانة اقتصادية هائلة فى الدولة. وقد شارك اليهود بقوة فى الحياة الاقتصادية فى عهد "محمد رضا بهلوى" مع ازدهار الاقتصاد الإيرانى على أثر ظهور البترول. واشتغل كثير من اليهود فى مجالات: السياحة والفندقة والطب والصيدلة والمحاماة والتدريس بالجامعات.

ومن العوامل التى ساعدت اليهود على الاندماج فى المجتمع الإيرانى اعتناق كثير من اليهود للبهائية من منتصف القرن التاسع عشر، وحرص الغالبية اليهودية على إخفاء انتماءاتهم الدينية من خلال تغيير الأسماء، أو اعتناق الإسلام، أو قطع الصلة بالطائفة اليهودية. وكان الهدف من إنكار الهوية الدينية تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

وقد أنتج اليهود الإيرانيون أدباً باللغة الفارسية شأنهم شأن اليهود فى كل بلاد العالم الإسلامى، وذلك بعد أن تأثروا بالبيئة الثقافية الفارسية، وانعكس هذا التأثر فى أدبهم سواء كان منظوماً أو منثوراً وتعد الأعمال الأدبية ليهود إيران وما وراء النهر والتى كتبت باللغة الفارسية والخط العبرى وتسمى بالآداب الفارسية اليهودية فرعاً من فروع الأدب الفارسى. ويشكل الشعر لب الأدب الفارسى اليهودى، لكنه لم يكن مرتبطاً بالبلاط الفارسى. وقد تمت الاستفادة من النثر فى ترجمة الكتاب المقدس وتفسيره ورواية الحكايات والقصص، والموضوعات العلمية والحكمية والمواعظ الدينية.

وقد ترجم سفر إستر ومزامير داود والتوراة إلى الفارسية اليهودية، ومن المعروف أن الشاه عباس الأول (٩٩٦- ١٠٣٨هـ) هو الذى أمر بترجمة مزامير داود، وأن نادر شاه الأفشارى (١٧٣٤- ١٧٤٧ م) هو الذى أمر بترجمة التوراة ومزامير داود والإنجيل والقرآن إلى اللغة الفارسية. وقد تمت ترجمة التوراة ومزامير داود على يد اليهود بالخط العبرى واللغة الفارسية، ثم حولها أحد الخطاطين الإيرانيين إلى الخط الفارسى.

كما ألفت معاجم عبرية بالفارسية اليهودية وكتب طبية وأغانى شعبية، ونظمت أشعار بالفارسية اليهودية فى موضوعات تدور حول تاريخ اليهود وديانتهم، كما نظمت أشعار صوفية. ومن أشهر شعراء إيران اليهود: شاهين الذى يعد أول شاعر يهودى نظم الشعر بالفارسية اليهودية، وإنتاجه الشعرى ينحصر فى: موسى نامه- أردشير نامه- عزرا نامه- قصة يوسف وزليجا المعروفة بـ :أحسن القصص.

والشاعر عمرانى وهو ثانى شاعر سطع فى سماء الأدب الفارسى اليهودى بعد شاهين، ومن أعماله الأدبية: فتح نامه: كتاب الفتح، وهو عبارة عن منظومة يتجاوز عدد أبياتها الخمسة عشر ألف بيت. ومنظومة ساقى نامه، وهى منظومة غنائية صوفية تأثر فيها بحافظ الشيرازى وسعدى الشيرازى وعمر الخيام، ومنظومة كنج نامه: كتاب الكنز، التى سجل فيها عمرانى أقوال عظماء اليهود ونصائحهم فى كل مكان بلغته هو، والمنظومة تحتوى على أكثر من خمسة آلاف بيت.

كما أغرم يهود إيران وما وراء النهر بأشعار الشعراء اليهود فى إسرائيل والدول الأخرى، وأحياناً توضع ترجمة منظومة بالفارسية تحت كل بيت شعر عبرى، كما أنشد بعض يهود إيران شعراً بالعبرية. كما أغرموا بقراءة أشعار شعراء إيران الكبار مثل: الفردوس – سعدى- حافظ- جلال الدين الرومى – العطار- نظامى- صائب التبريزى- عرفى، وغيرهم، ويتضح من المخطوطات أنهم نقلوا إنتاج هؤلاء الشعراء إلى الخط العبرى منذ زمن بعيد والتعاون بين الشاه محمد رضا بهلوى (١٩٤١ – ١٩٧٩) واليهود معروف وثابت، فقد أبرم الشاه اتفاقيات اقتصادية وثقافية وإعلامية مع إسرائيل، وكان هناك تعاون بين جهاز المخابرات الإسرائيلى (الموساد) وجهاز السافاك الإيرانى. وكانت إيران أول دولة فى المنطقة تؤسس فيها منظمات صهيونية مؤثرة وفاعلة، أصبحت فيما بعد نواة للحركة الصهيونية فى المنطقة. وقد توترت العلاقات بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران (١٩٧٩/٢/١١م)، وقطعت إيران علاقاتها مع الكيان الصهيونى فى إسرائيل، واستدارت الثورة على قيادات اليهود ممن كانت لهم علاقات مشبوهة مع الإسرائيليين. وتم اعتقال بعض اليهود بتهمة التجسس لحساب إسرائيل.

لكن بعد أن اتضح الخط العام للثورة، فرقوا فى إيران بين اليهودية والصهيونية، ويمارس اليهود الآن نشاطهم بحرية فى المجتمع الإيرانى، ويتجلى هذا فى احتفالاتهم وأعيادهم وفى مدارسهم التى يتم فيها تعليم الخط واللغة والتاريخ والفن والموسيقى اليهودية.

ولليهود فى إيران حوالى (٤٣) كنيسة، ولهم مقابر خاصة بهم، وتوجد فى إيران بعض مقابر أنبياء بنى إسرائيل وحاخامات الدين اليهودى منها: مقبرة النبى دانيال فى شوش، ومقبرة النبى حبقوق فى مدينة تويسركان، ومقبرة إستر ومردخادى فى مدينة أصفهان، ومزار سارح ابنه آشر بالقرب من مدينة أصفهان.

ويقيم يهود إيران فى عدة مدن إيرانية هى: همدان – اصفهان – شيراز – شوش – شوشتر – نهاوند – كاشان – طهران، ولهم فى هذه المدن روابط ينتخب أعضاؤها انتخاباً مباشراً، وجمعيات ومؤسسات خيرية تلعب دوراً بارزاً فى حل المشكلات الاجتماعية والصحية والاقتصادية لليهود منذ فترة طويلة.

ويحصل يهود إيران على عطلات رسمية فى أعيادهم ومناسباتهم، وعطلة عيد الفصح تصل إلى أسبوع كامل.

ولقد شارك اليهود – مثل سائر أفراد الشعب الإيرانى – فى الحرب الإيرانية – العراقية، وقتل منهم عدد من الأفراد أثناء المعارك.

وجدير بالذكر أن اليهود يملكون داراً للنشر تسهم بدور كبير فى نشر الكتب والأبحاث بجميع اللغات فى إيران، وهى

دار "بروخيم".

ومن المعروف أن الرئيس الإسرائيلي الحالي (موشيه كاتساف) من يهود إيران، وقد قال في تصريح نشرته له جريدة الأهرام في (٢٠٠٦/٥/٢م) إنه يكن كل مشاعر الاحترام والتقدير لتاريخ إيران وثقافتها، وقال أيضاً: قد ولدت بإيران، وعاشت عائلتي هناك لأكبر من ٢٥٠٠ عام.

وطبقاً لآخر إحصائيات أجريت، بلغ عدد اليهود الإيرانيين حوالي خمسين ألف نسمة، يمثلهم في مجلس الشورى الإسلامي عضو واحد.

ثانياً: الأرمن:

الأرمن من الأقليات المسيحية التي استوطنت إيران منذ أمد بعيد، فقد انتشرت المسيحية في إيران في عصر الأشكانيين (٢٥٠ق. م/ ٢٢٦م)، وكان للدين المسيحي اتباع منذ القرن الأول الميلادي فيما بين النهرين وغرب إيران، وزاد عدد المسيحيين في إيران في العصر الساساني (٢٢٤/ ٦٥٢م) نتيجة للحروب التي دارت بين الفرس والرومان، ونتيجة لعمليات الأسر الجماعي وتمركز الأسرى المسيحيين في مناطق معينة. كما أن انتشار المسيحية في أرمينيا كان من أسباب انتشارها في إيران. وعندما طرد النسطوريون من روما في القرن الخامس الميلادي استوطنوا ما بين النهرين وإيران، وأنشأوا مدارس خاصة بالمسيحيين في عهد أنوشروان (٥٣١ / ٥٧٩م)، واشتهرت هذه المدارس بتدريس العلوم الطبية.

وبعد الفتح الإسلامي لإيران، وبعد انتشار الدين الإسلامي فيها، ساعد المسيحيون العرب في إدارة شئون إيران، وكان منهم الأطباء والمستشارون والمترجمون وكتاب الدواوين والمؤدبون. ولم يمنع الإسلام قيام علاقات اجتماعية واقتصادية بين المسلمين وأهل الكتاب أو أهل الذمة، والذمة هي "العهد": عهد الله ورسوله وجماعة المسلمين. وقرر الإسلام لأهل الكتاب حرية التعبد وإقامة الشعائر في بيعهم وكنائسهم، كما قرر أن تصان حرماتهم، وتؤدى الأمانات لهم، وان يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ولهم ما يسمى حديثاً بحقوق المواطنة.

ومن عوامل زيادة عدد المسيحيين في إيران تغير الأوضاع السياسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي في روسيا وتركيا، فهاجر عدد كبير من مسيحيي هاتين الدولتين إلى إيران بسبب سوء المعاملة.

وقد مرت بالأرمن فترات عصيبة في العصر الصفوي (٩٠٦/ ١١٤٨هـ) فقد أمر الشاه عباس (٩٩٦ - ١٠٣٨هـ) - الذي كان في حالة حرب مع السردار العثماني سنان باشا في أذربيجان وأرمنستان - بتدمير جميع المدن والقرى التي يقيم فيها الأرمن، وبتهجير السكان عنوة إلى مدن اخرى، وقد تعرضت هذه المدن وهذه القرى للسلب والنهب، وذلك لأن هذه المدن وهذه القرى تقع في طريق الجيش العثماني، وكان الشاه عباس يهدف من ذلك إلى حرمان الجيش العثماني من الطعام والماء والعلف. وتم تهجير عائلات أرمنية كثيرة إلى مختلف المناطق في إيران وبخاصة: أصفهان وجيلان. واستقر ما يقرب من ثلاثة آلاف أسرة على ضفاف نهر "زاينده رود" في أصفهان. وتفرقت مجموعات أخرى من الأرض في البلاد، وسكنوا القرى والقصبات الواقعة بني أصفهان وشيراز، واعتنقت مجموعة منهم الإسلام بعد جيلين، وذابوا في السكان الذين عاشوا معهم. إلا أن الشاه عباس تعاطف مع الأرمن المسيحيين في وقت لاحق، وبنى لهم مدينة "جلفا" على ساحل نهر زاينده رود، وهي المدينة المعروفة بـ: "حلفا أصفهان". إحياء لذكرى حلفا. كما ساعدهم في بناء العديد من الكنائس في أصفهان، وشاركهم في أعيادهم ومناسباتهم. وفي ظل تعاطفه مع المسيحيين فتح الباب على مصراعيه أمام القساوسة والمبشرين الأوروبيين لنشر الدين المسيحي في إيران ويرى البعض أن الشاه عباس كان يخطب ود الأوروبيين لاستمالتهم إليه ضد العثمانيين.

ومعظم الأرمن الإيرانيين يعتنقون المذهب الجريجوري، وهو فرع من فروع الدين المسيحي، ولهم مطلق الحرية في إقامة احتفالاتهم ومراسمهم التي تقام في مناسبات مختلفة، وتقوم الإذاعة وكذلك التليفزيون في إيران بنقل أجزاء ومشاهد من هذه المراسم.

وللأرمن في إيران عشرات الكنائس والمدارس، ولهم صحفهم الخاصة بهم والتي تصدر باللغة الأرمنية. ولهم عطلاتهم الرسمية ونواديهم الرياضية المجهزة بأحدث الأجهزة الرياضية، ولهم جمعياتهم الخيرية ومراكزهم الثقافية. ومعظم كنائسهم مسجلة في فهرس الآثار الإيراني الوطني.

وللأرمن الإيرانيين عضوان في مجلس الشورى الإسلامي، أحدهما عن أرمن طهران والشمال، والآخر عن أرمن أصفهان وجنوب إيران والأرمن تجار أغنياء، ولهم دور بارز في تطوير الصناعات الفنية الدقيقة الخاصة بالمجوهرات والآلات الدقيقة، ويساهمون في الصناعات البترولية.

وقد شارك الأرمن في الحرب الإيرانية-العراقية، كما شارك صناعهم في إعادة بناء المناطق المنكوبة. وعدد الأرمن في إيران - طبقاً لآخر إحصائية - يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ ألف أرمني، ينتشرون في أصفهان وطهران وتبريز ورضائية ورشت وهم قوم مسالمون لا يحبون إثارة أية مشكلات مع أي نظام يحكم إيران. على الرغم من كونهم من أكبر الأقليات الدينية في إيران.

وقيل إن الأرمن أسسوا أول مطبعة في إيران في عام ١٦٣٨ م. ولهم متحفان شهيران: الأول: المتحف الموجود داخل كنيسة "وانك" الشهيرة في أصفهان، والذي تم بناؤه عام ١٩٠٥م، وبه أكثر من ٧٠٠ مخطوطة، وأول كتاب تم طبعه في إيران من قبل الطائفة الأرمنية، وأول مصحف شريف تمت

طباعته فى إيران. والثانى: المتحف الموجود داخل كنيسة مريم المقدسة فى تبريز، ويحتفظ فى هذا المتحف بمخطوطات نفيسة باللغة العربية والفارسية والأرمنية، وعملات وفصوص خواتم وأوان مختلفة.

ثالثاً: الآشوريون:

الآشوريون من أقدم الطوائف التى استوطنت إيران، فقد أغار شابور الثانى الساسانى (٣١٠ / ٣٧٩ م) على مدينة أورها (الرها) التى كانت تحت سيطرة الرومان، واحتلها وجلب عدداً كبيراً من الآشوريين إلى إيران. وهذه المجموعة من الآشوريين هم الذين أنشأوا مدارس عديدة فى جندى شابور وهرات وطوس، وعكفوا على نشر العلم، إلى أن حظى الآشوريون بحريات واسعة فى عهد يزدجرد الثانى (٣٩٩ - ٤٢٠ م). وأسس الآشوريون العديد من الأديرة والصوامع فى مختلف بقاع إيران. وواصل أثرياء الآشوريين نشر العلم وتأسيس المدارس، وفى عهد أنوشروان، وجهت الدعوة إلى الأساتذة الآشوريين المقيمين فى نصيبين وأورها (الرها)، لكى يتوجهوا إلى "جندى شابور" للتدريس فى جامعتها، وكان هؤلاء الأساتذة يقومون بتدريس علوم: الطب، والنجوم، والرياضيات وقواعد اللغة. وفى القرن السادس الميلادى أسست إيران جامعة فى نصيبين وعهدت إلى الأساتذة الآشوريين بالتدريس فيها. ولم يقتصر دور الآشوريين على تقديم الخدمات العلمية، بل شاركوا الإيرانيين فى الصراعات العسكرية. كما أنشأ الآشوريون مدارس فى أرومية ومغان وضواحى خراسان وهرات وخوزستان وطوس ونيشابور فى ظل الحكم الإسلامى.

ولقد حظى الآشوريون فى عصر الشاه عباس الصفوى (٩٩٦ - ١٠٣٨ هـ) الذى وطد صلته بالمسيحيين الأوروبيين، وتعاطف مع جميع المسيحيين فى إيران، وكان يشاركهم مناسباتهم الدينية. واختار فتحعليشاه القاجارى (١٢١٢ - ١٢٦٠ هـ) فتاة آشورية زوجة له، وكون من الآشوريين فرقتين من المتطوعين لشهرتهم فى القتال والصمود.

وفى عهده قدمت إلى إيران عدة إرساليات مسيحية، مما كان سبباً فى تقسيم الآشوريين إلى أربعة مذاهب، لكل مذهب منها كنيسة مستقلة.

وللآشوريين مدارسهم وجمعياتهم الخيرية وروابطهم ونواديهم الرياضية الخاصة بهم فى طهران العاصمة وأرومية وعدة مدن أخرى. وللآشوريين نشاطهم السياسى فى إيران التى يوجد بها المكتب الآسيوى للاتحاد الدولى للآشوريين. كما أن لهم مندوباً واحداً يمثلهم فى مجلس الشورى الإسلامى. ويقدر عددهم فى إيران بحوالى (٥٠ ألف آشورى).

رابعاً: الزرادشتيون:

الزرادشتيون هم الإيرانيون الذين يعتنقون الديانة الزرادشتية التى كانت الديانة الرسمية فى إيران قبل الإسلام. وهى الديانة التى أسسها زرادشت فى إيران فى القرن السادس أو السابع قبل الميلاد. وهى ذات ملامح ثنائية فقد جعل زرادشت أساس ديانته وجود إلهين متنازعين أحدهما إله للخير وهو: أهورامزدا، والآخر إله للشر وهو: أهريمن، وقد دعا زرادشت الناس إلى حب الخير وفعله، وإلى العمل على التغلب على الشر، واعتبر النور خيراً والظلمة شراً، وقسم جميع الأشياء الموجودة فى الكون إلى نوعين متضادين أحدهما للخير والآخر للشر. وكان زرادشت مؤمناً بالبعث والجزاء فى الآخرة.

وقد بقيت هذه الديانة منتشرة فى إيران من القرن السادس قبل الميلاد إلى ما بعد ظهور الإسلام، ثم أخذت تتلاشى تدريجياً وحل محلها الإسلام. لكن لا يزال لها أتباع فى إيران والهند. ومن تقاليدهم الغريبة أنهم لا يدفنون موتاهم، بل يتركونهم فى أبراج مكشوفة معرضة جثثهم للطيور الجارحة التى سرعان ما تلتهمها.

والزرادشتيون الذين اعتنق بعضهم الدين المسيحى فى العصر الساسانى (٢٢٤ / ٦٥٢ م) أحرار فى إقامة مراسمهم الدينية فى قاعات خاصة، ولهم معابد نار أثرية يمتد تاريخها إلى ما قبل الإسلام. ولهم جمعياتهم الخاصة بهم فى طهران العاصمة وفى سائر المدن التى يقيمون فيها، مثل: خراسان - كرمان - يزد - زاهدان، ولهم مدارسهم الخاصة التى يتعلم فيها أبناؤهم تعاليم الدين الزرادشتى.

والزرادشتيون يشاركون فى الأنشطة السياسية شأنهم شأن بقية أفراد المجتمع الإيرانى، ولهم ممثل فى مجلس الشورى الإسلامى، لإبلاغ طلباتهم ورغباتهم ووجهات نظرهم إلى أعضاء المجلس، وطبقاً لآخر الإحصائيات، فإن عدد الزرادشتيين بلغ فى إيران فى الوقت الحاضر حوالى (٥٠ ألف) زرادشتى، معظمهم من التجار وأصحاب البساتين. وجدير بالذكر أنه عقد فى طهران مؤخراً مؤتمر دولى للزرادشتيين حضره معتنقو الديانة الزرادشتية من أرجاء العالم كافة.

المراجع:

١-الأدب الفارسى عند يهود إيران - جمع وتحقيق: أمنون نتضر - ترجمة: د/ محمد نور الدين عبد المنعم - القاهرة - ٢٠٠٠ م.

٢-الدستور الإيرانى.

٣-اقليتهاى مذهبى وجمهورى إسلامى إيران: يحيى داود عباس - ١٩٩٠م.

٤-القوميات والأقليات الدينية فى إيران (دراسة تاريخية): د/إبراهيم المغازى - القاهرة - ١٩٩٢م.

٥-إيران: حسن محمد جوهر - محمد مرسى أبو الليل - القاهرة - ١٩٦٩م.

٦-سرزمين ومردم إيران: عبد الحسين سعيديان - ١٣٧٨ هـ . ش - تهران.

هيئة وكالة الأئمة

■ إعداد: حسن أبوبكر
باحث فى الشئون الإيرانية

بسبب قلة أعداد الشيعة وعدم انتشارهم وبخاصة عدم تجمعهم فى أماكن خاصة بهم، ولظروف سياسية معينة واجتماعية ... كان تشكيل وتأسيس هيئة باسم الوكالة غير ممكن فى عصر الإمام الباقر " عليه السلام " وما قبل هذا العصر، وأضحت الحدود الجغرافية للوكالة تنحدر فى شبه الجزيرة العربية، إيران، العراق وشمال أفريقيا حيث كانوا يختارون نوابهم عن طريق الإمام المعصوم، لما كان لهم من أدوار يمثلونها من عوامل الاستقرار بين الشيعة ومراكز الاستقرار الزعامية الشيعية، ثم يأتى الدور لإرسال الوجوه الشرعية (الخمس والصدقات والهبات) المجمعة من مختلف الممالك الإسلامية للإمام آنذاك، هذا وعلى الرغم من مغزى هذه الوكالة وأهدافها إلا أنها أحيانًا ما كانت تستخدم لمصالح بعض الأشخاص بعيدًا عن المصلحة العامة حيث أنهم يدعون بالكذب أنهم تحت رعاية غطاء الوكالة مما أدى إلى إخلال فى أعمال الوكالة فى مضمونها، لذا حرص الأئمة عليهم السلام بمعارضة كل هؤلاء الأشخاص بشدة والذين أصدروا أحيانًا فتوى بجواز قتلهم .

" هيئة الوكالة " ترتكز على مجموعة من النشاطات وحزمة من الفعاليات المنسقة المتفق عليها تحت مظلة زعامية واحدة، فأسست فى عصر الإمام الصادق " عليه السلام " نظرًا لدعم العالم الإسلامى وامتداد الشيعة فى مناطق متعددة ومتفرقة حيث لم يكن سهلاً عليهم الاتصال والحيلولة دون معرفة أخبار الشيعة فى الأماكن البعيدة للأئمة وأيضاً من صعوبة الانتقال إليهم إلى سكنهم والتى تستوجب عليهم الاتصال بالإمام فجازت الضرورة لتشكيل مثل هذه الوكالة لضرورة معرفة أوضاعهم وأحوالهم.

أما عن الإشراف وتوجيهات ومتابعة مجريات فعاليات الهيئة فكانت من ضمن اختصاصات الأئمة وكان إشرافهم عليها طبقًا لمقاماتهم، وإحدى أهم العوامل الرئيسية لتأسيس الوكالة هى الضرورة التى اتضحت فى بادئ الأمر وهى العلاقة بين الأئمة الأطهار " عليهم السلام "، وبين شيعتهم بالخارج لأن من غير الوارد أن يتواجد أى نظام دينى أو سياسى أو اجتماعى دون الاتصال الشعبى بزعيمهم أو العكس، وكانت من ضمن سمات يجب توافرها فى حيازة لقب الوكيل العام أو كما يسمونها "وكيلا" وهو الشخص همزة الوصل بين الإمام والمنطقة التى يعيش فيها وما من مناطق مجاورة له أو بمحيطه الثقة، الأمانة، والعمل الصالح هى كانت تعد من أهم سمات الوكلاء والتى إن لم تكن متوافرة تحدث المشكلات .

مؤسسة الوكالة طرحت منذ عصر الإمام الصادق ولم توجد إشارة إلى سبب البدء فى هذا الطرح تحديدًا بذات الوقت، حيث لم نجد مثلاً نماذج من تلك المؤسسات فى عصر الإمام الباقر "عليه السلام" مثلا أو حتى فى المرحلة التى سبقتها، والسؤال هنا لماذا نعتقد أن مثل هذه المؤسسات أنشئت من عصر الإمام "الصادق" وليس فى عصر الإمام الكاظم "عليه السلام" وبدأت فى نشاطاتها ؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد وأن نتطرق لذكر نقطتين:

أولاهما : أعداد الشيعة ومعدلات الدعم فى المناطق المختلفة لم تكن بالصورة المطلوبة التى بحاجة أن تستشعر إقدامات النائب أو الوكيل من جانب الإمام الباقر والأئمة من قبلهم .

ثانيهما : الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة التى واكبت قبل تلك الفترات والتى لم تكن تسمح بظهور ووجود مؤسسة دينية ومن ضمن ركائزها الأساسية هى جمع واستقصاء الوجوه المالية والهدايا

الشيعية والتى زادت مدتها فى عصر بنى أمية فضلاً عن الظروف الاجتماعية والتى لم تكن هى الأخرى بمعزل عن الحياة السياسية آنذاك .

ويحتمل أن الشيخ الطوسى قد رأى أن " حمران بن أمين " كان وكيلاً للإمام الباقر " عليه السلام " كما عبر عنها فى كتابه " كتاب الغيب " .

ولم ترد إشارة للحدود الجغرافية لنشاط هيئة الوكالة، بالرغم من زيادة حجم ومعدل تطور وبسط النفوذ الشيعى فى الفترات الماضية المختلفة .

ويمكن أن نحدد المناطق التى كانت ضمن حيز اهتمامهم "وكلاء الأئمة".

١- منطقة الجزيرة العربية: المدينة - مكة - اليمن - البحرين.

٢- منطقة العراق: وتعد بحق هى أحد المراكز الرئيسية للشيعة، وكانت من أهم اختصاصاتهم ونشاطاتهم، ومنها الكوفة، بغداد، سامراء، المدائن، الواسط والبصرة، .. حيث كانت مناطق لآفاق رحبة طبقًا للناحية التاريخية.

٣- منطقة شمال إفريقيا: منها المناطق التى كانت مؤسساتها شيعية من قبل، وكانت تحت رعاية الوكالة، والبلاد التى كانت لها أهمية عالية جدًا ومن أهم تلك المناطق مصر والمغرب.

٤- إيران: تلك المنطقة التى اتخذت موطنًا للشيعة، وكانت تعرف من الأزمنة السحيقة واحدة من أهم مراكز المتشيعين وكانت مقرًا لأنشطة وكلاء الأئمة ومنها قم - آوه - الرى - قزوين - همدان - أهواز - خرسان - سبزوار - مرو بلخ - التى كانت تتمتع بأهمية خاصة.

مع أن أحد أهم العوامل الرئيسية لنشأة الوكالة هى ضرورة الاتصال والوجود المعنوى بين الأئمة "عليهم السلام" وأتباعهم، لكنه فى نفس الوقت لم يوجد ما يشير إلى كيف كان يتم هذا الاتصال مع وكلاء هذه الوكالة، وكيفية تنفيذ آليات وبرامج خططها الموضوعة، وينبغى القول بأن هيئة الوكالة تتبعت، كأى منظمة أو هيئة، مجموعة من الأهداف متفق عليها مع التزامات متبعة وما لها من أساس تنظيمى وإداري، هذا البناء يمكن تصوره كالبناء الهرمى حيث كان يُشكل قمته وبنيته العليا الزعيم أو الرئيس لتلك المؤسسة وهم الأئمة " عليهم السلام " ونزولاً بالقاعدة تدريجيًا لقاعدته نجد أنها تبدأ بالوكلاء العارفين أو كما يقولون عنهم بالفارسية "باب هاى أئمة" ثم الوكلاء الذين ينتشرون بمختلف البقاع .

فضلاً عن الوكلاء المقيمين فى الأطراف، وأحيانًا كان يعين النواب من قبل الأئمة تحت مسمى (سيار) أى الكوكب تعزيزًا لأهداف الوكالة ومهمته ما بين مقر رئاسة الوكالة ومقر إقامة الوكلاء فى الأقاليم الأخرى.

أما عن أعمالهم ووظائفهم هو إيجاد وإحداث اتصال الأئمة مع الوكلاء والشيعيين فى الأقاليم المختلفة، ومن ثم كانوا يمثلون همزة الوصل فيما بينهم، ومن إحدى مهامهم الخاصة هى تسليم الوجوه الشرعية المجمعة إلى حيث مقر الأئمة، إلى أن الوكالة كانت ذات نطاق محدود، وكان لابد على الوكلاء العاملين فى الوكالة أن يعلنوا قبل ترشيحهم برامج عمل محددة وأن يتولوا مسئوليات خاصة من باب معرفتهم، النحو الذى أخذ بمحمل خاطئ وكانوا مصدر مساءلة من جانب الإمام، ومن الواجب ذكره إنه لتيسير ظروف حياتهم أحيانًا، كانوا يعتمدون على دخولهم الشخصية وفى حالات كثيرة من خلال مرتبات وأجور أحيانًا كانت تعطى لهم كمصارف ودخول شرعية .

وكانت إحدى مهام الإمام بشأن اختيار الوكالة المباشرة على أعمالهم ليمثل علاقة مهمة للشيعة حيث يدفعون له الأموال والوجوه الشرعية وتسليم الاستفسارات واحتياجاتهم وإلى تلك الأمور لذا كان ضروريًا الاطمئنان والثقة للوكلاء ومعرفة تفاصيل حياتهم، ولهذا كان لالتواءات بعض من الوكالات لحركة فاسدة وخائنة وشخصيات منحرفة وبموجب مهام ووظائف الأئمة فى هذه الوكالة حماية للوكالة إعلان عزلهم وفصلهم من الوكالة أحد الأدوار المهمة.

ولعل أحد المصائب والأضرار المهمة فى مسيرة هذه الوكالة هو ظهور وبروز بعض الإدعائيين الكاذبين للوكالة والبابية والتى تصدى لها الأئمة عليهم السلام بحزم وبأساليب خاصة .

ومنها مجموعة منحرفة ادعت كذبًا بالوكالة والبابية بجانب الوكلاء الجائرين الفاسدين، حتى لوثوا التاريخ وروايات من عصر الإمام الرضا عليه السلام، وما بعد هذا العصر وفى عصر الغيبة الصغرى لعدة أشخاص مدعين البابية والوكالة زيفًا وقد وصلت مداها إلى ما يعتقد به غيبة الإمام (المهدى المنتظر) وسيرة الأئمة بشأن تلك الأمور ودعواهم المختلفة معروفة للشيعة بالإضافة إلى إعرابهم عن كذب دعواهم وبطلانها ،الأمر الذى أدى إلى لعنهم وطردهم واتخاذ قانون بإبعادهم مشيرين إلى أنهم شديدى الخطورة.





المهندس محمد رضا اسكندرى

وزير جهاد الزراعة

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

ليس عبثا ضم وزارتى جهاد التعمير والزراعة ليكونا وزارة واحدة تحت مسمى وزارة جهاد الزراعة، لذلك كان من الضرورى التدقيق فى اختيار من يتولى هذه الوزارة سواء من جانب رئيس الجمهورية الإسلامية فى إيران محمود أحمدى نجاد، أو من جانب مجلس الشورى الإسلامي، ومن هنا كان اختيار الرئيس للمهندس محمد رضا اسكندري، الذى لم يستطع البرلمان إلا أن يمنحه الثقة، فحصل على ٢١٤ صوتا من مجموع ٢٢٧ صوتا، وهى ثانى أعلى نسبة أصوات بعد وزير الإسكان والمرافق محمد سعيدى كيا.

والوزير محمد رضا اسكندرى عربى الأصل حيث ولد فى مدينة الأهواز بمحافظة خوزستان عام ١٣٣٨هـ.ش١٩٦٠.م. وحصل على دراسته الابتدائية والمتوسطة فى هذه المدينة، ثم التحق بجامعة الشهيد جمران فى الأهواز عام ١٣٥٧هـ.ش١٩٧٩.م، حيث درس الهندسة الزراعية وتخصص فى الزراعة وعلاج النباتات، وفى عام ١٣٦٢هـ.ش١٩٨٤, حصل على درجة الماجستير فى الزراعة، ثم عاد وحصل على درجة الماجستير مرة أخرى فى نظم الإدارة الحكومية عام ١٣٧٩هـ.ش٢٠٠٠.م.

لقد عمل المهندس اسكندرى فى هيئة جهاد التعمير منذ إنشائها عام ١٣٥٨هـ.ش١٩٨٠.م، ثم أصبح مسئولا عن لجنة الزراعة فى خوزستان التابعة لهيئة جهاد التعمير عام ١٣٦٢هـ.ش١٩٨٤.م، حتى صار رئيسا لفرع هيئة جهاد التعمير فى خوزستان عام ١٣٦٨هـ.ش١٩٩٠.م، ثم صار المدير التنفيذى وعضو مجلس إدارة مؤسسة الجهاد عام ١٣٧٦هـ.ش١٩٩٨.م، وقد عين رئيس هيئة شئون العشائر عام ١٣٧٨ هـ.ش٢٠٠٠.م، ثم عين مستشارا لوزير جهاد الزراعة بعد ضم وزارة جهاد التعمير مع وزارة الزراعة، حيث تولى المشروع القومى للاكتفاء الذاتى فى محصول القمح منذ ١٣٨١هـ.ش. حتى اختاره الرئيس أحمدى نجاد ليتولى هذه الوزارة.

عبر اسكندرى خلال توليه المناصب المختلفة عن كفاءة عالية فى الإدارة، وجهوده البحثية، وفكره العلمي، ويشهد على ذلك مشروعه حول زيادة محصول القمح والسياسات المتعلقة به، وكان اسكندرى قد قدم بحثا تحت عنوان المفاهيم الأساسية للمؤسسة والإدارة

عـام ١٣٧٩هـ.ش١ ٢٠٠م. وبحـثـا تحت عنوان دور الثقافة البنيوية فى نظام الرقابة والتحكم، وقد أدت جهوده إلى أن يتم اختياره كمدير مثالى فى احتفالية الشهيد رجائى عام ١٣٨٣هـ.ش٢٠٠٥م، كما اختير رئيسا مثاليا لهيئة جهاد التعمير فى المحافظات لمدة ست سنوات متتالية، وقد قام بإنجاز مشروع الاكتفاء الذاتى من القمح.

يعتبر اسكندرى مبتكرا للمشروع القومى لاستخدام الخبراء الزراعيين غير الحكوميين فى إدارة مزارع القمح الخاصة والحكومية. كما قام بوضع برنامج دورة تعليمية شاملة لآخر المستجدات العلمية نفذت على المهندسين المشرفين على مزارع القمح فى جميع أنحاء البلاد. وهو صاحب مشروع تنظيف المجارى المائية لنهر بهمنشير فى عبدان، وقد أعاد زراعة النخيل فى المناطق التى تضررت بالحرب العراقية الإيرانية فى محافظة خوزستان، وهو صاحب مشروع منطقة البحوث الزراعية لأعشاب المناطق الحارة ونصف الحارة، كما قام بالتوسع فى زراعة الذرة العويجة فى محافظة خوزستان وتشجيع المزارعين على زراعتها، كما قاد حملة لمكافحة الآفات المتلفة للذرة بالطرق البيلوجية لأول مرة فى إيران.

ويشهد البرنامج الذى قدمه لمجلس الشورى الإسلامى لتنفيذه خلال فترة وزارته على قدرته العلمية وإمكاناته فى مجال التخطيط الزراعى والإدارة الفنية، والتى لقيت تأييدا كبيرا من جانب المجلس.

ولاشك أن مجال الزراعة فى إيران من المجالات التى تحتاج إلى كثير من الجهد والعلم نظرا لندرة المياه وقلة الأراضى الصالحة للزراعة، وصعوبة توفير مستلزماتها، فضلا عن الحصار الاقتصادى المفروض على إيران والذى يقتل هذا المجال، مما جعل الإيرانيين يستفيدون من خبراتهم التاريخية فى حل مشكلات هذا القطاع، والسعى إلى تطبيق نظم اشتراكية تعتمد على توزيع المحصول بنسبة المشاركين فى إنتاجه والموفرين لمستلزمات خدماته. وكان الاعتقاد السائد هو عدم قدرة إيران تحقيق الاكتفاء الذاتى من المحاصيل الزراعية الاستراتيجية، وخاصة القمح والذرة، لذلك يحسب للوزير محمد رضا اسكندرى اضطلاعه بمهمة تحقيق الاكتفاء الذاتى وحسن التخطيط له، ونجاحه فى إنجازه فى محصول القمح، وإلى حد كبير فى محصول الذرة.

لقد اعتمد الوزير اسكندرى فى خطته على تكريم أصحاب الخبرة، وابتكار نظام المزارع النموذجية، والاعتماد على القوى الخلاقة الشابة المتعلمة وحسن الاستفادة منهم، فى مجالى التخطيط والتنفيذ، كما اهتم بالرقابة الصارمة لرفع مستوى الإنتاج إلى مستوى الجودة العالمية، والتعامل بواقعية مع مشكلات الزراعة والمزارعين، مع وضع استراتيجية بعيدة المدى ونظم راسخة وأسلوب تقييم علمي، وممارسة ثورية للمهام، والتوسع القائم على العلم، ودعم البحوث الزراعية.

لقد وضع الوزير اسكندرى نصب عينيه تحقيق الأمن الغذائي، وقد استطاع خلال فترة وجيزة أن يجعل الناس يشعرون بتحقق حوالى ٨٠٪ من الاحتياجات العامة من الأغذية الرئيسية، كما وضع اسكندرى فى أولوياته المحافظة على البيئة والمصادر الطبيعية من خلال تخطيط عملية خروج الأنعام من الغابات والمراعي، وتنظيم حياة السكان هناك، والتوسع فى عملية استخراج المياه من الآبار والاستفادة المثلى من مياه السدود، والاهتمام بالثروة السمكية. ولقد كان أسلوب اسكندرى فعالا فى محاصرة مرض انفلونزا الطيور والحمى القلاعية للحيوانات، وتحقيق تأمين كاف لمنع انتشار المرض والقضاء عليه.

وقد سعى الوزير اسكندرى إلى رفع مستوى عوامل الإنتاج الزراعي، ومنح قطاع الزراعة الفرصة ليكون أحد معالم الحلم الإيرانى للتقدم، بتشجيعه على الابتكار، ودعم المواهب، وتشجيع البحوث العلمية، واستخدام أفضل التقنيات فى هذا المجال، مع دعم البنية التحتية للزراعة، وتقليل مخاطر الاستثمار فى هذا القطاع، وزيادة الاعتمادات الحكومية له، فضلا عن توفير المبيدات الحشرية، وحسن توزيع المحاصيل بأسلوب علمى حسب طبيعة البيئة الطبيعية، وتشجيع البنوك والأجهزة الحكومية على شراء المحاصيل والتأمين الزراعي، إضافة إلى دعم الصناعات الغذائية والإنتاج الحيواني، وتأسيس صندوق لدعم قطاع الزراعة، وتثبيت الأسعار.

لقد وضع الوزير اسكندرى أولوية لإصلاح المؤسسات التى تعمل فى حقل الزراعة والإنتاج الحيوانى والثروة السمكية، فضلا عن إلغاء المؤسسات الموازية، وإلغاء الوساطة فى التعامل مع هذه المؤسسات وفيما بينها، لضمان حسن الإدارة، وخلق مناخ مناسب لتحقيق فائض من إنتاجها للتصدير.

هكذا أثبت المهندس محمد رضا اسكندرى أنه ربان سفينة إنقاذ النظام من ورطة الحالة الزراعية التى كانت تنذر بخطر سقوط النظام، وقد كان عند حسن ظن القيادة حيث يشهد القطاع الزراعى نجاحا متواصلا فى عهده، يمثل دعما للوضع الاقتصادى العام لإيران.

رؤى عربية

انعكاسات تجربة كوريا الشمالية النووية على إيران

■ لواء ركن متقاعد/ حسام سويلم

يجمع المراقبون على أن التجربة النووية التى أجرتها كوريا الشمالية مؤخراً سيكون لها انعاكاسات شديدة على الساحة العالمية، وعلى الساحة الشرق أوسطية على وجه الخصوص فى ظل المواجهة الراهنة بين المجتمع الدولى وإيران بسبب الملف النووى الإيرانى الساخن، والجارى عرضه على مجلس الأمن لاتخاذ القرار بشأن فرض عقوبات على إيران لإصرارها على المضى فى طريق تخصيب اليورانيوم إلى نهايته، وما ترتب على ذلك من فشل المفاوضات التى كان يجريها خافيير سولانا منسق السياسة الخارجية الأوروبية مع طهران. إذ يتكرر السؤال الآن حول ما إذا كانت تجربة كوريا الشمالية النووية ستخفف من حدة هذه المواجهة أم أنها ستزيد من هذه الحدة؟

ذلك أن هناك من يقولون أن التجربة الكورية ستؤدى إلى تكثيف ضغوط واشنطن على إيران حتى لا تسفر هذه التجربة عن خطوات إيرانية أكثر جرأة وتحديا للمجتمع الدولى، بيد أن هناك فى المقابل من يقولون أن واشنطن ستكون الآن أكثر استعداداً للحوار مع طهران لإقناعها بالعدول عن أى نوايا مقترحة بعسكرة برنامجها النووى، بما يعنيه ذلك من استعداد لتقديم تنازلات.

وفى الوقت الذى تتباين فيه ردود الأفعال الدولية تجاه التجربة النووية الكورية، وظهور تكهنات فى بعض العواصم الأوروبية تفيد بعزم واشنطن القيام بعمل عسكرى وشيك يستهدف إسقاط نظام حكم بيونج يانج تسربت معلومات فى اتجاه آخر تشير إلى قرب حدوث مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة وإيران باعتبار الأخيرة فى النظرة الأمريكية من كوريا الشمالية.

هل لإيران دور فى تحديد توقيت التجربة الكورية؟

قيل الكثير حول التوقيت الذى اختارته بيونج يانج لإجراء تجربتها النووية، فهناك من ربط هذا التوقيت باحتفال كوريا الشمالية بذكرى مرور ١٩ سنة على تولى رئيسها (كيم جونج ايل) منصب رئاسة (حزب الشغيلة)، وأن هذه المناسبة فرضت تعميم البهجة على المواطنين عن طريق إعلان بلدهم النووية الثامنة أو التاسعة بعد إسرائيل - فى النادى النووى الدولى. وهناك من ربط توقيت هذه التجربة بالزيارة التاريخية التى قام بها رئيس وزراء اليابان الجديد (شينز وآبى) إلى كل من بكين وسيول، واستياء جنرالات كوريا الشمالية من موقف حليفتهم الصين ورد فعلها عندما أعلنت بيونج يانج عن نواياها لإجراء تجربة نووية، فكان رد بكين هو التبرؤ من مسئولية الصين تجاه رعاية جارتها، وهو ما عبّر عنه مندوب الصين فى الأمم المتحدة فى تصريحه "إن أحداً فى العالم لم يحم هذه الدولة إذا هى أقدمت على إجراء التجربة النووية". الأمر الذى سبّب استياءً كبيراً لدى جنرالات كوريا الشمالية. كما أن هناك فى واشنطن من رجحّ أن يكون توقيت التجربة مرتبطاً بموعد تعيين الوزير الكورى الجنوبى (بان كى مون) فى منصب الأمين العام للأمم المتحدة خلفاً لكوفى أنان، وكان ذلك بناءً على توصية الإدارة الأمريكية، وعلى خلفية تصاريحه السابقة بأنه سيعالج أزمة الكوريتين بطريقة أفضل من خلفه، وربما أراد زعيم كوريا الشمالية إحراجه وإظهاره بمظهر العاجز منذ أول يوم من وصوله إلى منصبه، خصوصاً وأن (مون) شارك فى المفاوضات السداسية من أجل إقناع الزعيم (كيم) بضرورة التخلى عن السلاح النووى. أما عن اليابان فهناك من ربط توقيت التجربة بالتقارب اليابانى - الكورى الجنوبى وحرص الحكومتين على إجراء تقييم ومراجعة شاملة لأوضاع شبة الجزيرة الكورية، خصوصاً فى ظل التجارب الصاروخية والنووية لكوريا الشمالية، لذلك استغلت بيونج يانج الفرصة لرمى أوراقها فوق طاولة المحادثات بين كوريا الجنوبية والصين واليابان، خصوصاً فى إطار الضغوط الأمريكية على حكومة سيول لعرقلة سياسة "الشمس المشرقة" التى أعلنها رئيس كوريا الجنوبية للتقارب مع كوريا الشمالية والتى أدت إلى عرقلتها.

وقد تكون كل هذه الأسباب دوافع لاختيار بيونج يانج توقيت تفجير قنبلتها النووية، يضاف إلى ذلك إجراء

انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى فى نوفمبر ٢٠٠٦، ورغبة حكومة بيونج يانج فى إحراج إدارة بوش أمام الناخبين الأمريكيين بإثبات فشلها فى إدارة الأزمة النووية الكورية، ناهيك عن تورطها فى المستنقعين العراقى والأفغانى، وبما يكبل أيدى الإدارة الأمريكية عن التورط فى مستنقع ثالث فى شبه الجزيرة الكورية، ويجعل هذا التوقيت لإجراء هذه التجربة فرصة ذهبية لا تعوض، ولاسيما وأن جميع محاولات بيونج يانج لدفع واشنطن لإجراء حوار ثنائى مباشر معها باءت بالفشل. إلا أن عدداً من المراقبين ربطوا بشدة بين توقيت إجراء التجربة النووية الكورية والمسار الذى وصل إليه الملف النووى الإيرانى، لاسيما وأن أيادى طهران ليست بعيدة عن تأزم موقف الولايات المتحدة فى كل من العراق وأفغانستان. فقد أشارت تقارير دبلوماسية ومخابراتية إلى وجود تنسيق بين إيران وكوريا الشمالية حول توقيت إجراء تجربة الأخيرة النووية، باعتبار البلدين عضوين فى (محور الشر) الأمريكى، حيث أجرى التفجير النووى الكورى مواكباً لإعلان خافيير سولانا فشل مفاوضاته مع إيران، وحيث تستعد الولايات المتحدة لتوجيه ضربة استباقية لإيران، حركت لها حشودها العسكرية إلى منطقة الخليج، وعلى رأسها مجموعة حاملة الطائرات (آيزنهاور .US)

ويقول هؤلاء المراقبون أن فى جعبة الإيرانيين الكثير من المصائد والعقبات التى يمكن أن تظهر فى الوقت المناسب، وأنهم يضعون الحواجز فى طريق الأمريكيين الذين يركضون صوب تحقيق هدفهم النهائى والمتمثل فى إسقاط نظام حكم الملالى فى طهران. ويدللون على ذلك بأنه عندما كانت واشنطن تسعى إلى إقناع حلفائها بفرض عقوبات على إيران فى بداية الصيف الماضى، حركت إيران حليفها فى لبنان حزب الله لإشعال الحرب التى أبعدت عيون واشنطن عن طهران، وأرجأت مناقشات مجلس الأمن للملف النووى الإيرانى قرابة شهرين على الأقل، انصرفت خلالهما الجهود الدولية إلى محاصرة الانفجار الخطير فى الشرق الأوسط. ومتزامناً فى ذلك مع تحريك طهران لحليفها الافغانى القديم حكمتيار للتحالف مع حركة طالبان وإعادة إشعال الجبهة الأفغانية فى وجه قوات حلف الناتو وعلى رأسها القوات الأمريكية هناك. وبعد أن توقفت الحرب فى لبنان، وأعيد النقاش الدولى حول الملف النووى الإيرانى وقعت الأزمة الجارية بين روسيا - وجورجيا، وبرزت كعقبة جديدة فى الطريق نحو إيران، التى تقاطعت مصلحتها مع مصلحة روسيا على إبعاد السيطرة الأمريكية عن جورجيا الواقعة على حدود البلدين. وإذا كان من العسير القول أن الأزمة الروسية الجورجية من صنع إيران، إلا أن الانفجار فى القوقاز يعتبر عقبة جديدة تعرقل تقدم واشنطن صوب إيران، وليس خافياً أن السيطرة على الوضع فى جورجيا شرط يمهد الطريق للأمريكيين إلى شمال إيران، لذلك جاء التطور الكورى الشمالى بمثابة ضربة جديدة قاسية للخطط الأمريكية. وليس سراً أن واشنطن لم تكن ترغب فى الانشغال اليوم بهذه المسألة، ولم يفكر أحد هناك بالمواجهة مع نظام بيونج يانج، فالملف الكورى الشمالى كان فى أدراج الانتظار، وانحصر الطلب الأمريكى إلى زعيم كوريا الشمالية (كيم) فى ألا يعوق خطط واشنطن، ولكنه اختار طريقاً آخر.

احتياجات إيران التكنولوجية من كوريا الشمالية

عندما أجرت كوريا الشمالية تجاربها الصاروخية العشر فى يوليو الماضى، أكدت الولايات المتحدة أن مسئولاً إيرانياً أو أكثر حضر هذه التجارب التى أجريت على صواريخ شملت (نودونج - ١، ٢) وهو يماثل الصاروخ الإيرانى (شهاب ٣) بل هو نسخة إيرانية مكررة بالضبط من الصاروخ الكورى الشمالى (نودونج - ١)، وأن هذه الصواريخ قادرة على حمل رؤوس نووية وهو ما يؤكد أيضاً التعاون العسكرى القائم والعميق بين البلدين، ومن ثم فليس من المستبعد أن يكون ممثلو لإيران قد حضروا أيضاً التجربة النووية الكورية الأخيرة. خصوصاً وأن إيران تسعى للحصول على تكنولوجيا تحميل الصواريخ برؤوس نووية، وهى تكنولوجيا تحوى ثلاثة أقسام على النحو التالى:

أ- تكنولوجيا التصغير: بمعنى تصغير حجم القنبلة النووية من ٢٠ كيلو/طن إلى أقل من ذلك حتى واحد للكيلو/طن أو أصغر، بحيث يمكن تحميلها فى رأس صاروخ أو إطلاقها من مواسير مدافع أو راجمات صواريخ، لاستخدامها فى المستوى التكتيكى قبل الانتقال بأعيرة أكبر على المستوى الاستراتيجى، وذلك فى إطار استراتيجية (التصعيد المتدرج). ويتطلب الحصول على تكنولوجيا التصغير إجراء العديد من التجارب الميدانية للحصول على النتائج المطلوبة، فضلاً عن التجارب العلمية بواسطة الكمبيوتر.

وقد اعترف العالم النووى الباكستانى عبد القدير خان بأنه شاهد خلال زيارته لكوريا الشمالية صاروخاً محملاً برأس نووية. وهو بالطبع ما تسعى إليه إيران لأنه لا قيمة استراتيجية للصواريخ إذا ما أطلقت وهى مسلحة برؤوس تقليدية، حيث ينبغى لتحقيق الهدف المؤثر على المستوى الاستراتيجى أن تسلح مثل هذه الصواريخ برؤوس ذات تدمير شامل (نووية ، كيماوية، بيولوجية).

ب- تكنولوجيا الأمان النووى: والمعنى بها تركيب

وسائل الأمان فى الرأس النووية التى تمنع تشغيل التفاعل النووى داخل الرأس النووية بالصاروخ خلال فترة تحليقه فى النصف الأول الصاعد من خط مساره، ويكون فوق الأراضى الصديقة تحسبا لأى حادث طارئ، حتى وأن سقط الصاروخ بسبب أى خلل أو حتى انفجر فى الجو. وألا يبدأ التفاعل النووى إلا فى الجزء الهابط من خط مساره.

ج- تكنولوجيا تسلسل التفجير: حيث توجد الكتلة الحرجة الفرعية من اليورانيوم ٢٣٥ فى شكل طلقة بنهاية الرأس الصاروخى، والتى يمكن أن تقذف إلى منتصف الرأس النووية والتى فيها الكتلة الحرجة الرئيسية الساكنة من اليورانيوم ٢٣٥، إلا أن درع النيترون يشكل فاصلاً بين الكتلتين الحرجتين، مانعاً إياهما من احتمالات حدوث تصادم وانفجار. ولتحقيق الانفجار يتم سحب هذا الدرع النيترونى الفاصل بين الكتلتين، فتنطلق المتفجرات الكيماوية طلقة اليورانيوم فى اتجاه هدفها (الكتلة الحرجة الرئيسية) لتشكل جسما واحداً يمثل ما فوق الكتلة الحرجة، وهنا تبلغ سلسلة التفاعل النووى ذروتها فى الانفجار الانشطارى وقد يكون هدف التجربة النووية الكورية الأولى - وقدرتها طبقاً للتحليلات الأمريكية لاتزيد عن واحد كيلو، طن، أى تساوى قوة تفجير ١٠٠٠طن متفجرات - يتعلق باختيار التفجيرات التقليدية التى قد تؤدى لاحقاً إلى تفجير نووى، وهى بالتالى على الطريق الصحيح.

وهذه التكنولوجيا الرئيسية فى صنع السلاح النووى- والرأس الصاروخى النووى على وجه الخصوص- ليست سهلة الحصول، ويحتاج التمكن فيها الحصول على خبرات ونتائج تجارب الدول الأخرى التى سبقت فى هذا المجال، ومن هنا جاءت أهمية التعاون النووى والصاروخى بين إيران وكوريا الشمالية، هذا مع افتراض امتلاك إيران الخبرة اللازمة فى تقرير وزن وحجم وشكل الرأس النووية اللازمة لتركيبها على كل نوع من أنواع الصواريخ.

تقاطع التجربة الكورية مع الأزمة النووية الإيرانية:

فرضت التجربة النووية الكورية تساؤلات كثيرة تقاطعت مع أزمة الملف النووى الإيرانى، أبرزها كيف لواشنطن أن تتهم طهران بانتهاكات لاتفاقية الحد من الانتشار النووى، لا دليل مباشر على وقوعها، فى وقت يقوم طرف آخر - هو كوريا الشمالية - بخرق نظام منع الانتشار النووى خرقا مباشراً وكاملاً؟، وكيف يصح الكلام عن عقوبات على إيران، بينما كوريا الشمالية تتحدى المجتمع الدولى بشكل صارخ، بل وتهدد بإجراء تجارب نووية وصاروخية أخرى فى حالة تنفيذ قرارات العقوبات ضدها؟، ومما لاشك فيه أن العقوبات التى أقرها مجلس الأمن ضد كوريا الشمالية طبقا للقرار ١٧١٨ ، وهى فى جوهرها تتعلق بمنع بيع أو تسليم مواد وأجهزة تدخل فى الصناعة النووية والصاروخية الى كوريا الشمالية، وتجميد الأرصدة المالية والموارد الاقتصادية على صلة ببرامج أسلحة الدمار الشامل الكورية، فضلا عن الامتناع عن بيع أو تسليم أسلحة ثقيلة إليها، وذلك بموجب المادة ٤١ من الفصل السابع والتى لا تشمل استخدام القوة المسلحة بحيث تقتصر العقوبات على جوانب اقتصادية وتجارية فقط ، هذه العقوبات لن تؤثر بشكل جدى على كوريا الشمالية المعرضة فعلا منذ سنوات لحصار وعقوبات لم تؤثر فيها رغم أن المجاعات هناك تسببت فى وفاة ملايين الأفراد، ورغم ذلك ظل النظام الشيوعى الحاكم هناك متماسكا وقابضا على السلطة بيد من حديد، ماضيا دون رادع أو خوف فى استكمال برامجه النووية والصاروخية، ومن ثم فان هذه العقوبات لا تعتبر جدية، الأمر الذى دفع كوريا الشمالية الى تحدى الجميع. ومن ثم فان الموقف لا يسوغ تصور شن عملية عسكرية ضدها، ولا حتى توجيه ضربات ضد منشآتها النووية.

وهذا الموقف بالنسبة لكوريا الشمالية يتطابق مع الموقف الإيرانى، حيث تتعرض إيران لنفس العقوبات والحصار من جانب الولايات المتحدة وبعض حلفائها، وإن كان قراراً من مجلس الأمن بفرض عقوبات اقتصادية وسياسية عليها لم يصدر بعد، إلا أنه متوقع فى القريب، ولكن إيران قد جربت العقوبات والحصار الاقتصادى والتجارى الأمريكى منذ بداية الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، وخاضت حرب الثمانى سنوات ضد العراق الذى كان يلقى دعما أمريكيا وعربيا ودوليا آنذاك، ولكنها صمدت وأصرت على تنفيذ برنامجها النووى والصاروخى رغم ما تتعرض له من مصاعب، ولديها من القدرات والامكانات الذاتية المادية والعسكرية ما يعينها على تحمل عقوبات جديدة والصمود فى مواجهتها.

وإذا كانت كوريا الشمالية وهى من أكثر دول العالم فقرا قد أمكن لها تحدى العقوبات والحصار وأصبحت دولة نووية خطيرة، فما بالنا بإيران الدولة الغنية بمواردها النفطية والزراعية الضخمة؟ واضعين فى الاعتبار أن الدولتين تحكمهما أنظمة حكم يمينية متشددة وديكتاتورية من الصعب التنبؤ بقراراتهما السياسية لغياب الرشادة فى عملية صنع القرار السياسى، وان اختلفت ايديولوجياتهما بين نظام شيوعى ماركسى فى كوريا الشمالية يسعى لبسط هيمنته فى الشطر الجنوبى من شبه الجزيرة الكورية، ونظام حكم اسلامى متطرف فى إيران يسعى بدوره لفرض هيمنته

على منطقة الشرق الأوسط .

لذلك فإن واشنطن وحلفاءها مضطرون إلى تأجيل الهجوم الدبلوماسى القوى على إيران إلى وقت تخفت فيه ضجة التجربة الكورية، وتمتص المناقشات فى شأنها دورات جديدة من اجتماعات مجموعة المفاوضات السداسية التى تضم الولايات المتحدة واليابان والصين وروسيا بالإضافة للكوريتين، والتى دعت واشنطن مؤخرا إلى استئنافها.

إلا أن لمجموعة المحافظين الجدد النافذين فى إدارة بوش موقفاً آخر متشدداً ومتطرفاً تجاه إيران، يتحكم فيه بشدة اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة . ويتمثل هذا الموقف فى سؤال يطرحه هؤلاء المحافظون حول جدوى الجهود الدبلوماسية فى حل المشكلتين النوويتين فى كوريا الشمالية وإيران، والتشكيك فى جدوى هذه الجهود الدبلوماسية التى دامت سنوات مع كوريا الشمالية من جهة، حيث لم تسفر المفاوضات السداسية عن شئ سوى مزيد من الابتزاز الكورى لكسب المزيد من الوقت لاستكمال برنامجها النووى والصاروخى حتى وصلت إلى إجراء التجربة النووية الأخيرة، فضلاً عن التجارب الصاروخية السابقة، ناهيك عن كسب المزيد اقتصادياً ومادياً بابتزاز جيرانها وهو نفس الموقف بالنسبة لإيران، حيث فشلت أيضاً الجهود الدبلوماسية التى بذلتها أولاً الترويكا الأوروبية منذ عام ٢٠٠٤ ومن بعدها مجموعة الدول (٥+١) دائمى العضوية فى مجلس الأمن وألمانيا فى إقناع طهران بإيقاف عمليات تخصيب اليورانيوم، رغم سلة الحوافز التى قدمت لها، ولذلك فهى فى الطريق لتلحق بالركب النووى لكوريا الشمالية، وليس من المستبعد أن تفاجئ إيران العالم بإجراء تجربة نووية هى الأخرى خلال عامين طبقاً لتقديرات أجهزة المخابرات الغربية، ومن ثم فإنه لا جدوى من الجهود الدبلوماسية التى يبذلها الأوروبيون ومجموعة المفاوضات (٥+١) فى إقناع طهران بتجميد برنامجها النووى، كما لن تفيد العقوبات فى تحقيق هذا الهدف، بل أنها ستزيد من عناد طهران على الإسراع فى استكمال برنامجها النووى لإظهار تحديها النووى، كما فعلت ليس فقط لكوريا الشمالية من قبل، ولكن باكستان أيضاً عندما تحدت العقوبات الدولية، وتحدت التفجيرات النووية الهندية الثلاثة عام ١٩٩٨، وأجرت باكستان فى المقابل خمس تجارب نووية آنذاك ذات قدرات متنوعة. وبالتالى - وطبقاً لنظرة مجموعة المحافظين الجدد فى إدارة بوش - أنه فى النهاية لا بديل عن التوجه مبكراً ومباشراً إلى العمل العسكرى ضد إيران لوضع حد لبرنامجها النووى والصاروخى بتدميره، قبل أن تتعدى الخط الأحمر وتصل إلى نقطة اللاعودة فى هذا البرنامج. ويصبح بالتالى تنفيذ عملية عسكرية ضد إيران من الصعوبة بمكان، كما هو حال الصعوبة التى تواجهها واشنطن اليوم فى شن عملية عسكرية ضد كوريا الشمالية.

مغزى الحشود العسكرية الأمريكية الأخيرة فى الخليج:

وربما يدعم هذا الاستنتاج ما تلقته مواقع اخبارية إسرائيلية على شبكة الإنترنت عن مراقبين دوليين قولهم أن تكهنات بقرب عمل عسكرى وشيك ضد إيران ظهرت عقب ما تردد من معلومات عن وضع حشود عسكرية أمريكية ضخمة بمنطقة الخليج وشرق المتوسط فى حالة استنفار قصوى، تبررها واشنطن بالاستعداد لمناورات جوية وبحرية كبرى فى الخليج العربى سيتم إجراؤها بمشاركة قوات دول أخرى فى المنطقة من بينها البحرين إلا أن تسريبات أمريكية وشرق أوسطية أكدت أن هذه الحشود تدخل فى إطار الاستعداد لتوجيه ضربات عسكرية فى العمق الإيرانى. وهو ما ردت عليه طهران على الجانب الآخر بإعلان حالة التأهب القصوى والاستنفار لجميع قواتها العسكرية وشبه العسكرية فى منطقة الخليج، بدءاً من الأسطول وسلاح الجو وتشكيلات القوات البرية من المشاة والمدرعات مروراً بقوات الحرس الثورى، وانتهاء بوحدات متطوعى (الباسيج). ووفقاً للتقارير الإسرائيلية فإن القرار العسكرى الأمريكى فى هذه المرة تجاه طهران لن يتأجل كثيراً من أجل منح فرصة أخرى للمفاوضات الدبلوماسية مثلما كان الوضع مع كوريا الشمالية، وما يؤكد هذا ويفسره أن تجهيز واشنطن لقواتها وأساطيلها فى منطقة الخليج جاء بعد أيام قليلة فقط من إعلان كوريا عن تجربتها النووية الأولى، وموافقة مجموعة دول (٥+١) على إعداد قرار يعرض على مجلس الأمن بفرض عقوبات على إيران. يتضح هذا بوضوح فيما ذكره متحدث أمريكى أن من أهم أهداف المناورة الأمريكية فى ٣١ أكتوبر ٢٠٠٦ هو إظهار التصميم العسكرى الأمريكى ضد طهران، ومعارضة نشر الأسلحة النووية. حيث ترى واشنطن أنه لا وقت للتفاوض مع الإيرانيين بل أن استخدام القوة العسكرية هو الحل الأمثل لتطبيق العقوبات ضدهم، وأن تضييع المزيد من الوقت سيكسب إيران فرصاً متعددة ستستغلها فى إشعال الشرق الأوسط عامة ومنطقة الخليج خاصة، سواء داخل العراق أو سوريا وكذلك فى لبنان وأيضاً على الحدود مع إسرائيل. ومن أهم الوحدات التى يعكس استدعاؤها وجود شئ ما تعدله واشنطن (وحدة قوة المهام الخاصة) بالإضافة لمجموعة حاملة الطائرات (إيزنهاور us) وأن موضوع المناورة هو

التدريب على توقيف السفن، وإجراء تفتيش دقيق لها للبحث عن أسلحة دمار شامل وصواريخ، وهو جوهر قرار مجلس الأمن ١٧١٨ المتخذ بفرض عقوبات ضد كوريا الشمالية، وينتظر استصدار قرار مماثل يحمل نفس العقوبات ضد إيران.

وكان إيهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل قد عقد مؤخراً اجتماعاً خاصا لبحث الأزمة النووية الإيرانية، شارك فيه وزراء الدفاع والخارجية والأمن الداخلى ونائب رئيس الوزراء شيمون بيريز، بالإضافة لقادة أجهزة المخابرات العامة (الموساد) والعسكرية (أمان) والأمن العام الداخلى (شين بيت)، وجدعون فرانك رئيس لجنة الطاقة النووية. وقد استمع الحاضرون إلى آخر تقارير أجهزة المخابرات بشأن ما وصل إليه البرنامج النووى الإيرانى وتوقعاتهم حول توقيتات إنجازاته الرئيسية، كما استعرضوا توصيات اللجنة المشكلة برئاسة رئيس الموساد (مئير واجان) والتى خولها شارون رئيس الوزراء السابق معالجة الملف النووى الإيرانى. وقد اقترحت هذه اللجنة فى توصياتها تأييد فرض عقوبات على إيران وليس مواصلة الاتصالات معها، وأنه يتعين على إسرائيل العمل على إقناع الدول الأعضاء فى مجلس الأمن بفرض عقوبات صارمة على إيران وليس استمرار المفاوضات مع طهران مثلما يقترح ذلك دول الاتحاد الأوروبى وروسيا والصين، كما أوصت اللجنة أيضاً بدراسة وفحص طرق تعامل المجتمع الدولى مع كوريا الشمالية. وحسب تقديرات اللجنة الأمنية الإسرائيلية فإن التجاهل وإظهار الضعف من قبل دول العالم إزاء التحديات الكورية هو الذى شجعها على إجراء تجربتها النووية الأخيرة، وهو الذى سيشجع إيران على الاستخفاف بالتهديدات التى يطلقها الغرب ضدها. وفى نهاية المطاف توصلت هذه اللجنة إلى خلاصة مهمة مفادها أنه لن يكون بالإمكان منع إيران من التسلح بأسلحة نووية، إلا أن هجوماً عسكرياً أمريكياً واسعاً من شأنه أن يؤخر تحقيق الطموحات النووية الإيرانية لفترة طويلة.

واشنطن تدرس عواقب محور سورى - إيرانى - كورى شمالى:

تدرس بعض الجهات العسكرية فى القيادة الأمريكية أوجه التعاون القائمة بين كوريا الشمالية من جهة وكل من إيران وسوريا من جهة أخرى، وذلك فى محاولة لتحديد احتمال وجود تحالف استراتيجى فيما بينهم، وهو ما قد يضع واشنطن وحلفاءها فى الغرب أمام محور إيرانى - سورى - كورى شمالى، ويضطرها إلى إعادة حساباتها ومخططاتها العسكرية كافة. وتستند هذه الجهات فى شكوكها وتحليلاتها إلى عدة معطيات ووقائع أهمها وجود معلومات استخبارية شبه مؤكدة عن وجود خبراء إيرانيين فى كوريا الشمالية وقت إجراء التجارب الصاروخية والنووية الأخيرة، ومساهمة كوريا الشمالية فى بناء الترسانة الصاروخية لكل من سوريا وإيران، سواء بالإمداد المباشر بالصواريخ (سكود - بى) و(سكود - سى) لسوريا وإيران، أو بإمدادهما بتكنولوجيا تصنيع هذه الصواريخ، إضافة لإمداد إيران بتكنولوجيا الصاروخ (نودونج - ١) الذى يعتبر أصل الصاروخ الإيرانى (شهاب - ٣). هذا إلى جانب قيام كوريا الشمالية بتزويد كل من إيران وسوريا بتكنولوجيا الاتصالات والرادارات اللازمة لأنظمة الدفاع الجوى والقيادة والسيطرة. وكانت البحرية القبرصية قد اعترضت فى شهر سبتمبر الماضى سفينة شحن تنقل أنظمة رادار عسكرية من كوريا الشمالية متجهة إلى سوريا، وسمح لها باستكمال رحلتها. كما توجد شكوك حول قيام كوريا الشمالية بتقديم تكنولوجيا تصنيع الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية لكل من إيران وسوريا. هذا إلى جانب مساهمة كوريا الشمالية فى البرنامج النووى العسكرى السرى لإيران، حتى أن أحد المنشقين الإيرانيين كشف فى أغسطس ٢٠٠٢ أن إيران هربت رأسين نوويين إلى كوريا الشمالية فى هذا الشهر من عام ٢٠٠٢، بعد أن تم إنتاجهما وتركيبهما فى إيران عبر اتفاق سرى بين طهران وبيونج يانج تم إبرامه، فى يوليو ٢٠٠٢، بل ووصل الأمر إلى قيام هذا المنشق بتحديد خط سير الرأسين النوويين فى ١٤ أغسطس ٢٠٠٢، وقد تأكدت المخابرات الأمركيية من صحة هذه المعلومات والتى نشرتها الصحف الإسرائيلية نقلاً عن مصادر المخابرات العسكرية الإسرائيلية (أمان) فى ٢٠٠٢/١١/١٥، كما أفاد المنشق الإيرانى أن كوريا الشمالية قامت ببناء مراكز نووية سرية بعيداً عن المنشآت النووية الإيرانية الخاضعة لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة. وأن مركز (ناتانز) لتخصيب اليورانيوم يوجد بداخله منشآت أخرى سرية مقامة تحت الأرض بها مئات من الإيرانيين والكوريين الشماليين العاملين فى برنامج تخصيب اليورانيوم بأجهزة الطرد المركزى، ويرأس هذا المركز العالم النووى الإيرانى (داوود أجهاجاى). أما المركز النووى الإيرانى الآخر الذى يتواجد به أعداد من الكوريين الشماليين فهو المقام فى مدينة (آراك) والذى افتتح فيه منذ شهرين مصنع إنتاج الماء الثقيل، وهو يقع على مسافة ٢٢٠ كم جنوب طهران، ويطلق عليه (مفاعل القطران) ويشرف عليه المهندس الإيرانى (درويش شيب نى).

ولأن الأساس التقنى للبرنامج النووى الإيرانى يختلف عن البرنامج النووى الكورى الشمالى، حيث يعمل الأول

بنظرية تخصيب اليورانيوم لإنتاج اليورانيوم ٢٣٥ عالى التخصيب بواسطة أجهزة الطرد المركزى، بينما يعمل البرنامج النووى الكورى بنظرية فصل البلوتونيوم ٢٣٩، فإن هناك تبادلا فى الخبرات التنفيذية بين البلدين، حيث تمد إيران كوريا الشمالية بتقنية تخصيب اليورانيوم بأجهزة الطرد المركزى P-1، P-2 التى تصنعها إيران محلياً نقلاً عن العالم الباكستانى عبد القدير خان، فى حين تمد كوريا الشمالية إيران بتقنية فصل البلوتونيوم ٢٣٩، وهو ما برزت نتائجه مؤخراً فى إقامة مصنع الماء الثقيل فى آراك واللازم لتبريد مفاعل فصل البلوتونيوم الذى يجرى بناؤه قريباً من هذا المصنع فى آراك اعتماداً على خبرة كوريا الشمالية. لذلك تعتقد أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية بوجود تشابه كبير فى عمليات الخداع التى تمارسها كل من كوريا الشمالية وإيران لتضليل مفتشى الوكالة الدولية عن اكتشاف حقيقة البرامج النووية السرية للبلدين.

أما فيما يتعلق بسوريا فإن دورها فى هذا المحور برز مؤخراً فى حرب لبنان، وذلك من خلال تمرير الصواريخ الإيرانية عبر أراضيها إلى حزب الله فى لبنان، وهى التى تم بها ضرب المدن الإسرائيلية. وفى اعتقاد أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية أنه لا يزال فى حوزة حزب الله كميات ضخمة تقدر بمئات الصواريخ (زلزال ١، زلزال ٢) التى يتعدى مداها ١٥٠ كم، ولم يستخدم فى حرب لبنان الأخيرة لسيطرة طهران عليها، ولأن أطقم تشغيلها إيرانية تتلقى تعليماتها من هناك. إلا أنه من المؤكد فى حالة تعرض إيران لعملية عسكرية من قبل الولايات المتحدة أو إسرائيل أو كليهما، فإن حزب الله بأوامر من طهران سيستخدم مخزونه من صواريخ (زلزال ١، ٢) فى قصف المدن الإسرائيلية التى ستتعرض أيضاً للقصف من جانب الصواريخ (شهاب - ٣) فى إيران، وهو ما سيؤدى إلى تشتيت الدفاعات الصاروخية الإسرائيلية بين اتجاهين استراتيجيين، خصوصاً إذا ما اعتمدت إيران وحزب الله استراتيجية (الإغراق الصاروخى) فى قصف الأهداف الاستراتيجية الإسرائيلية. ويزداد الأمر سوءا بالنسبة لإسرائيل إذا ما تدخلت سوريا فى الحرب واستخدمت صواريخها أيضاً فى قصف الأهداف الإسرائيلية، وذلك فى إطار اتفاقية الشراكة الاستراتيجية التى وقعها وزيرا الدفاع الإيرانى والسورى فى بداية هذا العام فى دمشق.

فإذا ما قررت واشنطن اليوم شن عملية عسكرية ضد إيران طبقاً لما هو مخطط، فلابد أن تضع فى اعتبارها احتمالات رد الفعل الكورى الشمالى والسورى، لأنه سيكون من صالح كل من بيونج يانج ودمشق استغلال مثل هذه الفرصة لزيادة تشتيت جهود الولايات المتحدة بين ثلاثة اتجاهات استراتيجية مختلفة، وهو ما سيدفع واشنطن إلى إحكام الحصار البحرى والبرى والجوى على الثلاث دول، سواء من خلال قرارات بفرض عقوبات من قبل مجلس الأمن على كل من كوريا الشمالية، أو بواسطة قوات اليونيفيل الدولية العاملة فى لبنان ومياهها الإقليمية خصوصاً فى المناطق الحدودية بين لبنان وسوريا، وأمام السواحل السورية، وهو مغزى المناورات البحرية التى جرت فى الصيف الماضى بين الأسطول السادس الأمريكى وكل من البحرية الإسرائيلية والبحرية التركية فى شرق المتوسط، والتى كانت أبرز موضوعاتها فرض حصار بحرى على الموانئ السورية الرئيسية فى اللاذقية وطرطوش، ومنع وصول أى إمدادات بحرية لها، وتفتيش السفن القادمة إليها والخارجة منها.

توقعات واستنتاجات:

مما لا شك فيه أن معاقبة كوريا الشمالية تحتم فى النظرة الأمريكية ضرورة معاقبة إيران، لتظهر الدول الكبرى التى تحتكر السلاح النووى أنها تحتكم إلى معيار واحد فى التصدى لمن يحاول انتهاك اتفاقية الحد من الانتشار النووى "باستثناء إسرائيل بالطبع لكونها غير موقعة على هذه الاتفاقية لذلك فإن دور إيران بعد كوريا الشمالية آت سريعاً، بعدما فشلت جميع الجهود الدبلوماسية وسلة الحوافز التى قدمتها مجموعة دول (٥-١) فى إقناع طهران بتجميد برنامجها لتخصيب اليورانيوم، وخشية هذه الدول من أن تكسب إيران من خلال لعبة المفاوضات المفتوحة - الوقت الذى تحتاجه لتفاجئ العالم بتجربة نووية إيرانية كالتى أجرتها كوريا الشمالية مؤخراً. ومن هنا جاء التحريض الإسرائيلى لواشنطن على الإسراع باللجوء إلى الخيار العسكرى إذا ما تحدت طهران العقوبات التى سيفرضها مجلس الأمن عليها، وللتعويض عن إخفاقات الإدارة الأمريكية فى العراق وأفغانستان. وإذا كانت بيونج يانج تملك القدرة على توريط واشنطن عند أى احتكاك غير مكترثة بالثمن، فإن القيادة الإيرانية بدورها تلوح أيضاً بمثل ذلك من خلال إشعال جبهات أخرى بجانب الخليج تشمل لبنان وفلسطين بواسطة حزب الله وحماس، بل وفى السودان والصومال أيضاً.

توازن إيران وتقارن بين المكاسب والخسائر فى تحديها لواشنطن بالاستمرار فى برنامجها لتخصيب اليورانيوم حتى تحقق أهدافه النهائية. حيث تتمثل المكاسب فيما تعتقده بأن حيازتها لسلاح نووى يؤمن لها تحقيق توازن الرعب مع إسرائيل، ويدفع الأخيرة إلى

الإقرار بحقوق الشعب الفلسطيني، وأن مثل هذا التعادل فى القدرات العسكرية قد يمهد الطريق إلى مفاوضات متكافئة كما حدث بين الهند وباكستان عقب حيازة الدولتين على قدرات نووية وصاروخية متشابهة. أما الخسائر فتبدو إيران أنها غير مهتمة بالعقوبات الاقتصادية التى تلوح بها واشنطن على اعتبار أن علاقاتها التجارية مرتبطة بمناطق بعيدة عن النفوذ الأمريكى. إضافة إلى هذا، فإن مجلس الأمن لا يستطيع تمرير عقوبات عسكرية ضد إيران فى حال أبعد هذه العقوبات العسكرية عن كوريا الشمالية. ويبدو أن إسرائيل قد تنبهت إلى خطورة هذا المأزق بدليل أن زعيم حزب الليكود ناتنياهو تحدث عن ضربة وقائية استباقية لأن الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد لا يكف عن التهديد بإزالة إسرائيل أو طردها من المنطقة، وهو الأمر الذى دفع رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت أثناء زيارته الأخيرة لموسكو أن يطلب من الرئيس الروسى بوتين التوسط مع طهران من أجل وقف حملاتها ضد إسرائيل. ومثل هذا الطلب يعكس طبيعة الإرباك الأمنى الذى تعيشه إسرائيل فى ظل التهديدات الآتية من دول المنطقة، إضافة إلى دول أخرى فى آسيا وأمريكا اللاتينية، وهو ما انعكس فى مؤتمر كوبا الأخير والذى تحول إلى مؤتمر لمهاجمة الولايات المتحدة وإسرائيل. وهو ما يعنى فى التحليل الاستراتيجى أن قراراً بشن عملية عسكرية ضد إيران لن يرى النور فى مجلس الأمن بسبب المعارضة الشديدة له، وحتى لو اتخذ مثل هذا القرار خارج نطاق مجلس الأمن فإن المصالح الأمريكية والإسرائيلية على الساحة العالمية ستتعرض لمخاطر شديدة، وفى كلتا الحالتين فإن التحدى الذى أظهرته بيونج يانج للولايات المتحدة بإجرائها التجربة النووية الأخيرة، سيشجع طهران وربما غيرها من الدول فى مقدمتها تركيا وسوريا على المضى قدما فى تبنى برامج نووية عسكرية، وربما يكون هذا هو السبب فى إعلان مصر عن نواياها لاستئناف برنامجها النووى للأغراض السلمية.

أما على الجانب الأمريكى فإن هناك قواعد عامة تحكم الاستراتيجية الأمريكية فى التعامل مع كلا الملفين النوويين الكورى والإيرانى، وأولى هذه القواعد هى قاعدة التنسيق الدائم مع الدول الصديقة المجاورة للدولة (اليابان وكوريا الجنوبية) فيما يتعلق بكوريا الشمالية، و(دول الخليج العربية وتركيا وبلدان آسيا الوسطى) فيما يتعلق بإيران. وثانيها الإصرار على العمل عبر إجماع دولى، أما ثالث هذه القواعد فهو إعطاء الأولوية للوسائل الدبلوماسية حتى استنفادها تماما قبل التفكير فى أى بدائل تعتمد على العنف. وقد قطعت الإدارة الأمريكية شوطا كبيرا فى تطبيق هذه القواعد. كما نجحت واشنطن فى دفع موسكو وبكين لاتخاذ مواقف مناهضة نسبيا لكل من كوريا الشمالية وإيران، وهو ما انعكس فى تصويتها لصالح قرار مجلس الأمن ١٧١٨ بإدانة كوريا الشمالية وفرض المرحلة الأولى من العقوبات عليها، وهو ما ينتظر تطبيقه على الحالة الإيرانية.

ورغم أن جماعة المحافظين الجدد يدعون بسرعة لشن ضربة استباقية ضد إيران حتى لاتصل إلى ما وصلت إليه كوريا الشمالية من نجاح بتجربتها الأخيرة، ويبررون ذلك بأن ما حدث فى العراق من فشل لن يتكرر لأن العملية العسكرية ضد إيران ستعتمد فقط على ضربات جوية وصاروخية دون الزج بقوات برية أمريكية فى المستنقع الإيرانى، ناهيك عن أن عددا من الدول الأوروبية لن تشارك فى فرض عقوبات على إيران، إلا أن هناك فى المقابل داخل الإدارة الأمريكية من يختلف مع هذا الفصيل المتشدد من المحافظين الجدد، ويرون أن استخدام القوة لن يوقف البرنامج النووى الإيرانى، بل سيعجل من توجيهه نحو الوجهة العسكرية. ذلك أن المواقع النووية والصاروخية الإيرانية مبعثرة وبعضها غير معروف لدى المخابرات الأمريكية، ثم إنه لايوجد شئ اسمه تحقيق هدف عسكرى من هذا القبيل باستخدام الهجمات الجوية والصاروخية فقط، فقد حاولت إسرائيل ذلك أخيرا مع حزب الله فى لبنان بهدف تدميره والتخلص من ترسانته الصاروخية وفشلت فى ذلك، فبدون استخدام فاعل وحاشد ومكثف للقوات البرية لايمكن تحقيق مثل هذا الهدف، لا مع إيران ولا مع كوريا الشمالية ولا مع أى دولة أخرى، ناهيك عن ردود الفعل الكارثية المتوقعة من قبل الصواريخ شهاب الإيرانية خصوصا ضد القوات الأمريكية فى العراق، مع تأكيد إيران قدرتها على إغلاق مضيق هرمز فى وجه ناقلات النفط التى تنقل ٢٠٪ من احتياجات السوق العالمى من النفط.

لذلك من المعتقد أن الولايات المتحدة ستعود مرة أخرى إلى مبدأ الردع الذى أتقنت الإدارات الأمريكية المتتابعة خلال الحرب الباردة تفصيلاته، وثمة خطوات محددة ستتخذها إدارة بوش تحت عنوان سياسة الردع. وستكون الخطوة الأولى هى التأكد من أن الإيرانيين ينبغى أن يدركوا جيدا أن إمتلاك سلاح نووى لن يفيدهم من الزاوية العملية، وأن الفائدة الوحيدة قد تكون فى تقديم ذلك كانتصار وطنى لشعبهم، ولكن الزهو الوطنى بذلك قد يستمر طويلا لأن الناس سيعودون للاهتمام بمشاكلهم وهمومهم الاقتصادية والاجتماعية القائمة على أرض الواقع، والتى تشكل فى

الحقيقة تهديدا داخليا لنظام حكم الملالى، وهو ما ينبغى لهذا النظام أن يعطيه أولوية عن البرنامج النووى إذا أراد لنفسه الاستمرار فى حكم إيران. كما أن تلويح إيران باستخدام سلاحها النووى كرادع للدول المجاورة لها أو الموجودة فى الدائرة الاقليمية مثل إسرائيل - سيكون بدون قيمة عملية، لأنه سيواجه بتلويح مضاد من قبل الولايات المتحدة وحلفائها فى المنطقة (إسرائيل) باستخدام نفس السلاح النووى ولكن بصورة تزيد مائة مرة عما يمكن أن يفعله الإيرانيون بسلاحهم النووى البدائى، وبالتالى فإن استخدام إيران لمثل هذا السلاح سيواجه باستخدام مقابل من قبل الولايات المتحدة وحلفائها ولكن بصورة تزيد مائة مرة عما يمكن أن يفعله الإيرانيون، بمعنى آخر أن على الإيرانيين - فى النظرة الأمريكية - أن يدركوا أنه لن يكون السلاح النووى الإيرانى مفيدا لا فى الابتزاز عبر التلويح به أولا، ولا فى استخدامه لاحقا. وهو ما ينبغى شرحه وإفهامه للشعب الإيرانى عبر وسائل الإعلام الأمريكية والأوروبية حتى يكون الشعب الإيرانى نفسه مدركا لحقيقة المهالك، الممكن أن يتعرض لها إذا ما أقدمت حكومته على التلويح باستخدام ما يمكن أن تمتلكه فى المستقبل من أسلحة نووية، أو فى حالة استخدامها. وعندما تصل الجماهير الإيرانية لهذه القناعة فإنها هى التى ستجبر حكومتها على تجميد برنامجها النووى، حيث لن يكون هناك عائد من الاستمرار فى الإنفاق عليه وتبذير الأموال فيما لا طائل من ورائه، وتوجيهها لما يعود على الشعب الإيرانى بمكاسب اقتصادية واجتماعية.

وستكون الخطوة الثانية فى سياسة الردع الأمريكية، نابعة من الحكمة السياسية القديمة التى تقول: "إن من الضرورى أن تضع سياسة يقبلها الآخرون إذا كنت تريدهم أن يقفوا معك". ومن ثم فإنه ينبغى فى النظرة الأمريكية أن توضح واشنطن للجميع أن همها الأساسى هو ألا تملك إيران سلاحا نوويا، وأن امتلاكها لهذا السلاح سيترتب عليه نتائج خطيرة يتعين الاتفاق علي منعها دوليا بصورة مسبقة. لأنه مع افتراض التوصل الى اتفاق مع طهران، فإن الإيرانيين سيواصلون العمل فى برنامجهم النووى السرى مهما فرضت الوكالة الدولية للطاقة الذرية عليهم من تفتيشات وقيود، إلا أن إيران وأى دولة أخرى لن تطمئن إلى سلامة سلاحها النووى الذى صنعته دون أن تجربه، وإذا كان من الممكن إخفاء برنامج الإعداد لهذا السلاح فإنه من المستحيل إخفاء تجربته بعبارة أخرى فإن العالم لابد سيعرف أن إيران جربت سلاحا نوويا لحظة أن تفعل ذلك. ومن ثم لابد من اتفاق واشنطن مع حلفائها مسبقا حول نوعية رد الفعل الذى ستقوم به آنذاك، وابلاغ الإيرانيين به مسبقا وقبل إجراء التجربة النووية الإيرانية بوقت كاف كواحدة من وسائل الردع.

أما الخطوة الثالثة فى سياسة الردع الأمريكية تجاه إيران فتتمثل فى الكف عن الحديث عن البرنامج النووى الإيرانى وأخطاره المتخيلة. لأن مثل هذا الحديث يزيد من الوزن التفاوضى للورقة الإيرانية، فضلا عن أن ذلك يتناقض مع الحقيقة، وهى أن السلاح النووى الإيرانى وأخطاره المتخيلة. -شأنه شأن السلاح النووى الكورى الشمالى - سيظل حتى فى حال الوصول إليه سلاحا للزهو الوطنى وليس وسيلة للابتزاز أو الهجوم، فضلا عن ذلك فإنه ليس دفاعيا أيضا، حيث لايوجد هناك لا فى الدائرة الاقليمية ولا فى الدائرة الدولية من يفكر فى غزو إيران واحتلالها، وأنه حتى مع افتراض نجاح السياسية الأمريكية فى إثارة الجبهة الداخلية ضد نظام حكم الملالى فى إيران، فإن وسيلة هذا النظام فى الدفاع عن نفسه لن تكون بأى حال هى السلاح النووى.

وأخيرا تأتى الخطوة الرابعة فى سياسة الردع الأمريكية، وهى زيادة الطاقة النووية الأمريكية فى الدول الصديقة للولايات المتحدة فى المنطقة، لاسيما تلك الدول المحيطة بإيران فى الخليج وآسيا الوسطى وجنوب آسيا، وجعل هذه الطاقة النووية ظاهرة للعيان. إذ من شأن ذلك أن يردع عناصر من داخل النظام الإيرانى نفسه خوفا عليه وحرصا على استمراره. فإذا ما كان هناك إصرار من جانب المتشددين فى نظام حكم الملالى فى إيران على امتلاك سلاح نووى والتلويح به من آن لآخر، فإنه سيكون فى المقابل داخل نفس النظام مسئولون إيرانيون سيعارضون ذلك مستندين الى وجود قوة ردع نووية أمريكية مضادة ممكن أن يؤدى استخدامها ضد إيران الى دمار شامل لحضارة عمرها ٥٠٠٠ سنة. وهنا تبرز أهمية التجربة النووية الكورية باعتبارها فى النظرة الأمريكية لن تؤدى إلى أى فوائد للكوريين فى الشمال، بل على العكس ستؤدى الى ضرر بالغ بهم على المستويات الاقتصادية والتنموية، لذلك ستحرص الإدارة الأمريكية على تسميع ذلك جيدا للإيرانيين ومتابعتهم لما يجرى ضد كوريا الشمالية بفعل العقوبات المقررة ضدها، والتى سيجرى التصعيد فيها تدريجيا. ولقد بدأت الإدارة الأمريكية فعلا فى تسريب معلومات عن وجود حوالى ٩٠ قنبلة نووية تكتيكية فى قاعدة انجرليك التركية القريبة من إيران، وأن الأسطول الأمريكى الخامس فى الخليج يحمل صواريخ كروز مسلحة برؤوس نووية، فضلا عن قرار الكونجرس بالسماح للإدارة الأمريكية باستخدام

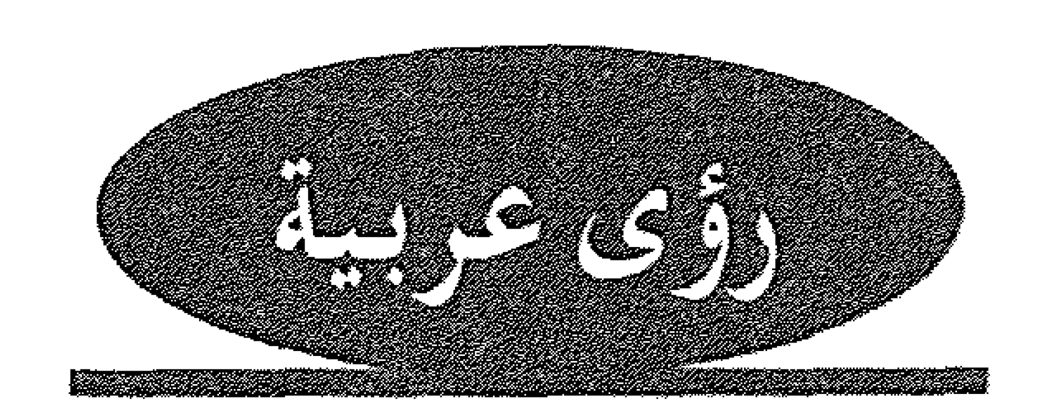
الأسلحة النووية التكتيكية فى حروبها الاستباقية، وذلك لأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة.

ومن الآثار المترتبة على التجربة النووية الكورية، ما أحدثته من تصدع داخل المجتمع الأمريكى، خصوصا بين الحزبين الجمهورى والديمقراطى. ومع أن الديمقراطيين يتمسكون بسياسة الخطر النووى، وأن الحروب التى افتعلتها إدارة بوش فى افغانستان والعراق وتسببت فى خسائر بشرية جسيمة للجنود الأمريكيين، ساعدت على تنامى النقمة ضد النفوذ الأمريكى فى كل مكان، واتهام الديمقراطيين للإدارة الأمريكية، ساعدت على تنامى النقمة ضد النفوذ الأمريكى فى كل مكان، واتهام الديمقراطيين للإدارة الأمريكية بفشل سياستها تجاه كوريا الشمالية وإيران، وأنها زادت من حجم الإرهاب الذى تواجهه الولايات المتحدة وحلفائها فى أوروبا وآسيا، وخلقت بؤراً إرهابية جديدة فى فلسطين ولبنان والصومال. وإذا كان خيار الانقلابات العسكرية هو الذى قررته الإدارة الأمريكية أخيرا لفرض سيطرتها على الدول المعرضة لهذا الخطر - كما حدث فى تايلاند مؤخرا- وتريد واشنطن ضبط مثل هذه الدول تحت مظلة العسكر، وهو تجديد للسياسة الأمريكية التى اتبعها جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية الأسبق فى خمسينيات القرن الماضى، فقد أثبتت التجارب أن مثل هذه الأنظمة الديكتاتورية التى يحكمها العسكر لا تملك العصب الأمنى المركزى القادر على ضبط الأمور، بقدر ما يتولد عنها من ميلشيات وعصابات تشيع الإرهاب والفوضى فى البلاد، وتولد بالتالى ميلشيات مضادة وثورات شعبية عارمة تطيح بهذه الأنظمة التى يرأسها العسكر.

وهنا يبرز سؤال مهم حول السبب فى رفض الإدارة الأمريكية إجراء مفاوضات ثنائية مباشرة مع كل من كوريا الشمالية وإيران. وتفضل - كما أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس- استعدادها شخصيا للجلوس مع القيادة الإيرانية فى إطار مجموعة الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن، بالإضافة لألمانيا، وفى إطار المفاوضات السداسية مع كوريا الشمالية. واعتبار واشنطن أن ذلك هو أثمن هدية يمكن أن تقدمها للدولتين فى إطار رزمة الترغيب، حقيقة الأمر أن واشنطن تريد ثمنا مقابلا للحديث الثنائى مع أى من الدولتين وذلك قبل بدئه، حيث ترى فى المباحثات الثنائية المباشرة مع أى من طهران وبيونج يانج الورقة الأثمن الأكبر، ولاتريد واشنطن هدرها فى مهاترات دبلوماسية، ولكنها مستعدة لصرفها بمقابل مضمون مسبقا وليس لمجرد الترغيب.

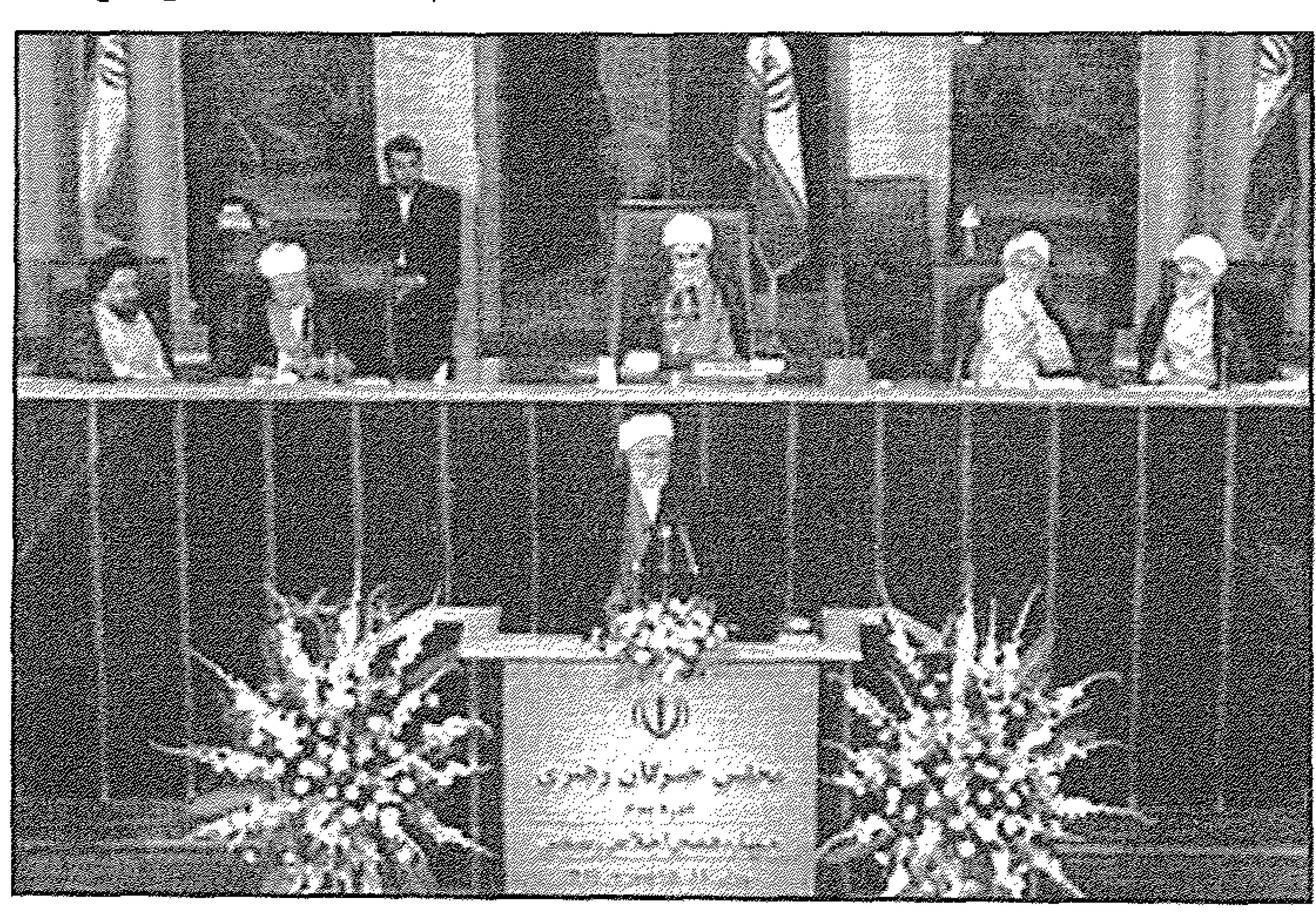
وهنا يبرز السؤال الثانى هو: هل تنظر القيادة الإيرانية والقيادة الكورية الشمالية إلى التخاطب الثنائى مع الإدارة الأمريكية بالمستوى نفسه من الأهمية باعتباره ورقة مهمة تمثل اعترافا من واشنطن بالنظامين الحاكمين فى طهران وبيونج يانج، ومن ثم ضمانة بعدم تهديد واشنطن لأى منهما فى المستقبل، أم أن طلب التفاوض المباشر هدفه المواربة فقط؟ ويستتبع ذلك طرح السؤال الثالث وهو: لماذا يفترض أن الصين وروسيا تودان تسهيل العلاقة الثنائية المباشرة لطهران وبيونج يانج مع واشنطن، فى الوقت الذى تمتلكان فيه المفاتيح إلى النوافذ والأبواب إلى الملفين النوويين الكورى والإيرانى، وما يمثله ذلك من ثقل ومكاسب سياسية واقتصادية لكل من موسكو وبكين، ومن ثم فمن مصلحتهما أن يكون تخاطب الولايات المتحدة مع كل من إيران وكوريا الشمالية من خلال الصين وروسيا؟ هنا تبرز المعضلة التى تواجهها إدارة بوش. فمن المفترض أن تحرص هذه الإدارة على التخاطب المباشر مع كل من طهران وبيونج يانج، ليس فقط لأن ذلك سيعمل على حلحلة ملفات أخرى تهم واشنطن مثل الملف العراقى والافغانى واللبنانى إضافة إلى ملفات النفط والإرهاب وانتشار الدرع الصاروخية الأمريكية .. إلخ، والمقايضة فى كل هذه الموضوعات ، باعتبار أن واشنطن من خلال الحديث الثنائى المباشرة ستعرف (من فم الحصان) ماذا تريده كل من طهران وبيونج يانج وسيجرد كلا من موسكو وبكين من الحصول على مزايا الوساطة التى يقومان بها بين واشنطن والنظامين الحاكمين فى طهران وبيونج يانج ، وهو ما يصب أيضا فى المصلحة الأمريكية، ويحرم روسيا والصين من مزايا استراتيجية واقتصادية يحصلان عليها بموجب هذه الوساطة.

حقيقة الأمر أن ما يعيق إدارة بوش عن فهم وإدراك كل هذه الحقائق هو وقوعها فى الإعجاب بما أطلق عليه بوش "محور الشر" ، ويزيد عيوب بوش أنه لا يندم ولا يتراجع ولا يقر بخطئه صراحة، لذلك فان كل ما تقوم به إدارته لتصحيح أخطائها هو القيام بعمليات ترقيع هنا وهناك، وليس استراتيجية فاعلة تنطلق من تصحيح خطأ فادح هو التعامل مع بغداد وطهران وبيونج يانج باعتبارهم محور شر. كما لا يوجد أيضا استراتيجية أمريكية قادرة على التصدى الجدى لسياسة روسية وصينية ماضية فى وضع العلاقة المميزة مع إيران وكوريا الشمالية فى مرتبة أعلى من علاقاتهما مع الولايات المتحدة، وذلك فى إطار تسابق الدول الكبرى على احتلال مواقع متميزة على الساحة الدولية.



انتخابات الخبراء: ولوج فى خيارات صعبة

■ **محمد عباس ناجى**
باحث متخصص فى الشئون الإيرانية



مؤشرات عديدة تؤكد أن انتخابات الدورة الرابعة لمجلس خبراء القيادة، وهو الهيئة المنوط بها تعيين وعزل المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، والمزمع إجراؤها فى ١٥ ديسمبر المقبل، بالتزامن مع انتخابات مجالس الشورى المحلية (البلديات)، والانتخابات التكميلية لمجلس الشورى الإسلامى (البرلمان) فى دوائر طهران والأهواز وبم، سوف تكون أحد أكثر الاستحقاقات الانتخابية أهمية وزخما منذ نجاح الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، خصوصا أنها تعد الاستحقاق الانتخابى الأول الذى تشهده إيران بعد انتخابات الدورة التاسعة لرئاسة الجمهورية التى أجريت فى يونيو ٢٠٠٥، وأسفرت عن فوز مرشح الجناح الأصولى من التيار المحافظ(ائتلاف ايثار كران) الدكتور محمود أحمدى نجاد على رئيس الجمهورية الأسبق رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام أكبر هاشمى رفسنجانى، وهو الفوز الذى كشف عن حقيقة مهمة مفادها أن الأصوليين باتوا يسيطرون على معظم مراكز السلطة فى إيران، بدءا من مجالس الشورى المحلية (البلديات)، مرورا بالسلطة التشريعية (مجلس الشورى الإسلامى)، والسلطة القضائية، وأخيرا السلطة التنفيذية. يضاف إلى ذلك سيطرتهم على مجلس صيانة الدستور، والمجلس الأعلى للأمن القومى، وأجهزة الإعلام، والقوات المسلحة، والاستخبارات، والحرس الثورى، وفوق ذلك كله يحظون بدعم من مؤسسة الإرشاد، بما يعنى درجة نسبية من التجانس بين مؤسسات الحكم، وهو ما يصب مباشرة فى اتجاه وحدة القرار السياسى، وتكريس التوجه اليمينى المتشدد فى التعاطى مع القضايا الخارجية وعلى رأسها الملف النووى والعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، والقضايا الداخلية وأهمها الديمقراطية والحريات العامة. لكن الأهم من ذلك كله هو انتهاء عهد الانقسام الحاد داخل النظام الإيرانى بين مؤسسات منتخبة (الحكومة ومجلس الشورى) يسيطر عليها الإصلاحيون، وأخرى غير منتخبة (السلطة

القضائية، ومجلس صيانة الدستور، ومجمع تشخيص مصلحة النظام) يسيطر عليها المحافظون، على نحو ما كان خلال فترتى حكم الرئيس السابق محمد خاتمى (١٩٩٧- ٢٠٠٥) الذى ظل طيلة هذه السنوات يعانى من تدخل المؤسسات غير المنتخبة التى يسيطر عليها المحافظون فى سياساته ووضع العقبات أمام الكثير من مشروعاته وطروحاته، وهو ما كان أحد أسباب خروج الإصلاحيين من السلطة فى النهاية.

هذا التحول فى توازن القوى داخل إيران أكسب انتخابات الخبراء القادمة أهمية خاصة لدى كل من القوى الإصلاحية والقوى المحافظة، حيث يسعى المحافظون الأصوليون إلى استكمال سيطرتهم على مجمل مؤسسات صنع القرار فى الدولة من خلال ضمان تحقيق أغلبية مريحة فى مجلس الخبراء. كما يسعون إلى أن تكون لهم الكلمة الفصل فى تحديد هوية المرشد القادم للجمهورية الإسلامية. فيما يبغى الإصلاحيون العودة مجددا إلى السلطة من خلال تحقيق نتيجة مرضية فى انتخابات الخبراء، واستعادة السيطرة على مجالس الشورى المحلية (البلديات) بعد أن فقدوها فى انتخابات فبراير ٢٠٠٣، بالإضافة إلى قطع الطريق على الأصوليين لاستكمال سيطرتهم على مؤسسات صنع القرار بما يوجه الدولة نحو مزيد من التشدد والانغلاق. وهذا الهدف بالتحديد هو ما دفع الرئيس السابق محمد خاتمى للتحذير من احتمال دخول أشخاص لا ينسجمون مع الثورة إلى مجلس الخبراء، وقال خلال استقباله جمعا من أعضاء المجالس المركزية لمنظمة مجاهدى الثورة الإسلامية: "إننى واثق من أن هذه العناصر لا تقبل لا بالقائد ولا بالثورة ولا بالدستور، وأشعر بالخطر الآن من تركيبة القوى بالنسبة لمستقبل الثورة الإسلامية؛ لأنه قد تأخذ عناصر لا تنسجم مع الثورة بزمام المبادرة فى مجلس الخبراء".

ويعكس الإعلان عن إجراء انتخابات مجلس الخبراء، بالتزامن مع انتخابات مجالس الشورى المحلية (البلديات)، والانتخابات التكميلية لمجلس الشورى (البرلمان) فى ١٥ ديسمبر المقبل، أمرين: الأول، هو بداية التطبيق العملى لمقترح حكومة الرئيس أحمدى نجاد والهادف لتجميع الانتخابات المتعددة بغية زيادة الفترة الزمنية بين كل عملية وأخرى، ودمج الانتخابات التكميلية ضمن الانتخابات الرئيسية بحيث تجرى مرة كل عامين بدلا من مرة كل عام ترشيدا للمصروفات العامة. والثانى، تجنب احتمال تقلص نسبة المشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء، على اعتبار أن المجلس الأخير ورغم محوريته وارتباطه بالنواحى الأيديولوجية للنظام السياسى، إلا أنه بعيد عن قضايا التشريع والخدمات والمباشرة السياسية، وبالتالى فإن محاولة زيادة معدل المشاركة الشعبية خلال الانتخابات القادمة، سيعنى استجلابا لأقصى حد للمشروعية السياسية للنظام الإيرانى.

معركة انتخابات مجلس الخبراء بدأت مبكرا مع التلميحات المتكررة من جانب بعض رجال الدين المحسوبين على الجناح الأصولى من التيار المحافظ بضرورة توافر صفة "الاجتهاد" فى المرشح لانتخابات مجلس الخبراء، ومنع بعض المرشحين الإصلاحيين الذين يمكن أن يشكلوا جبهة مقابلة لـ"خط الإمام" الذى يتزعمه رجل الدين محمد تقى مصباح يزدى من الترشيح، وهو أمر فى حالة حدوثه يمكن أن يكرر الأزمة التى شهدتها انتخابات الدورة السادسة لمجلس الشورى فى فبراير ٢٠٠٤، عندما رفض مجلس صيانة الدستور ملفات أكثر من ٢٦٠٠ مرشحا معظمهم من الإصلاحيين لأسباب فضفاضة وغامضة، وهو ما دفع الإصلاحيين إلى التهديد، على لسان وزير الداخلية السابق وعضو مجمع روحانيون مبارز عبد الواحد موسوى لارى بالانسحاب من الانتخابات القادمة فى حالة إقدام مجلس صيانة الدستور على رفض أهليتهم للترشيح. وفى هذا السياق، قال موسوى لارى: "إذا استبعد مجلس صيانة الدستور مرشحينا أو إذا صار واضحا انه لن تكون هناك أى منافسة حقيقية خلال الانتخابات، فإننا سنقاطعها"، مضيفا: " سنشجع الناس على التصويت، وإذا صوتوا، فسيعود الإصلاحيون إلى السلطة". وانتقد موسوى لارى أن تكون جهة سياسية واحدة هى التى تشرف على الانتخابات، أى مجلس صيانة الدستور، وتنظمها وزارة الداخلية، قائلا: "طالما يملك الاثنان الرؤية نفسها إلى الأمور، يخشى الإصلاحيون ألا تكون للانتخابات المقبلة أى قيمة"، مشيرا إلى وجود تناقض فى واقع قيام المرشد الأعلى بتعيين أعضاء مجلس صيانة الدستور وقيام هؤلاء بالبت فى

الترشيحات إلى جهاز مكلف بالتصنيف والإشراف على عمل المرشد نفسه. كما انتقد واقع اقتصار حق الترشح إلى مجلس الخبراء على الفقهاء، مقترحا السماح للنساء بالترشح أيضا وقال: "لم يرد فى أى مكان فى الدستور أن الفقهاء وحدهم يمكنهم الترشح إلى مجلس الخبراء".

استعدادات القوى السياسية الإيرانية لانتخابات مجلس الخبراء يمكن حصرها فى اتجاهين: أولهما، الفرز المستقل لكل فريق داخل التيارين العريضين: الإصلاحى والمحافظ. وثانيهما، محاولة بناء جبهة موحدة على أسس سياسية جديدة لكل من الإصلاحيين والمحافظين وللمة تداعيات مرحلة ما بعد الانتخابات الرئاسية، ويمكن شرح ذلك كالتالى:

الاتجاه الأول: الفرز المستقل

إذا كان يمكن الآن ملاحظة نجاح بعض هذه القوى فى فرز نفسها داخل تيار الثانى من خرداد الذى انهار بسبب الخلافات حول خوض الانتخابات التشريعية أو مقاطعتها وكذلك فشله فى الانتخابات الرئاسية، فإن العمل الجبهوى بين هذه القوى يبدو متعثرا، لكن يمكن الحديث الآن عن قوى إصلاحية مميزة مستعدة لتجديد أدائها السياسى من أهمها مجمع روحانيون مبارز (مجمع رجال الدين المناضلين) الذى يرأس لجنته المركزية الرئيس السابق محمد خاتمى، ويتولى موسوى خوئينى ها إدارة الأنشطة التنفيذية، وحزب اعتماد ملى (الاعتماد الوطنى) الذى يتزعمه مهدى كروبى رئيس مجلس الشورى السادس، ومرشح انتخابات الرئاسة الأخيرة، والذى استقال عقب انتهاء الانتخابات الرئاسية من منصب الأمين العام لمجمع روحانيون مبارز، وجبهة الديمقراطية وحقوق الإنسان التى يتزعمها الدكتور مصطفى معين وزير العلوم فى حكومة خاتمى السابقة ومرشح انتخابات الرئاسة الأخيرة، إضافة إلى جبهة المشاركة بزعامة محمد رضا خاتمى شقيق الرئيس السابق محمد خاتمى، وهذه الجبهة تأتى فى مقدمة الخاسرين فى الانتخابات الرئاسية، لكن جبهة الاعتدال والتنمية التى شكلها حلفاء رفسنجانى فى تنظيم كوادر البناء استطاعت، أكثر من غيرها، أن تفرض نفسها كقوة سياسية مميزة قادرة على منافسة وموازنة قوة الأصوليين.

وعلى الطرف الآخر، مثلت جمعية روحانيت مبارز (جمعية علماء الدين المناضلين)، وهى أحد أهم معاقل الجناح اليمينى التقليدى من التيار المحافظ، حالة كاشفة لطبيعة التحول فى أنماط التحالفات والائتلافات بين القوى السياسية الإيرانية. فعقب هزيمة مرشحها على أكبر ناطق نورى، فى انتخابات الدورة السابعة لرئاسة الجمهورية التى أجريت فى الثانى من خرداد (٢٢ مايو) عام ١٩٩٧، أمام مرشح جبهة الثانى من خرداد الدكتور محمد خاتمى، انزوت الجمعية عن النشاط السياسى، ثم عادت للظهور مرة أخرى ابتداءً من انتخابات مجالس الشورى المحلية التى أجريت فى فبراير ٢٠٠٣، وانتخابات الدورة السابعة لمجلس الشورى الإسلامى التى أجريت فى فبراير ٢٠٠٤، لكن فى إطار أوسع هو جبهة أتباع خط الإمام والزعامة التى ضمت عشرة أحزاب يمينية هى: جمعية المؤتلفة الإسلامية، ومجمع الطوائف (المهنية)، والبازار الإسلامى، ومجمع المهندسين الإسلامى، والطلاب، وكوادر البناء، والمدرسون وأساتذة الجامعات، والجمعية الإسلامية للأطباء، والموظفون، وسيدات الجبهة اللاتى أطلقن على أنفسهن اسم مجمع زينب. ورغم فشلها فى كلا الاستحقاقين، إلا أن ذلك كان حافزا للجبهة لتوسيع دائرتها، ومن ثم بدأت فى إضفاء مزيد من المرونة على الانضمام إليها فلم تقتصر على أعضاء الجناح اليمينى التقليدى، وإنما بدأت فى ضم كل من يؤمن بالمبادئ الأربعة: الإسلام والثورة وولاية الفقيه والدستور، لتتحول فى النهاية إلى ما يسمى مجلس تنسيق قوى الثورة الإسلامية، الذى ضم إلى جانب قوى الجناح التقليدى من التيار المحافظ بعض ائتلافات الجناح الأصولى من التيار نفسه، وقد أصبح بعض كوادر مجلس تنسيق قوى الثورة أعضاء فى حكومة الرئيس أحمدى نجاد مثل منوتشهر متقى وزير الخارجية، ورئيس مجلس التنسيق على لاريجانى الذى تولى منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومى خلفا لحسن روحانى. ويبذل الأصوليون جهودا حثيثة من أجل إعادة تفعيل مجلس تنسيق قوى الثورة كإطار واسع يضم كثيرا من أطياف الجناح التقليدى والأصولى.

الاتجاه الثانى: محاولة بناء جبهة موحدة على أسس سياسية جديدة

أفرزت حالة السيولة فى أنماط التحالفات والائتلافات بين القوى السياسية الإيرانية أربعة ائتلافات رئيسية: الائتلاف الأول، يضم مجمع روحانيون مبارز أحد أهم معاقل التيار الإصلاحى الذى كلف رئيس اللجنة المركزية الدكتور محمد خاتمى بمهمة التحضير للمشاركة فى الانتخابات، مع جمعية الباحثين والمدرسين بالحوزة العلمية بقم. فيما يضم الائتلاف الثانى جمعية روحانيت مبارز التنظيم الأهم للجناح التقليدى من التيار المحافظ، وجمعية مدرسى الحوزة العلمية بقم. أما الائتلاف الثالث، فتمثله جبهة الاعتدال والتنمية بزعامة هاشمى رفسنجانى وحزب كوادر البناء. فيما يتمثل الائتلاف الرابع والأهم فى التيار الذى يقوده رجل الدين المتشدد وأحد أركان جمعية "الحجتية" محمد تقى مصباح يزدى الأب الروحى للرئيس محمود أحمدى نجاد. احتمالات مشاركة هذا التيار الأخير فى انتخابات مجلس الخبراء القادمة أكدتها الإشارات الضمنية التى حملتها تصريحات مصباح يزدى الأخيرة التى ألقاها فى ندوة تحت عنوان "تنسيق قوى الثورة فى انتخابات مجلس الخبراء"، بمدينة مشهد.

وكما حدث قبل انتخابات الرئاسة الأخيرة، فإن الحملة الانتخابية لمجلس الخبراء لم تبدأ إلا بعد تقدم هاشمى رفسنجانى رئيس الجمهورية الأسبق رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام، والذى يشغل أيضا نائب رئيس مجلس الخبراء الحالى بأوراق ترشيحه للانتخابات فى اليوم الأخير من فتح باب الترشيح، وهو ما ووجه بحملة عنيفة استهدفت تشويه سمعته، ومنعه من المشاركة فى الانتخابات. فقد تعرض رفسنجانى لهجوم عنيف من قبل عدد من مؤيدى رجل الدين المتشدد مصباح يزدى خلال إلقاءه خطاب فى مدينة قم يوم ٥ يونيو الماضى. وكان إغلاق صحيفة شرق (الشرق) واسعة الانتشار والمقربة من رفسنجانى إجراءً متعمدا ضد الأخير على أساس أن شرق تمثل إحدى أهم القنوات التى كان يمكن أن يستخدمها فى الانتخابات. كما وجه بعض العسكريين المحسوبين على الجناح الأصولى، مثل محسن رضائى، اتهامات لرفسنجانى بالمسئولية عن إطالة الحرب مع العراق التى امتدت ثمانى سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨) بعد استعادة مدينة خرمشهر عام , ١٩٨١ هذه الاتهامات دفعت رفسنجانى للتقدم بشكوى إلى مسئولين كبار بالنظام مرفقة بنماذج عديدة من المواد المنشورة ضده، كما دفعته إلى نشر رسالة للإمام الخمينى تعود إلى عام ١٩٨٨، يشرح فيها الأخير ظروف وملابسات موافقته على قرار وقف إطلاق النار رقم ٥٩٨، الذى أنهى الحرب مع العراق مشبها إياه بتجرع كأس السم.

هذه التفاعلات المكثفة التى تسبق انتخابات مجلس الخبراء تعنى أن الساحة الداخلية الإيرانية مقبلة على استقطاب حاد بين فريقين: الأول، يتزعمه هاشمى رفسنجانى، ويضم معظم أقطاب الإصلاحيين والمحافظين التقليديين، ويسعى إلى الحيلولة دون سيطرة الجناح اليمينى المتشدد ممثلا فى الأصوليين على مجمل مراكز صنع القرار فى الدولة. والثانى، يتزعمه رجل الدين اليمينى محمد تقى مصباح يزدى، ويسعى إلى استكمال سيطرة الجناح اليمينى المتشدد على مجمل مراكز صنع القرار. ترجيح كفة أى من الفريقين سوف تحسمه إلى حد بعيد نتائج انتخابات الدورة الرابعة لمجلس الخبراء فى ١٥ ديسمبر القادم، والتى سوف يكون لها دور مهم فى تحديد هوية المرشد القادم للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

حقوق القوميات الإيرانية هل هى "حق" يراد به "الباطل"؟

■ د. مدحت أحمد حماد
أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة طنطا

نحتاج فى مطلع حديثنا حول قضية القوميات الإيرانية التى باتت مطروحة بشئ من التعمد داخل إيران، إلى وضع عدد من الأطر والضوابط التى ستنطلق منها.. ذلك أن مفهوم أو مصطلح "القومية" هو مفهوم متعدد التعريفات، واسع المدى، ومركب. فهو مثل معظم المصطلحات الشائعة فى العلوم الاجتماعية والإنسانية من حيث غزارة التعريفات وتنوعها - وربما تباينها- بين الباحثين.

حديثنا عن حقوق "القوميات" الإيرانية سيوف ينطلق فى إطار الضوابط الآتية:

١- أننا لن نقوم بعمل إسقاطات تطبيقية لما نفهمه نحن حول مفهوم "القومية". بمعنى أننا لن نطبق ما نراه واجباً من منظورنا الخاص بشأن العنصرين التاليين: وهما (الحقوق ، القوميات)، وإنما سنأخذ ما يراه الإيرانيون فى هذه النقطة كمنطلق أساسى فى الإجابة على ما يطرحه عنوان المقال من تساؤل.

٢- بكل تأكيد عندما نتكلم عن القوميات" الإيرانية فإن ذلك يكون مرتبطاً بالنطاق الجغرافى للدولة الإيرانية ومن ثم لا ينصرف حديثنا إلى القوميات الإيرانية الموجودة بدول أخرى أو إلى الإيرانيين الذين يعيشون خارج إيران.

الإطار الدستورى للقوميات فى إيران

" الإيرانيون الزرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية فى أداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون، ولها أن تعمل وفق قواعدها فى الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية"(١).

" ... أما المذاهب الإسلامية الأخرى والتى تضم المذهب الشافعى والحنفى والمالكى والحنبلى والزيدى فإنها تتمتع باحترام كامل وأتباع هذه المذاهب أحرار فى أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمى فى مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والإرشاد والوصية) وما يتعلق بها من دعاوى فى المحاكم. وفى كل منطقة يتمتع أتباع أحده هذه المذاهب بالأكثرية فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة فى حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية - تكون وفق ذلك المذهب، مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى".

"اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة هى الفارسية لشعب إيران. فيجب أن تكون الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة والكتابة. لكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى فى مجال الصحافة ووسائل الاعلام العامة وتدريس آدابها(٣) فى المدارس إلى جانب اللغة الفارسية(٤).



"بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هى العربية وأن الأدب الفارسى ممتزج معها بشكل كامل لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية فى جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية(٥).

"يتمتع أفراد الشعب الإيرانى - من أية قومية أو قبلية كانوا - بالمساواة فى الحقوق وألا يعتبر اللون أو العنصر أو اللغة أو ما شابه ذلك سببا للتفاضل(٦).

ما سبق يمثل أو يشكل الإطار الدستورى للمفردات والعناصر التى يتشكل منها مفهوم "القومية". فما سبق ذكره هو النصوص الدستورية التى وردت فى دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيما يخص ماهية الأقليات المعترف بها من جانب النظام السياسى الإيرانى وكذلك تجاه حقوق أو الأسس الدستورية التى تشكل حقوق "الأقليات التى تشكل الشعب الإيرانى. حيث يمكننا استنتاج مايلى:

١- أن "الأقليات" التى يعترف الدستور الإيرانى بها هى الأقليات الدينية ومن ثم فإن الدستور لم ينص على وجود "أقلية" ما وفقاً للجنس أو العنصر أو القبائل. إذا الإيرانيون أتباع الديانات اليهودية أو المسيحية والزرداشت هم فقط "الأقليات"المعترف بها فى إيران

وهو ما قد يعنى أن الإيرانى من ذوى العنصر الآرى أو الإيرانى البلوتشى وحتى الكردى أو التركمانى أو العربى من الممكن أن يكون فى عداد هذه الأقليات إذا كان ممن ينطبق عليهم التوصيف الدستورى السابق ذكره.

٢- أنه لا يمكن القول - وفقاً للتوصيف الدستورى الإيرانى - بأن فى إيران "أقلية" عربية أو تركمانية أو كردية.

٣- نص الدستور على جواز استخدام "لغات" أخرى بخلاف الفارسية - سواء كانت لغات "محلية" أو "قومية" - فى المناطق التى ينتشر فيها أو يكون أغلبية سكانها ممن يتكلمون لغة أخرى غير الفارسية، إذ يمكن استخدام هذه اللغات - المحلية والقومية- فى مجالات الصحافة، وسائل الاعلام العامة وتدريس الآداب القومية التى أنتجتها هذه اللغة أو تلك. وينطبق هذا الكلام على اللغة العربية واللغة التركية واللغة - أو اللهجة الكردية.

٤- أعطى الدستور "اللغة العربية" مكانة خاصة فى إيران ليس فقط على الصعيد التعليمى مثلما نصت المادة ١٦ ولكن على مستوى بنية النظام السياسى وهيكله إذ لايخفى مدى التأثير الذى يتحقق للغة العربية على الطلاب الإيرانيين الذين يخرج من بينهم دوما صناع القرار فى النظام السياسى الإيرانى. إن نص الدستور الإيرانى على ضرورة تدريس اللغة العربية على مدار ست سنوات. طوال المرحلتين الإعدادية والثانوية حسم الجدل حول اللغة الرسمية الثانية فى إيران وهو أمر لم تحظ به أى من اللغات الأوروبية حتى اللغة الإنجليزية كما أن لغة أوروبية أخرى تمثل مكانة دولية مرموقة لكونها لغة القانون والدبلوماسية ونعنى بها اللغة الفرنسية. وهو الأمر الذى يكشف عن واقع ومكانة متميزين تتمتع بهما "اللغة العربية" فى هيكل وفى منظومة النظام السياسى الإيرانى خاصة على المستويين السياسى والثقافى.

٥- كذلك يمكن القول بأن الإطار الدستورى السابق ذكره قد فتح الأبواب أمام وجود قنوات تليفزيونية ناطقة بأى لغة غير اللغة الفارسية داخل النطاق الجغرافى الإيرانى حيث أعطى أصحاب اللغات الأخرى - غير الفارسية - هذا الحق بنص دستورى واضح لا يحتمل اللبس أو التأويل.

٦- لأصحاب المذاهب الإسلامية غير المذهب الشيعى ولأصحاب الديانات الأخرى غير الإسلام الحق التام فى ممارسة شعائرهم بحرية تامة بل أن القوانين المنظمة للإدارات المحلية توضع وفقا لما تنص عليه تلك المذاهب وتلك الديانات والمثير فى الأمر أن الدستور يطلب من أصحاب تلك المذاهب كالمذهب الشافعى أو الحنفى أو .. مادة ١٢ أن يحترموا حقوق أصحاب المذاهب الأخرى الذين يعيشون بينهم والذين قد يكون منهم الشيعى الإثنى عشرى. هذا النص الدستورى يعنى عدم جواز التدخل الحكومى وغير الحكومى فى هذا الحق منه جهة ووجود "سند دستورى" يستند إليه أصحاب تلك المذاهب فى مقاضاة الدولة والنظام فى حال أخل بنص وبروح هذه المادة الخطيرة من جهة أخرى.

إذا كان الأمر كذلك.. أى إذا كان للأقليات والقوميات الحق فى أداء مراسمها وشعائرها الدينية والمذهبية بحرية تامة، وكذلك لهم الحق فى إدارة شئون الإقليم أو المحافظة التى يتمتعون فيها بالأغلبية وإذا كان لهم الحق فى استخدام لغاتهم أو لهجاتهم الخاصة بها فى كل حياتهم الثقافية والأدبية، وبعبارة أكثر ايجازا نقول: إذا كانت الحقوق الدينية والإدارية والثقافية يحميها الدستور الإيرانى الذى وضعه النظام السياسى الإيرانى بماهيته الشيعية الإثنى عشرية فأين تكمن أو توجد المشكلة إذا؟ ولماذا كل هذا الجدل الذى يسود إيران بين الحين والآخر؟، وهل مثل هذا الجدل أو اللغط - الذى قد يصاحبه اضطرابات هنا أو هناك مثلما حدث مؤخراً فى أذربيجان- هل مثل هذا الجدل يمكن أن يشكل بالفعل خطراً استراتيجيا على النظام؟ والسؤال الأهم هل لأصحاب الأقليات الدينية أو أصحاب القوميات الحق فى القول بأن حقوقهم الثقافية والدينية والسياسية مهدرة؟، وما الذى يدفعهم إلى هذا وأمامهم مثل هذا الإطار الدستورى الذى فصلناه من قبل.؟، بعبارة أخرى نقول: إن رموز تلك الأقليات هى بكل تأكيد رموز مثقفة ومن ثم عارفة ومدركة لذات الإطار الدستور ومن ثم فهى تعرف جيدا أن لديها من الآليات الدستورية - القانونية التى تمكنها من إدراك وتحقيق مطالبها وحقوقها وهو ما يقضى على فرص أو احتمالات اللجوء لأعمال الشغب والعنف والاضطرابات فى مهدها، فلماذا يحدث ما يحدث ولماذا تسود الاضطرابات فى هذه المحافظة أو تلك بين فترة وأخرى؟

المؤكد أن سلسلة التساؤلات السابق ذكرها تحتاج إلى تفصيل فى القول واستشهادات ومتابعات غاية فى الدقة، لهذا سوف نقتصر هنا على تناول محورين فقط هما كالتالى:

أ)ماهى القوميات المعترف بها من جانب الإيرانيين أنفسهم؟

ب)ماهى المؤشرات التى يمكن الاستناد إليها للقول بوجود أزمة "هوية قومية" أو وجود اضطرابات قومية

داخل إيران؟

ثمة حقيقة ثابتة وراسخة مفادها أن إيران كانت منذ أقدم العصور وحتى الآن بمثابة طريق رابط بين الشرق والغرب بسبب ذلك الموقع الجغرافى الفريد الذى تتمتع به الهضبة الإيرانية.

مثل هذه المكانة الجغرافية جعلت إيران بمثابة "محطة ترانزيت" لكل الشعوب القادمة من الشرق إلى الغرب والعكس صحيح.

من ناحية أخرى كانت إيران وبسبب تميز شخصيتها الجغرافية - شأنها شأن شخصية مصر الجغرافية - كانت مطمعا وهدفا من جانب القوى الدولية الكبرى على مر العصور تماما - مرة أخرى - كما هو الحال بالنسبة لمصر.

لقد ظلت إيران "الطريق الوحيد" (٧) الذى يربط بين الشرق والغرب طوال تلك العصور التى افتقدت فيها البشرية لوسائل نقل بحرى متقدمة حيث كانت حلقة الوصل البرية الأساسية بين وسط وشرق آسيا وبين دول حوض البحر الأبيض المتوسط وأوروبا وهو الأمر الذى يمكن الاستدلال عليه بكل اللهجات المحلية واللغات الموجودة فى إيران إلى جانب اللغة الفارسية.

ففى بداية النصف الثانى من الألفية الثانية قبل الميلاد جاء "الآريون" إلى هضبة إيران فى أولى الهجرات البشرية التى وصلت إيران من خارج سكانها الأصليين من الذين ينتمون إلى الأجناس البشرية الاسترالية، الحامية والسود والذين مازالت آثارهم موجودة فى "تل عين على" فى جنوب طهران وكذلك فى دمغان ونهاوند والذين كانوا يعيشون فى تلك المناطق فى الألفية الخامسة قبل الميلاد .

من ناحية أخرى وفى الوقت الذى كان الآريون قد وصلوا فيه إلى طهران، فإن طوائف مثل العيلاميين (فى جنوب غرب إيران) الكاسائيون (فى جبال زاجرس ولرستان) والزنوج السود) فى سواحل الخليج وبحر عمان وغيرها كانت مازالت تسكن فى الهضبة الإيرانية إلى أن ذابت جميعها وتلاشت وسط الآرين المهاجرين الذى كانوا طوائف متعددة ممزوجة بأصول عرقية أخرى غيرهم وكان من أهم هذه الطوائف "الميدايين" و"الفرس" ، وإلى جانب هؤلاء كانت هناك طوائف أخرى أقل عدداً ونفوذا منها الأشكانيون والباختريون والصفويون.

بعد ذلك شهدت الهضبة الإيرانية تحولات خطيرة نتيجة لهجوم اليونايين واستيلائهم على إيران، ثم دخول العرب إيران خاصة بعد ظهور الإسلام وسيطرتهم أيضا على شئون الدولة فى إيران ثم التعاقب الذى قام به الطورانيون على الهضبة الإيرانية فى العصور الإسلامية والذى تمثل فى:

أ- الأتراك الغزنوين والأتراك السلاجقة.

ب- المغول بعد جنكيز خان.

ج- التركمان الخوارزميون.

د- التيموريون.

يعتقد الإيرانيون أن سيطرة اليونانيين على إيران لم تنجح فى ترك بصمة واضحة على التركيب العرقى - الجنسى الذى كان سائداً آنذاك.

فى مقابل ذلك هم يرون أن دخول العرب إيران ترك بصمة قوية وراسخة على العنصر الآرى الذى كان موجوداً فى شرق إيران أى خوزستان وما حولها ومن ثم حدث امتزاج بين العنصرين "الآرى و السامى" نتج عنه تلاشى الأول فى الثانى (٩) نفس الشئ حدث بين الجنسين الآرى والطورانى وتحديداً بين الجنسين الآرى والتركى حيث تميز دخول العنصر التركى بإحداث ما يمكن وصفه بـ التطور الديموجرافى الثالث فى البنية الديموجرافية لسكان الهضبة الإيرانية.

بعبارة أخرى يمكن القول بأن التطور الديموجرافى - العرقى الذى تم بسكان الهضبة الإيرانية قد مر بثلاث محطات أساسية هى كالتالى:

أ) وصول الآريين إلى إيران فى منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد.

ب) وصول العرب إلى إيران فى أواخر القرن السادس الميلادى.

ج) وصول الأتراك إلى إيران فى بداية القرن التاسع الميلادى.

وهو ما يعنى أننا بصدد أضلاع ثلاثة لمثلث القوميات فى إيران وهى القوميات الرئيسية الآرية، العربية والتركية. بهذا يعترف الإيرانييون وبهذا فقط يقر معظم المتخصصين فى علوم الأنثربولوجيا والاجتماع والجغرافيا.

ما سبق يعنى أن الحديث عن القومية الكردية، القومية الآذرية، القومية البلوتشية، القومية اللورية هو حديث- بالنسبة للعقل والفكر الإيرانى - لا محل له من الإعراب.

ومن ثم فإننا نكون بصدد ثوابت متفق عليها وراسخة بين الإيرانيين وهو ما يكشف لنا عن الأسس والمفردات أو العناصر التى تشكل آليات صنع القرار الداخلى فى إيران.

واعتماداً على عملية الانصهار التى حدثت بشكل ثنائى بين الآرين والعرب من جهة وبين الآريين والترك من جهة أخرى فإن الإيرانين يعتقدون فى أنه لا يمكن القول بغلبة وسيادة جنس ما من هذه الأجناس - أو القوميات الثلاث- بل يقولون بأن إيران قد صارت لها

"هوية" جديدة تم الاصطلاح عليها بـ الهوية الإيرانية. بعبارة أخرى صارت إيران محتضنة لـ "أمة" جديدة ترجع روافدها أو جذورها إلى عناصر ثلاثة هى: الآريون، العرب والترك وهى العناصر التى صار امتزاجها سبباً لميلاد لغة جديدة تماماً هى اللغة الفارسية الحديثة التى تشكلت من نفس الروافد والجذور الآرية، العربية والتركية.

إذاً يحق لنا الآن أن نطرح السؤال التالى:

ما هو مصير - أو وضعية - ما يُطلق عليه من جانب غير الإيرانيين بالقومية الكردية، والقومية البلوتشية، القومية اللورية، القومية الجيلانية؟ بعبارة أخرى نقول: كيف ينظر الإيرانيون إلى هذه القوميات كما يرى ويروج غير الإيرانيين؟

الواقع أن الإيرانيين ينظرون إليهم بوصفهم جزءاً أصيلاً من القومية الآرية الإيرانية ومن ثم فإن الحديث عنهم من منطلق أن كلاً منهم يشكل قومية خاصة هو حديث خاطئ هم يعتقدون أن هذه الفروع قد تشكلت نتيجة لعمليات الانتقال والهجرة الداخلية والتفرع والتشعب التى طالت الآريين بعد دخولهم إيران ويؤكدون ذلك بالتشابه الكبير الذى يوجد بين اللغة الفارسية وبين اللغات الكردية والطاجيكية والبلوتشية واللورية لدرجة أنهم لا يعتبرون هذه اللغات سوى لهجات للغة أم هى اللغة الفارسية القديمة. (١٠)

الخلاصة أننا بصدد "أمة إيرانية" تشكلت هويتها من ثلاث قوميات أو ثلاثة أقوام رئيسية هى على التوالى:

١) الآريون أو القومية الآرية
٢) العرب أو القومية العربية بمفهومها الأنثروبولوجى وليس السياسى
٣) الترك أو القومية التركية أيضاً بمفهومها العرقى - الجنسى وليس السياسى

نعود لنطرح السؤال الثانى فنقول: ما هى إذاً المؤشرات أو الأسباب التى يمكن الاستناد إليها للقول بوجود أزمة أو اضطرابات قومية داخل إيران؟

فى هذا الصدد يمكننا ذكر ما يلى من مؤشرات أو أسباب:

أ) وجود مستويات من الحرمان الاقتصادى فى المناطق البعيدة عن قلب إيران وتحديداً فى المحافظات الإيرانية الواقعة على طول الحدود الإيرانية فى الجهات الأربع.

ب) قيام البعض بترديد المطالبة بالسماح لهم بعمل قنوات تلفزيونية خاصة بهم وناطقة بلغتهم كما هو الحال بالنسبة للآذريين.

ج) قيام البعض بالمطالبة بضرورة أن يتولى أمرهم "واحد" منهم كما هو الحال بالنسبة للأكراد الذين يطالبون بأن يكون المحافظ المسئول عنهم من بينهم.

د) البلوتشيون يطالبون بتخصيص حصة لهم فى الحكومة (١١) الواقع أن هذه المطالب يمكننا أن نجدها متكررة بذاتها مع -اختلاف المكان والعرقيات أو القوميات - فى دولة أو أخرى، تماماً كما نرى أو تسمع فى مصر بين الحين والآخر من قلاقل أو مشكلات نتيجة لمطالبات مصدرها الأقباط كمصريين غير مسلمين أو الصعيد بمسلميه ومسيحييه بوصفه جزءاً مصرياً ظل مُهمشاً لعقود طويلة برغم "مصرية" النظام السياسى الذى قام فى مصر منذ عام ١٩٥٢، بل إننا عندما نجد اضطرابات ومشكلات مصدرها الدين من جانب المصريين الأقباط نقول أنها محاولات أو ممارسات فردية مصدرها بعض أقباط المهجر الذين تربطهم علاقات غريبة مع دول أجنبية.

بالتأكيد أنا لا أريد أن أقدم حزمة من المبررات لتفسير ما يحدث فى إيران على النحو الذى يجعل من النظام السياسى الإيرانى وكأنه "برئ" أو مغلوب على أمره فهذا ليس من شأننا ولا هى وظيفتنا أو مهمتنا، لكن ما قصدته من ضرب المثل أو التشبيه ليس سوى محاولة لتقريب الصورة أكثر لذهن القارئ.

ما سبق من أسباب لا يقول به بعض - بل الكثير من - المفكرين والسياسيين الإيرانيين ويستدلون على ذلك بالقول بأن الكثير من عناصر الحكومات الإيرانية قبل وبعد الثورة الإسلامية هى من أصول عربية وتركية بالمرشد خامنئى من أصول عربية وكذلك وزير الدفاع السابق على شمخانى، محمد خاتمى، أبو الحسن بن صدر هؤلاء جميعاً وغيرهم من أصول عربية. كما أن هاشمى رفسنجانى هو من أصول وجذور تركية وآية الله شاهرودى رئيس السُلطة القضائية هو الآخر من جذور عربية (١٢) اعتماداً على هذا يعتقد مثل هؤلاء بعدم وجود "تفرقة" أو "أزمة" اجتماعية فى إيران تقوم على أسس "قومية" وإنما يرون أن جذور أو أسباب هذه "التفرقة" و"الأزمات" ربما ترجع لعامل مذهبى أكثر منه أى سبب آخر. فهم "يعتقدون بأن الحديث عن التفرقة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية ينصرف إلى حد كبير عن التفرقة القائمة على أساس مذهبى".

ولما كان العرب والأكراد والبلوتش فى معظمهم من السنة أو لنقل نظراً لأن "السُنة الإيرانيين" يُشكلون معظم العرب، الأكراد والبلوتش فإن ذلك انعكس بدوره فى عملية "الانحسار" السياسى - النخبوى التى طالتهم لصالح الإيرانيين الشيعة والذين لا تشكل هذه القوميات سوى الفئة القليلة جداً منهم. أى أن إسهام العرب، الكرد، البلوتش فى البناء الديموجرافى الشيعى

الإيرانى يكاد يكون هامشياً للغاية وهو ما لابد وأن ينعكس على بناء النخب السياسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية فى إيران حيث يكون من الطبيعى أن يسود الشيعة الهيكل الأساسى المكون لهذه النخب ومن ثم يكون من المتوقع أن تكون الصدارة فى مؤسسات وأجهزة الدولة للكوادر القادمة من الروافد الشيعية. وهو نقطة الضعف الأساسية أو لنقل السقطة الرئيسية التى تمكنت من النظام السياسى الإيرانى وهو ما بات يشكل عاملاً دائماً من عوامل التوتر سواء للنظام السياسى الإيرانى من جهة وسواء للاستقرار المجتمعى الإيرانى نفسه من جهة أخرى.

هنا تكمن "الثغرة" الرئيسية فى داخل النظام السياسى وهى الثغرة التى ينفذ منها وبقوة معارضو النظام الإيرانى سواء كانوا إيرانيين أو من خارج إيران وهى "الثغرة الأم" التى يقوم بها المنصفون من المحللين الإيرانيين الذين لا يرون بأن الأمر كله "على ما يرام" كما أنهم لا يعتقدون بصواب كل الأطروحات التى يقول بها معارضو النظام السياسى الإيرانى بل يتطور الأمر لديهم إلى القول بأن ثمة "جهات أجنبية" (١٣) هى التى تقف وراء مثل هذه الاضطرابات، فى إشارة إلى وجود مخططات أجنبية هدفها الوصول إلى تقسيم إيران فى المستقبل البعيد وتكوين "حكومات قومية" صغيرة تكون خطوة على طريق تجزئة إيران ويستدلون على ذلك بما يحدث من جانب من يُطلقون عليهم القوميين العرب" بشأن إقليم "خوزستان" وما يشهد بين الحين والآخر من أحداث عنف واضطرابات داخلية يصفونها بالمؤلمة.

نحن نعتقد بشكل عام أن "قضية القوميات" تشكل قاسماً مشتركاً بين جميع دول العالم المعاصر حيث لا توجد دولة خالصة على قومية ما كما لا توجد دولة ما خالية من الأقليات ومن التنوع أو التعدد العرقى - الجنسى إلى جانب هذا يمكن القول أن مشكلة القوميات والأقليات هى مشكلة "قائمة" و"موجودة" فى كل الدول ومن ثم فى كل النظم السياسية. الفارق الوحيد بين دولة أو أخرى هو فى حالة "السكون والجمود" التى يمكن أن تكون عليها هذه المشكلة، بمعنى هل هى تعد مشكلة ساكنة وجامدة أم لا؟، وهل يستطيع هذا النظام أو ذاك القضاء على الـ "فيروس" المنشط لهذه المشكلة عبر تطعيمات صحية منتظمة أم أن معامل تشكيل وتفريخ هذه الفيروسات هى الأكثر نشاطاً وحداثة وحركة من هذا النظام أو ذاك؟، فكلما زادت "مناعة" النظم السياسية عبر التطعيمات الصحيحة والصحية المنتظمة بقيت مثل هذه المشكلات كامنة وجامدة والعكس صحيح. والذى نقصده بالتطعيمات هنا هو تلك السياسات والممارسات المرنة والسوية والمتجددة التى يقوم بها هذا النظام أو ذاك تجاه "القوميات الأقلية" التى تشكل جزءاً من رعيته أى شعبه وأمته، فكلما نجح هذا النظام أو ذاك فى "ضخ" هذه التطعيمات فى "عروق" رعيته - أى شعبه وأمته- كان ذلك سبباً كافياً لوأد كل التحركات سواء كانت خارجية أو كانت داخلية بهدف تقويض الاستقرار السياسى والمجتمعى داخل الدولة فإذا ما تحقق ذلك بَطلت فعلاً الدعاوى القائلة بوجود "فروقات أو فوارق مجتمعية" أساسها اختلاف القوميات وكلما بدت إثارة مثل هذه الدعاوى بمثابة "الحق الذى يُراد به الباطل".

الهوامش:

١- دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الطبعة الأولى ١٩٩٧، طهران المادة ١٣ ص ٣٢ .

٢- الدستور .. مادة ١٢ ص ٣١ .

٣- المقصود بالآداب هنا الفنون الأدبية من شعر ونثر وقصة ومسرح و.. إلخ.

٤- الدستور. . مادة ١٥ ص ٣٥

٥- الدستور .. مادة ١٦ ص ٣٥

٦- الدستور .. مادة ١٩ ص ٣٩

٧- جغرافيا مفصل إيران، ربيع بديعى، الجزء الثانى، طهران، ١٣٧٨ هـ. ش - ١٩٩٨م ص ٥٧,

٨- المرجع السابق ص ٥٨

٩- نفسه ص ٥٨

١٠- انظر: نظرة عابرة على قضية القوميات فى إيران، مقال منشور داخل هذا العدد من مختارات إيرانية.

١١- انظر أيضاً: ما هى آلام الأقوام الإيرانية، مقال منشور داخل هذا العدد من مختارات إيرانية.

١٢- انظر: نظرة عابرة على قضية القوميات، داخل هذا العدد.

١٣- نفسه.

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١١٨١٧

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 227 - 130 - 3

مطابع التجارية ـ قليوب ـ مصر



النشاط والأهداف

مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعي إلي نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام بتلك القضايا، وترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار.

١- الدوريات

(أ) كراسات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩١ تتوجه أساساً إلي صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بالتحديات الاستراتيجية التي تواجه مصر والعالم العربي. وتصدر "كراسات استراتيجية" منذ يناير ١٩٩٥ باللغتين العربية والإنجليزية. ويرأس تحريرها د. طه عبد العليم

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بتقديم تحليلات متخصصة حول الشئون الإقليمية، والتطورات الدولية والمحلية ذات الانعكاسات والأبعاد الاستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية والشرق الأوسط. ويحرره أ. محمد عبد السلام.

(ج) مختارات إسرائيلية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بالرؤي والتصورات والمواقف الإسرائيلية علي صعيدي الحكومة والمعارضة، وبالذات حول مجريات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومشكلاته ويرأس تحريرها د. عماد جاد.

(د) مختارات إيرانية

دورية شهرية تصدر منذ أغسطس ٢٠٠٠ تهدف إلي دراسة وتحليل التفاعلات الداخلية الإيرانية والعلاقات الإقليمية والدولية لإيران. ويرأس تحريرها د. محمد السعيد ادريس.

(هـ) قراءات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٦ تهتم بعرض القضايا الاستراتيجية الدولية والإقليمية من خلال اختيار أهم ما نشر عن تلك القضايا بمختلف اللغات وعرضه عرضاً دقيقاً وافياً باللغة العربية. وترأس تحريرها د. ألفت حسن أغا.

(و) أحوال مصرية

دورية ربع سنوية تصدر منذ صيف ١٩٩٨ تهدف إلي دراسة الواقع المصري بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويرأس تحريرها د. محمد السيد سعيد.

٢- التقارير

(أ) التقرير الاستراتيجي العربي

تقرير سنوي يصدره المركز منذ عام ١٩٨٦ يسعي إلي تقديم رؤية استراتيجية عربية ومصرية لتطورات النظام الدولي والنظام الإقليمي العربي والمجتمع المصري. ويصدر التقرير أيضاً باللغة الإنجليزية بدءاً من عام ١٩٩٥ ويرأس تحريره د. حسن أبو طالب.

(ب) تقرير الحالة الدينية

يرمي إلي الكشف عن خريطة المؤسسات، والأشخاص والحركات والتفاعلات داخل شبكات الانتماءات الدينية والإسلامية والمسيحية بالأساس، بهدف استخلاص اتجاهات عامة حول أنماط التدين المصري بكافة أشكالها وتفاعلاتها ومؤسساتها. ويرأس تحريره أ. نبيل عبد الفتاح.

(ج) تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية

تقرير صدر منذ عام ٢٠٠١ يعنى بتقديم دراسات تحليلية للقضايا الأكثر أهمية والتى من شأنها التأثير على مستقبل الاقتصاد العالمى والاقتصادات العربية والاقتصاد المصرى. ويحرره أ. احمد السيد النجار.

٣- الكتب

يصدر المركز سلسلة كتب تغطى موضوعات معرفية متعددة تعالج مختلف القضايا. ويرأس تحريرها أ. نبيل عبد الفتاح. كما يصدر المركز كتيبات عن المفاهيم والمؤسسات ضمن سلسلة "موسوعة الشباب السياسية". ويرأس تحريرها د. وحيد عبد المجيد.

٤- المركز علي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

قام المركز بتأسيس صفحة خاصة به على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغتين العربية والإنجليزية. وتتضمن الصفحة عرضاً لكافة إصدارات وأنشطة المركز. ويمكن الوصول إلى صفحة المركز عن طريق موقع الأهرام: .http://www.ahram.org.eg بريد إليكترونى acpss@ahram.org.eg

أسلوب الاشتراك أو شراء مطبوعات المركز

تطلب اصدارات المركز من مكتبات الأهرام ومراكز توزيع الأهرام، فضلاً عن إمكانية الاشتراك في الإصدارات الدورية للمركز عن طريق: إدارة اشتراكات الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٧٧٠٤٥٦٥- ٥٧٨٦٢٢٤ - ٥٧٨٦٠٣٧ - ٥٧٨٦١٠٠ فاكس: ٥٧٨٦٠٣٧ ٥٧٨٦٨٣٣ - ٥٧٨٦٠٢٣

Email: acpss@ahram.org.eg

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر